

دار الشروق

الأعمال الشعرية

محجّل عفيفي في مطر

أخفّ لنا المومنين  
المتوحّش





أَخَذَ الْوَقْفُ  
أَمْلَهُ وَحَشَتْ

الطبعة الأولى

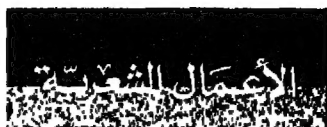
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المصطفى عام ١٩٦٨

القاهرة ٨ : شارع سيويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر  
ص. ب. : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)  
بيروت . ص. ب. : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣  
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



مَجْلَدٌ عَفِيفٌ فِي مَطَرٍ

أَخْفَا لَنَا الْمَوْفِقُ  
الْمُتَوَحِّشَةُ

دارالشرق



# والنهريلبس الأقنعة





سهرة الأشباح  
«محاكمات وانتظارات»

١٩٧٠/٧/١٨

- ١ -

تخرج من دفاتر الأعمال والأقوال  
أشباحها الرضوءة  
ترفع لي رءوسها المجوفة  
أمارس الدفاع والموت، تمارس الأشياء  
طقوسها الليلية المكثفة:  
كلُّ جدار معبر، كلُّ زوايا الأرضة  
أقدامٌ شرطيٌ يسيرُ سيره المنتظما  
دخيتي تصبح في أصابعي المرتجفة  
جرحا ومديّة وقلمًا ونارها دما  
دخانها يصبح خيمة معقودة  
يصطفُ فيها البشر المدججون بالعيون..

-٢-

وقفتُ بين النُّطْع والسيافُ  
مُسْتَجْمَعاً مملكتي الخفيةُ  
وارتعشتُ في جسدي مواسمُ القطافِ  
وانفجرتُ خليةً خليةً  
تَحَجَّرَتْ وارْتَعَدَتْ مفاصلي من خوفٍ أن أخافُ . .

- ٢ -

أرى عيون الشرطة السريّة  
تلمعُ من وجه إلى وجه ،  
وتسكّب الوجوه في الشوارع الخلفيّة  
كلُّ قفاً وراءه عينان تخرقان ظلمة النخاع ،  
تسألان عن هواجس الهويّة  
وإرثنا المكتوم بين الشفة الخرساء والشغاف  
وعن حوارنا الضائع بين البحر والصفاف  
وعن توقّع الزواج بين الحمأ المسنون والشرارة الكونيّة  
أرى عيون الشرطة السرية  
أصبحُ شرطياً أكابدُ القمعَ لما يثبتُ في الأعماقُ  
من صرخات الشعر والقصائد المشويّة  
ومن طقوس الدمع والعناق  
ورقصة التّدخّل الحميم بين جسدي  
وجسد البكارة الليليّة .

- ٤ -

كان دفءُ المخدعِ الرطبِ رباطًا حول قلبي  
كلما فكرتُ في السيرِ المنومِ  
شدّني خوفُ هبوبِ العاصفةِ  
كلما فكرتُ في الأرضِ التي أسكنّها الليلُ الطويلُ  
وانقسامي كلما أبصرتُ في الأعينِ تاريخَ الجراحِ الرَّاعفةِ  
شدّني وجهك يا طفلةَ رُوحِي الواجفةِ  
شدّني - في فمكِ الضاحكِ - طعمُ الأرغفةِ ..

- ٥ -

حوائطُ الحواجز الوهميّة  
تَحْجُبُ إيقاعَ الصدى الذي يجيءُ  
من صرخة القتلى وقععات العُدّة الحربيّة  
وشهقة البيوت حينما تُخلَعُ من جذورها،  
والأمّ المغاور السفليّة  
حين يجيئُها المخاضُ كلَّ ليلةٍ ..  
نَظْلُ في الدائرة الشرعيّة .  
(أفتح الآن زجاجَ النافذة  
علّني البسُّ من لحم الظلام  
جسداً يسترُ منفاي المقام  
بين جذر الأرض والزهرة في قرع الغمام .

أفتح الآن زجاجَ النافذة

عَلَّنِي أَسْمِعْ مُيراثَ الحقولِ  
وتواشِيحَ الدخولِ  
ومراسيمِ انفتاحِ الشيءِ للشيءِ . .  
وأَسرارَ الفِطامِ).

أَفْتَحُ الآنَ زجاجَ النافذةِ  
عَلَّنِي أَطْلُقْ عصفورَ الهواجِسِ  
عَلَّنِي أَتْرِكْ وجهي صرخَةً في  
عَذَباتِ النخلِ أوْ شَمَمًا على حائطِ مَبْكِي  
أوْ دَمًا مُشْتَعلاً فوقِ وسادةِ  
أوْ سِياجًا مُشْرِعًا من زَهَراتِ الشوكِ  
في وجهِ الرياحِ المُسْتَعادَةِ

حصارنا يبدأ لو تَفَتَّحَتْ نافذةُ ليليةِ  
تحت خطي البرقِ . . فتدخلُ الأشباحُ:

أربعة أشباحٍ في صوتٍ واحد:  
 «أتينا من سماءِ السَّحَرِ والتَّعْزِيمِ والتَّزْيِيلِ  
 نُبَشِّرُ بِالْحَقِيقَةِ فِي زَمَانِ الْقَحْطِ والتَّضْلِيلِ  
 نُبَشِّرُ فِي زَمَانِ الْحَقِّ بالتَّهْدِيمِ والتَّعْطِيلِ  
 ونَرْفَعُ فِي الْمَحَافِلِ شَارَةً وَعَلَامَةً  
 لِقُدُومِ «ظُلُمَائِلِ».

ظلمائِلُ .. صورةٌ وَصْفِيَّةٌ:  
 لظلمائِلِ عَيْنَانِ  
 مُرَمَّدَتَانِ بِالشَّمْسِ الْقَدِيمَةِ وَالسَّيِّمِ الْأَوَّلِ  
 الْمَحْمُولِ فِي نَقَالَةِ الْخَلْقِ  
 مُفْتَحَتَانِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تَخْتَمَرْ طَمِيًّا  
 وَلَمْ تَخْضَرْ صَحْرَاءَ  
 وَتَائِهَتَانِ تَحْتَ مَجَرَّةِ الْفَوْضَى  
 وَمُعْتَمَتَانِ تَرْكُضُ فِيهِمَا نَارُ الدُّهُورِ



وتَطرُّ السحبُ القديمةُ ظلمةً ورؤى وأضواءَ  
 له شفتان من شجر اللغات ومن جذور الشعر والصمتِ  
 له قلبٌ تفجّرهُ خيولُ الحبِّ والمقتِ  
 فيَنفُضُ في ترائبه دماً مُستَقْطَراً من  
 غيمة التعزيم والكيمياء  
 به ماءُ العناصرِ ، فيه سرُّ المزجِ والحَلْطِ  
 وفيه المعجمُ الأبديُّ للأسماءِ .  
 له نعلان من طين الشرائع والوصايا المطفآتِ ،  
 وشَعْرُهُ الأسودُ  
 كُرُومٌ غُلْغَلَتْ أَصْلَابَهَا في رأسه المغطاءُ  
 لتشربَ من عطاياهُ  
 وتحملَ من عناقيد التذكُّرِ كلَّ ما سيجيُّ من أحياءُ  
 وفي رَئْتِيهِ روحُ الماءِ  
 وأشجار التناسلِ والدمُ الدوّارُ في دوامة الأبناء .

شبح:

كان يمشي مسرعاً، كان يطيرُ  
خالعاً وجهاً نباتياً، ومملوء الخلايا  
بتواريع اللقاح  
عابراً خضخة الموج . له ألف ذراع  
تقطف الجنس المشاع  
في كهوف الليل والفُسفور، يعلو ويطيرُ  
في انفجار البيض عن أفراخه،  
يدخلُ في عرس القبيلة  
شبقاً أو لغة بكرة ورؤيا مستحيلة  
تصبح الأرضُ له أما وزوجاً، ويُشيرُ  
شارة الدهشة . تمتد الفروع  
يرقصُ الآن أمامي

خالعاً وجه البدايات القديمة  
صارخاً كي تصبح الأرض له أمّا  
وزوجاً  
وقييلة ..

شبح:  
دَقَّ في الليل زجاج النافذة  
وتدلى رأسه من قفلها . . ثم تجسّد  
قال : « قُلْتُ لِقِ عَلَى كَفِّيَّ مَا تَحْمِلُ مِنْ إِرْثِ الشَّكَاوَى  
فَأَنَا أَصْعَدُ مِنْ جُوعِكَ لِلْخَبِزِ الْخِرَافِيِّ  
وَاللشَّمْسِ الَّتِي تَطْلُعُ مِنْ  
آنِيَةِ الْخَبْرِ الْعَتِيقِ  
وَأَنَا أَصْعَدُ مِنْ لَيْلِ السَّجُونِ  
وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ أَتَكَ لِلْخَيْلِ وَفِرْسَانِ الْمَطَرِ

وأنا أصعدُ من صَهْدِ السَّقَرِ  
وبكاءِ الريحِ في بابِ المواني الموصدة . . .  
مدَّ كَفَّيْهِ إِلَى جُمُيْزَةِ الحزنِ القديمِ  
في دمي ، هَزَّ الفروعَ  
فارتمتْ منها ورِيقاتُ الدموعِ  
وانتظرتُ الفرحَ الطالعَ من نسغِ الأغاني المعتمة  
قال : « هَبْنِي صوتَكَ الدافئِ كي أنعسَ فيه  
وأرخني من شقاقِ الكلماتِ  
كلُّ آتٍ سيجيءُ . . . »

كانت القافيةُ الصعبةُ والليلُ البطيءُ  
مَقْوَدًا حَوْلَ عظامِ القدمينِ  
وأنا أحملُ في ثلجِ اليدينِ  
تاحةً حتى ينامَ

رُمَحَهُ حَتَّى يَنَامَ  
وَانْتَظَرَ الشَّمْسَ مِنْ عَامٍ لِعَامٍ.

شَبَحَ:  
كَانَتْ اللَّيْلَةُ سُورًا، وَالْمَدِينَةُ  
حَائِطًا يَنْتَظِرُ الْبَاكِينَ فِي جُوفِ الشَّقَوقِ  
وَسَرَاجًا مَعْتَمَ الضَّوْءِ يَغْطِي الْكَائِنَاتُ  
بِاسْتِدَارَاتِ السُّطُوحِ الْفَارِغَةِ  
وَمَرَاسِيمِ الثَّبَاتِ.  
وَأَنَا أَغْلِي انْقِسَامًا فَوْقَ أُسْفَارِ الدَّمِ الْحَيِّ  
وَأُسْفَارِ الْمَمَاتِ.  
أَقْبَلَ الْمَوْتَ الَّذِي كَانَ صَدِيقِي  
فِي رُؤْيِ الرُّعْبِ الْقَدِيمِ  
وَانْتَظَرَ الزَّمْنَ الطَّالِعَ كَالزَّهْرَةِ مِنْ فَوْضَى السَّدِيمِ

أقبل الموتُ بوجهٍ وقناعٍ  
ضممتني وهو يغني بالوداعِ  
لزمان اليأس بالأندلس :  
(جأذك الرعبُ إذا البرقُ رمى  
رُمحه بين الضحى والغلسِ  
فأحال الصمتَ ناراً ودماً .

آه باليلاء زجاجيَّ العيونُ  
أطفئ الآن عيونَ الحرس  
علّني أهربُ في نَعش الجنونِ  
هَرَبَ الطينِ بجذرِ التَّرجِسِ

أو أرى الشُّعْرَ الخرافيَّ الظنونُ  
جالَ في النفسِ مَجَالَ النَّفسِ

سدَّ السَّهْمَ فَأَصْمَى إِذْ رَمَى

طائرُ الخوفِ وعَصْرُ العَسَسِ  
 وأحالَ البرقُ أَطلالَ الحمى  
 بئرَ نارٍ في هَشِيمِ اليَسِّ .  
 وأنا أغلي وأغلي . . أتبحرُ  
 تصبح الظلمةُ أَقدامي وعنفُ الريحِ في  
 البحرِ خطايا  
 آخذُ النارَ التي خبَّأها البرقُ بأوتادِ الخلايا .  
 تصبح النارُ عطايا  
 تحرثُ الأرضَ فَتَشُقُّ البَكَارَةَ  
 عن توارِيخِ الزُّنَا، تَنقَلِبُ الأسْطُحُ،  
 يَهْوِي كلُّ ما قامَ،  
 وفي قلبِ الحطامِ  
 كنتُ مَدْفُونًا أرى دائرةَ الأفقِ تضيقُ  
 وغبارَ الهَدمِ يَصَاعِدُ، والشمسُ بَقايا  
 من دمٍ يُعَقَدُ في بطنِ السديمِ . .

-٦-

هذه الأرضُ الخلاءُ  
بعد أن قاءتُ بنيتها أخرجتُ أحشاءها  
وانتظرتُ أغربةَ الليلِ : وباءَ فمِجاعةُ  
واندحاراً تحت خيلِ الغزوِ أو خيلِ الحرَسِ  
وانكساراً صامداً تحت لثامِ اللُّغوِ أو صمتِ الفجیعةِ

(هذه جوهرةُ الخضرَةِ تغلِي  
تحت عَيْنِيَّ وتعلوها المِياهُ  
كلُّ شيءٍ زَبَدٌ يطفو ورعدٌ ودُخانُ  
وسماءٌ تَتَخَلَّقُ  
وإطارُ الفلكِ الدائرِ يدنو ويضيقُ  
وأنا - كائنُ أيامِ الحريقِ -  
طينةٌ في بيضةِ الأرضِ وإيقاعٌ عميقُ



يَتَخَفَّى صَوْتُهُ فِي أُبْجَدِيَّاتِ الْحَرِيقِ .  
 فَاطْلُعِ الْآنَ . . فِي كُلِّ رَمَادٍ وَسَقُوطِ  
 أَسْمَعِ الطِّينَةَ تَغْلِي بِنَشِيشِ الْإِخْتِمَارِ  
 وَأَرَى كُلَّ تَوَارِيخِ الْقَنُوطِ  
 غَابَةً تَبْدَأُ مِنْهَا الصَّرَخَاتُ الْحَجَرِيَّةُ  
 وَأَسَاطِيرُ الْعَصُورِ الذَّهَبِيَّةُ  
 وَأَرَى شَيْخُوخَةَ الدَّهْرِ الْبَطِيءِ  
 بِرُعْمًا تَصْعَدُ مِنْهُ الشَّجَرَةُ .

(عَرَفَ الْأَسْمَاءَ مِنْ قَبْلِ الْمَسْمَى  
 عَرَفَ الْفَعْلَ عُبُورًا مِنْ نَقِيضٍ لِنَقِيضِ  
 لِبَسِ الصَّمْتِ الْبَدَائِيَّ قَنَاعًا وَانْتَظَرُ  
 رَعْشَةَ الدَّهْشَةِ وَالصَّوْتِ الْخَوَارِيَّ الْخَفِيضِ . )  
 فَاشْرَبِ الْآنَ عَصِيرَ الثَّمَرَةِ  
 وَابْدَأِ الْعُرْيَ الْبَرِيءِ  
 طَاطِي الرَّأْسِ . . فَقَدْ أَنْقَلَكِ التَّاجُ الْمَلِيءُ

ببقايا الشُّهُبِ الأولى وأفلاكِ المطرِ  
وتواريخِ الرؤى المندثرةِ  
وحوارِ القَبْضَةِ البكرِ وإزميلِ الحَجَرِ  
وتَقَدَّمَ بالشَّعارِ المَلتهَبِ  
تاركًا في صخرةِ الأرضِ الخَلَاءَ  
من خُطى الثَّورَةِ والمخلوقِ علامةً  
للقِيَامَةِ . .

١٩٧٠/٧/١٨

# وشم النهر على خرائط الجسد «الوشم الأول»

{ وطنُ السرِّ الذي يطلعُ مني  
خُطوتي تاريخُهُ  
رأسي فضاءً أنجمه  
لحمي علاماتٌ التخومِ  
و.. أمدُّ الجسرِ حتى يقتلونني. }

- ١ -

ظَلَّلْتَنِي مِنْ جَنَاحِهَا سَحَابَةٌ  
وَصَلَّيْتَنِي بِالدَّمِ الْهَارِبِ مِنْ شِقِّ لَشِقٍّ،  
وَضَعَّيْتَنِي فِي الرَّبَابَةِ  
وَتَرَأُ مَمْلُوءَ الصَّوْتِ بِكَزْرِ الصَّرَخَاتِ  
فَتَحْتُ قَلْبِي فَأُطْلِفْتُ حَمَامَةً  
لَبَسْتُ مِنْ زَغَبِ الصَّوْتِ تَوَارِيخَ الظُّمَأِ  
وَتَوَاشِيحَ الْكَأَبَةِ  
وَأَنَا أَنْتَظِرُ النَّاقَةَ مِنْ فَتَقِ السَّمَاءِ  
عَلَّهَا تُلْقِي عَنِ الرَّحْلِ كِتَابَاتِ الْمَطَرِ  
وَمِنَ الضَّرْعِ حِكَايَاتِ السَّيُولِ

(مَا الَّذِي تُخْتَمِرُ الْأَرْضُ بِهِ !!  
مَا لِي أَرَاهَا

فَتَحَتْ مِنْ ظَمَأِ الشَّهْوَةِ أَرْحَامَ النُّجُوعِ  
وَمِيَادِينَ الْمَدِينَةِ  
وَأَنْفِرَاجَاتِ الشُّقُوقِ الْمُسْتَكِينَةِ  
بَيْنَ طَمِي الْعَالَمِ الرَّخْوِ وَأَجْسَادِ الْبَشَرِ !!

طَائِرُ الصَّرَّخَةِ - إِذْ نَقَرَ مَنَدِيلَ السَّحَابَةِ -  
شَفَّهُ الْبَرْقُ فَأَلْقَى دَمَهُ وَرَدَا عَلَى كُلِّ رَدَاءٍ  
أَحْرَقْتَنِي وَرَدَةُ الْبَرْقِ وَعَرَّتَنِي أَمَامَ الْغُرَبَاءِ

(وَأَنَا فَزَاعَةُ الطَّيْرِ بِأَرْضِ الْفُقَرَاءِ)  
كُنْتُ فِي قَلْبِ الْعِرَاءِ  
مُسْتَحِمًّا بِعِرَاكِ الطَّيْرِ فِي الرِّيحِ،  
وَمَحْشُوءًا بِأَوْرَاقِ التَّقَاوِيمِ وَأَسْلَابِ السُّفْرِ .)

كُنْتُ فِي الْأَرْضِ الْغَرِيبَةِ

أَحْرُثُ الْقَلْبَ لَا يَامُ الْعَنَاقِيدِ الْحُبَالَى  
 كُلُّ أَحْلَامِي كَرُومٌ، طُرْقِي قَنِينَةُ السُّكْرِ الْخُرَافِيَّ،  
 وَفِي بَحْرِ الْجَسَدِ  
 سَمَكُ الْقَرَشِ وَصَوْتُ السَّفْنِ الْمَشْتَعِلَةِ  
 وَاغْتِلَامُ اللَّيْلِ وَالرَّيْحِ وَقِرْصَانُ الْخَوَارِ الْمُنْفَرِدِ  
 وَالتَّشَهِّي لِلرَّدَى الرَّاقِصِ فِي بَرْقِ الْمَرَايَا  
 مِنْ شَطَايَا الْكَاسِ إِذْ يَسْقُطُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَائِنَاتِ  
 قُلْتُ: فَلَا بُدَّ أَرْمَانِي

(جَنَّتْ مُحْمُولًا عَلَى نَقَالَةِ الرَّعْدَةِ وَالْخَوْفِ  
 وَفِي فَوْضَى الْجَسَدِ  
 كَانَ خَبِزُ النَّفْيِ يَغْلِي،  
 كَانَتْ الصَّرِخَةُ رِجْلِي وَمَكَانِي . )  
 فَتَمَشَّيْتُ عَلَى النَّهْرِ . .  
 أَرَى فَوْقَ مَرَايَا سَطْحِهِ الرَّأَكِدِ وَجْهِي

رَغْوَةٌ مِنْ عُشْبِ الشَّطِّ، خَلِيطًا مِنْ خِيوطِ الشَّجَرِ  
 الذَّابِلِ وَالْمَوْتَى وَأَطْلَالِ الْبُيُوتِ  
 وَخُطُوطًا مِنْ مَلَائِكَةِ الْوُجُوهِ السَّاعِبَةِ.  
 (وَأَنَا فَرَّاعَةُ الطَّيْرِ بِأَرْضِ الْفُقَرَاءِ  
 كُنْتُ فِي قَلْبِ الْعُرَاءِ  
 وَاقِفًا، يَسْتَأْلفُ الطَّيْرُ ذِرَاعِي - الْحَشْبَةَ  
 وَكُرَاتِ الْقَشْرِ فِي رَأْسِي الْغَرِيبِ الْمُسْتَبَاحِ.)

وَأَرَى فِي الشَّاطِئِ الثَّانِي جُنُودَ الْمَلِكِ الْقَاسِي  
 يَدُقُّونَ الرَّمَاخَ  
 بَيْنَنَا نَهْرٌ مِنَ الْمَاءِ وَنَهْرٌ مِنْ مَسَاحَاتِ الْوُجُوهِ  
 بَيْنَنَا أَرْضٌ أُمُومَةٌ  
 وَفِطَامٌ، بَيْنَنَا أَرْضُ الْأَذْلَاءِ الْمِهَانِينَ،  
 وَأَيَّامُ الْعُرُوشِ  
 وَمَمَالِكُ الدِّمِ الْوَاحِدِ، وَالْخَبْزُ النِّحَاسِيُّ،

وتاريخُ السجونِ .  
وأنا - آه من الكُرْه - أمدُّ الجسرَ حتى يقتلونني  
أجعلُ النهرَ دماً يَلْفُظُ أسماكَ الجرائمِ  
أرفعُ القُمَّلَ والسَّوسَ غمائمَ  
وأولِّي وأهاجمُ  
وأمدُّ الجسرَ حتى يقتلونني  
علَّني أغسلُ وجهي ،  
علَّني أبداً في نهر دمي عُنْفَ السَّباحَةِ

(وأنا فزاعة الطير بقمح الفقراء  
أغرس القامةَ في طين المجاعة  
قدمي ساختُ . . فَيَلْتَفُّ بها الطحْلُبُ  
والْعُشْبُ ،  
وفي جُمُجُمَني عَشَّشَتِ الغربانُ ،  
في مملكة القشِّ وأوراقِ التَّقَاوِمِ - الجسدُ



وطنٌ تسكنهُ الرِّيحُ وأطيارُ العراءِ  
 وأنا فزاعةُ الطيرِ بأرضِ الفقراءِ . . )  
 علّني آخذُ رأسي بعد أن يَضْرِبَهُ السيفُ وأمضي  
 خارجاً من ملكوتِ الخوفِ ، من أرضِ ممالكِ  
 الدِّمِ الواحدِ أطوي في خلاياهُ بساطَ الأرضِ ،  
 أبني وأقيمُ  
 وطنًا ، أنشرُ من كثرِ النقوشِ الدميّةِ  
 أطرُدُ العالمَ ، أمحو زمنَ الصوتِ ، وأمحو  
 طينةَ الموتِ وشوكَ الأبجديةِ  
 أنشئُ القلعةَ بين الشفتينِ  
 أشحذُ الرمحَ على تقطيعِ الجبهةِ ، أرمي طيّبةَ  
 الشهوةِ والذكري وأرمي بومةَ الرؤيةِ ،  
 أنشقُّ على الرأسِ عدواً وصديقاً  
 أحفرُ الغابةَ في الشَّعرِ خباءً وطريقاً  
 أرسلُ الرأسَ إلى كلِّ الجهاتِ

طائرًا يرقصُ في بَوْتَقَةِ النارِ العميقة  
قمرًا في نهرِ أعماقي ، وصَقْرًا في سمواتِ الجسدِ ،  
مَطْلَعًا للشمسِ ، شُبَّاكًا علي بدءِ الخليفةِ  
في انفتاقِ الأرضِ والماءِ وظلماءِ الجَمَدِ .

-٢-

كنتُ وحدي . . أشربُ الظلمةَ والطلُّ وأغفو  
 في خلايا قامتي المنغرسِ  
 تاركًا وجهي ينحلُّ وأعضائي تذوبُ  
 في اختلاطِ الحلمِ  
 (في بوتقة الدهشة عند العتبةِ  
 أدخل البابَ . . أرى شهوةَ أيامي خيولاً  
 وأرى الأشياءَ في لون العيون الشرسةِ  
 وأرى - قبل ابتداء الأرض - غيمًا مثقلًا  
 تحت سماءٍ مشمسةِ  
 وأرى الساحةَ منديل دمٍ مشتعلٍ  
 يطفو ويطفو في كتابات الغرقِ  
 وانتظارِ السنةِ الكبرى لكي تبدأ في  
 رقصتها المزدوجة . )

وأنا أسمع صوتَ العَلَيَّانِ  
(في دمي أم في دم الأرض؟) وأمشي في الهواجسِ  
كلُّ يومٍ بيضةٌ تَفْقَسُ في أعشاشِ أحزاني مدينةً  
كلُّ ظلٍّ عابرٍ يُنْبِتُ في وهمي كُؤَى للحسِّ والرؤيا،  
وأصواتي السجينةُ  
وردةٌ داميةٌ تَفْتَضُّها شمسُ المخاضاتِ الدفينةِ  
وأنا أسمعُ في الظلمةِ صوتَ العابرينِ  
فأرى عورةَ أحزاني تَعَرَّتْ  
أنحني، أسقطُ، أرمي للفضا الأسودِ غربانَ الأغاني  
وعصافيرَ البكاءِ ..

كان سِرْبُ الطيرِ يَسَافُطُ في فسقيةِ العالمِ  
صيفًا وشتاءً

كان يفتتاتُ خبايا الحركةِ  
في جذور الأرض ما بين خريفٍ وربيعٍ

كان إرثُ الفقراءُ  
خاتَمًا، كان زَفافُ الملكةُ  
نَفْخَةُ البوقِ ليمتدَّ سَماطُ الأرضِ بينَ الأمراءِ  
بعناقيدِ الشَّوَاءِ  
وطقوسِ الصمتِ والرقصِ وأيامِ الحِدادِ .

- ٢ -

سُرَّةُ الْأَرْضِ قِصَاعٌ مَلَّتْ مِنْ دَمِنَا حَتَّى الْحَوَافِ  
 وَعَلَى بُؤْسِ الضُّفَافِ  
 كَانَتِ الْوَحْشَةُ شَمْسًا فِي سَمَاءِ الْمَدَنِ الصُّغْرَى،  
 وَكَانَتْ أَعْيُنُ الْأَجْلَافِ لَيْلًا دَامِسًا،  
 وَالْمَوْتُ مِيعَادَ غِرَاسٍ وَقَطَافِ  
 وَأَنَا أَهْرِي إِلَى النَّهْرِ الَّذِي يَحْفَرُ مَجْرَاهُ الْخِرَافِيَّ بِلَحْمِي  
 فَاتِحًا نَبْعًا مَصْبًا  
 غَارِسًا نَخْلًا وَزَيْتُونًا وَقَضْبًا  
 طَارِحًا فِي مَوْسَمِ الزَّهْرِ عَلَى طَمِي الشَّغَافِ  
 شَوْكَةً الدَّهْشَةِ وَالصَّمْتِ الْمَفَاجِئِ  
 وَتَوَيَّجَاتٍ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي اللَّوْنِ وَخَبْرًا مِنْ  
 لِقَاحِ الشَّعْرِ وَالْبَحْرِ وَأَعْشَابِ الْمَرَافِئِ

يحفرُ النهرُ بلحمي وطنَ السرِّ  
 ويخضِرُ نخيلُ الإغترابِ  
 (وطنُ السرِّ الذي يطلع مني  
 خطوتي تاريخه، رأسي فضاءً أجمه،  
 لحمي علاماتُ التخوم  
 وطيورُ البرِّ إذ تأكلُ لحمي وتطيرُ  
 جعلتُ لحمي تاجاً، جعلتني ملكاً تمتدُّ  
 من تحتي حدودُ المملكةِ  
 أدخلتني زمنَ النهرِ المسافرِ  
 أرجعتني بعد أن هاجرتُ من مملكتي  
 قطرةَ ماءٍ ودمٍ، كان السريرُ  
 مرقاً الليلِ وسورَ المملكةِ . . )  
 وأنا - تحت نخيلِ الإغترابِ  
 آخذُ الطينَ، أسويهُ بكفِّي خيولاً،

وأسوي ملكة  
 فأراها انتفضت تسعى . . على جبهتها  
 من دم الفكرة شمس ومجاعة  
 وبعينها من الشهوة أطيارد دم مشتبكة  
 واستغاثات القرون الهالكة .  
 كنت في زحمة أعضائي وفي دهشتي المرتبكة  
 أتملى وجهها، أشهق:  
 هيا . . كثريني وأنشريني  
 عدد الذر ورمل الصحراء  
 كسريني كرجف الفقراء  
 واحفري النهر على صدري وشما دمويًا  
 واجعليه - بين أبنائي وبينني - لقب الاسم  
 وإرث البركة  
 ومراسيم التعارف



جَسَّدِي نِي سَمَكًا فِي نَهْرِ أَعْمَاقِي وَصَوْتًا فِي شَفَاهِ

الْآخِرِينَ

وَاجْعَلِي مِنْ طَيِّبَتِي آتِيَّةَ الْغُسْلِ وَحِنَاءَ الزَّفَافِ

وَائْتُرِنِي تَحْتَ أَعْتَابِ الْبُيُوتِ الصَّامِتَةِ

رُقِيَّةً دَامِيَّةً

وَائْتُنْظِرِنِي . .

١٩٧١/٦/٦



## مَهْرَةُ الْخَلَم

مهرةُ الحلم كانت تُحْمَحُمُ تحت سماءِ البراري  
 ومن فوق صهوتها أتوحدُ بالسَّرجِ :  
 ساقاي هُدَّابَةُ الصُّوفِ ، لِيْنُ الأصابعِ  
 خَيْطُ الحريرِ المحيرُ في غنماتِ الفتوحِ القديمةِ  
 أنا فوق صهوتها راجعٌ من جراحي البعيدةِ ،  
 والجرحُ نافذةٌ ودمي قمرٌ يَتَوَقَّدُ في شَجَرَةِ الأفقِ ،  
 كنتُ على سَرَجِهَا مَيِّتًا . أتوحدُ بالسَّرجِ شيئًا فشيئًا ،  
 دمي فوق غُرَّتِهَا وردةٌ في مكاحلِها جَرَسٌ يَتَارَجَحُ ما بينَ  
 صوتي الذي غَزَلَتْهُ الرِّياحُ بِأَصْبُعِهَا خَاتَمًا ثم  
 وَلَّتْ به في البراري البعيدةِ  
 وبين صدَى صرختي وهي تطلع في آخر الأرض  
 جُمَيْرَةٌ للعصافيرِ .

وجْهِي - فُتُوقُ مِنَ الطَّمِي يَنْهَمُرُ اللَّيْلُ فِيهَا  
وتَهْوِي السَّمَوَاتُ . .

أَحْتَفِنُ الْمَاءَ أَمْلَأُ يُنبِوعَ جَوْعِي دَنَانِيرَ مَنْ  
ذَهَبِ الْوَحْشَةِ الْمَتَسَاقِطِ أَشْرِي بِهَا  
كَفْتًا وَبِلَادًا أَكُونُ لَهَا مُلْكًا  
وَأَنَا أَتَوَحَّدُ بِالسَّرَجِ شَيْئًا فَشَيْئًا،  
دَمِي خُطْوَةٌ نَحْوَ مُمْلَكَتِي . .

مَهْرَةُ الْحَلَمِ تَرَعَى وَتَخْتَضِمُ الْعُشْبَ،  
وَالْعُشْبُ رَائِحَةٌ مِنْ قَمِيصِ الْحَبِيبَةِ . .  
أَنْظِرْ حَوْلِي :

أَرَى فِي تَرَابِ الْمَوَاقِدِ لَيْلًا مِنَ الرَّحْمَةِ السَّابِغَةِ  
وَأَنْظِرْ نَقْشَ الْكَلَاكِلِ فِي الرَّمْلِ . . هَلْ  
كَانَ عَرَسًا هُوَادِجُهُ رَحَلَتْ أُمُّ هُو  
الشُّعْرُ يَبْنِي لِعَيْنِي مَمْلَكَةً ثُمَّ يَهْدِمُهَا ؟ !

مهرةُ الحلم تخطو بطيئًا بطيئًا  
 ويمتدُّ ليلُ البراري  
 أنا فوق صهوتها مبيتٌ أتوحدُ بالسرج ،  
 تحملني للبلاد التي انتظرت ألفَ عامٍ . .  
 وكلُّ اقترابٍ مسافةٌ هجرةٌ  
 وكلُّ رحيلٍ إليها اغترابٌ وكلُّ مشارفها تنوغل في  
 جسدِ الليلِ  
 تحملني مهرةُ الحلم تخطو بطيئًا بطيئًا .  
 وأنظرُ ونسمُ القرى في ذراع البراري وقد  
 رحلَ العشبُ ، أقوتُ مرابطها ،  
 كتبتُ تحت ليل البراري بأطرافِ قطعانها  
 - وهي ترحلُ - مَرثيةٌ لقدورِ الطعامِ وماءِ  
 السواقي وخبزِ الأمومةِ

تَحْمَلْنِي مَهْرَةُ الْحَلَمِ . . تَحْمَلُ وَرْدَةَ جَرْحِي وَأَجْرَاسَ  
لَحْمِي الْمَفْتَتِ . . أَهْلِي بَعِيدُونَ . .  
وَهِيَ تَرَى طَرَقًا لِلزِّيَارَةِ ،  
تَحْمَلْنِي لِسِرِيرِ التَّذْكَرِ وَالنَّوْمِ فِي قَرْيَةِ الْأَهْلِ . .  
أَهْلِي بَعِيدُونَ ،  
تَحْمَلْنِي مَهْرَةُ الْحَلَمِ تَحْتَ سَمَاءِ الْبَرَارِيِّ وَتَرْعَى  
وَتَخْتَضِمُ الْعُشْبَ وَالْعُشْبَ رَائِحَةً فِي قَمِيصِ الْحَبِيبَةِ . .  
١٩٧٣/٩/٣٠





## وشم النهر على خرائط الجسد «الوشم الثانى»

انعرى الحي عن جيفته وغيلان يفتح  
الساحة بدمه المتكلم والجموع لا تسمع  
ولا ترى مراسيم قتل الملك.

بين عينيّ دمي ، فوق جبيني  
مورّدٌ بيني وبين الساحة الممتلئة  
بيطون الأمهات  
ومحاريث العيون المطفأة  
(أنتَ في هوة أعماقي غابة  
طلعتُ ناراً من الصخر ، ينابيع قراش مشتعلُ  
ونوافير طحالبُ  
دوّمتُ تحت انفراط الطيف بدءاً  
من تواقيع النهاية . . )  
وأنا كنتُ بأخلاق المشيمة  
هارباً نحو جذور الشمس في لحم الظلام .

كانت الساحةُ ملاءى بالعظام  
 ربما يأتي البدائيون من ليلِ الفروعِ  
 يحملونَ العالمَ الطالعَ من همهمةِ الخوفِ  
 وأعراسِ القبيلةِ  
 (آه يا مختبئاً في قشرة العالمِ  
 يا منكشفاً بين الضلوعِ)  
 يَقلُّونَ القمرَ الصامتَ أنثى ، والسحابةُ  
 مهرةٌ تصهل في الأفق فتشققُ المدائنُ  
 (أنت تأتي . . شبحاً يلبس من ماء المرايا  
 جسداً ، تخطو إلى الساحة ما بين الشهودُ  
 كلما نَقَلْتَ أقدامَكَ . . فَرَّتْ في الزوايا  
 صورةُ العالمِ ، وانشقَّ القناعُ  
 فتعرَّى الحيُّ عن جيفته واخترقتْ ليلَ العيونِ  
 صرخةُ الموتى على الموتى . . وما كان يذوب  
 بين عينيَّ أراه يتجسّدُ

وهو يمضي هاربا في جسد الليل العظيم . .  
 وأنا أبصر ظلي ساقطاً بين العيون  
 يفتح الساحة كالشفرة ، ينصبُّ بأعتاب البيوت  
 وأنا أرقص فوق الخشبة  
 رقصة الذاكرة الحبلى بعرس الماء والنار  
 وأيام الحوار  
 (حين كان الموت يأتي كل عام  
 في خطى قابلة القرية يرمي كعكه المر  
 وإكليل الفطام  
 كنت في موعد ميلادك تبكي وتغني .  
 عاقر القرية تُعطي بيتك الخائف سبعا من  
 كرات الخبز . .  
 في كل رغي / طبقات الأرض  
 كي يمنحها قطعة ثوبٍ وجديلة  
 يبدأ الحمل الطقوسي المخيف

بعبير الجسد الظامئ إذ تدخلُ من طوق القميصُ  
ساقطاً فوق الزوايا والتتواءات إلى الأرض  
فيلقاك فراغُ القدمين

سبعَ مرات . . وفي كل عبورٍ  
كرةُ الأفق ارتمت بين يديك  
يومها كان الردى يرتدُّ عنك  
تاركاً زهرته الخضراء وشماً بارزاً في ساعدك .  
وأغني بأكاليل الدمِ النازفِ : آه  
من تُرى يَعذُرُنِي مَن رَأُونِي جائعاً  
واكتنزوا/ طُرفَ العالمِ، أنسابَ الإمامةِ  
فانظروا يا فقراء الأرض . .  
هذا دمُكم

في سروج الخيل أجراسٌ وفي شالِ العمامةِ  
مدنٌ يَمسُخُها النقشُ رسوماً شجريةً  
وانظروا يا فقراء الأرض . .

هذا الحكم  
حينما يُنْضِجُ الرعبُ الخرافيُّ يَجِيءُ الأمويُّونَ  
ويأتي الفقهاءُ  
في لغات العصرِ . . تمتدُّ المسافةُ  
بين كفي ولساني ،  
نطفةُ العالمِ تَنْصَبُ سَيْوَقًا ، والمسافةُ  
بين رأسي وفروع الشمسِ تمتدُّ حبالاً  
كرةُ الأفقِ تضيقُ  
وتلفُ الريحُ أنشوطَها ، تنسجُ حول الرقبةِ  
عُقْدَةَ الصرخةِ .  
ظلي كان في الساحة يبكى ويغني للقيامة :  
انظروا . . في جسدي فرحةٌ ينبوعٍ مفاجئ .  
(كان جرحي غربةً مكتوبةً فوق جبيني  
يومها . . حطَّ على صدري صقرٌ معدنيٌّ من  
لغات الأرض من أجناسها

يَنْقُرُ الْقَلْبَ . . تَعَرَّفْتُ بِعَيْنِيهِ عَلَى مَوْتِي الصَّدِيقِ  
حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى صِمْتِ الْمَلَائِكِينَ الْمَدَانَةِ  
يَوْمَهَا . . كَانَ كِتَابُ الذَّاكِرَةِ  
بِرَعْمِ النَّارِ رَمَادَ الْحَطْبَةِ  
قَطَعُوا رَأْسِي . . فَأَبْصَرْتُ بِهِ يَهْرَبُ مَخْبُوءًا  
بِأَسْرَارِ الْكِهَانَةِ  
فَابْحَثِي عَنْ جَسَدِي الضَّائِعِ فِي أَزْمَنَةِ الْهَدْمِ ،  
خُذْنِي لَكَ طِفْلًا يَقْطَعُ الْغُرْبَةَ شِعْرًا وَبُكَاءَ  
عَلَّمَنِي رَقْصَةَ الْمَوْتِ الرَّشِيقِ  
وَاخْذِنِي لَكَ زَوْجًا وَإِمَامًا . . )  
انْظُرُوا . . فِي جَسَدِي فَرْحَةً يَنْبُوعٍ مَفَاجِئٍ  
انْظُرُوا . . فِي جَسَدِي تَخْتَبِئُ الْأَرْضُ وَتَصْحُو  
كَلِمَا طَوَّحَنِي الْعَالَمُ فِي دَائِرَةِ الْمَوْتِ الرَّشِيقِ .  
(أَنْتَ فِي هُوَّةِ أَعْمَاقِي غَابَةٌ)

طلعتُ نارا من الصخر، ينابيع فراشٍ مشتعل  
ونوافيرٍ طحالب  
دَوَّمتُ تحت انْفراط الطيف . .  
ثم انتظرتُ  
جسداً يمنحها مملكةَ الأفق العميق . . )

١٧١/٩/٢٠



# أكتب نافذة على مملكة الموت الآخر

هو الماءُ:

جرحُ الينابيع ، بوابةُ تترجّلُ منها  
فلولُ الغمامِ إلى ساحةِ النهرِ ،  
والماءُ مخطوطةُ تترجّلُ منها وجوهُ القبيلةِ  
نسلاً فنسلاً ، وعينايَ في شاطئيه الواسعينِ  
صوتُ المحارِثِ ، صوتي انفتاحُ القشورِ عن  
الحبِّ ،

صوتي انفتاحُ النوى وامتلاءُ العناقيدِ .

والماءُ نافذةُ الحلم :

هذا هو الماءُ يطلع من عطشِ الحلمِ مملكةً  
للفضاءِ المقبَّبِ .  
ينتظمُ الشمسُ في غليانِ الخليقةِ والقمرُ  
المتأرجحَ

(في جسدي مطلعُ الشمس من جسدي يتقوَّسُ  
 خطُّ الفراغِ ويزرغ وجه القمر.)  
 وشعبٌ من الماء يَمْرُجُ تحت رمال البدواة  
 أصرخ فيه لعل نوافيره تشقُّ عن غابةِ  
 الفقراء وأرجوحة العنف (يملؤها  
 القمحُ تلمع فيها المناجلُ)  
 أبكي له في غواشي الرؤى ،  
 جسدي يتوهج بالشمس خلف نوافذه الموصدة  
 أغني وأكتب أقمارَ عشب مجنحةٍ وشموساً معلقةً  
 بالشبابيك ، أكتب إكليلَ فاكهةٍ وأضفره في  
 زواج الماويل والماء والطيني ،  
 أكتبُ فجرَ المواني وقُبرةَ الموج والسفن العائدة  
 وأكتبُ شالَ الصبايا الملونَ أكتبُ أجسادهن  
 المليئةَ بالردة الموقدة  
 وأكتبُ أغنيةَ الريش والقش أكتبُ تاجَ

العصافير للرحم الواعدة  
 وأكتبُ جوعي على واجهات المتاجر، أكتبُهُ في  
 الرياح الثقيلة بالغيم، أكتبُهُ في احتلام  
 التلاميذ وقت البلوغ، وأكتبُهُ في سروج الخيول  
 ووشم الرصاص على قبة الجامعة  
 وأكتبُ جوعي مظهرةً تستحم بدمع الشوارع تكبرُ  
 تحت الهراوات تدخل أروقه السرّ  
 تحلم بالثورة الغامضة  
 يحاصرني الليلُ .

الْبَسْهُ، أكتبُ الليلَ جَنِيَّةً تتمدد في  
 فرشة الأفق دافئة الفخذين وناضجة  
 الثمر المتفجّر بالعشق، أرقد بين يديها  
 وأسكنها وطنًا أتكشفهُ  
 (وجْهك الحلوى أول الحلم يا آخر الحلم تفاحةُ  
 نضجت ونقاسمها صدى السيف والرعب،

وجهك يا أول الحلم يا آخر الحلم خيمة .  
 وتحت الضفائر كانت خطى قمر الجرح تدنو ،  
 يفتق جلبابه الدموى وينسج من جرحه  
 عنكبوت الفضاء مناديل حمراء .  
 هذي هي الأرض تنشق طبيئها والفضا مطر أحمر ،  
 وجهك الحلوى أول الحلم يا آخر الحلم مغسل  
 والدماء تتفجر أمطارها شجراً شجراً . .  
 وجهك الطفل غابة  
 تُسيجها صرخة الموت

أكتب جوعي رغيفاً ورمحاً وشمساً أخبئها  
 في قميصي وأدخل . .  
 هذا هو الشجر المعدني يد فروع  
 الشظايا مسننة ويد عناقيد القنفذية  
 ينتصب العشب كالشقرات الصديئة  
 (أدخل أم تدخل الغابة المعدنية في جسدي؟!)

وأواجه وحشَ الكلام المدججَ، وحشَ  
السكوت الخرافي . . أبصر موتي المضيءَ  
يلوحُ لي ضاحكا في مرايا العناقيد والعشب،  
يقطف لي زهر خشخاشه ويقاسمني النومَ والحلمَ  
(هل أنت واقفةٌ في الشبايبك تنتظرين بريدي الذي  
لن يجيء؟)

١٩٧٣/١٢/٢٢

# وشم النهر على خرائط الجسد «الوشم الثالث»

إلى غيلان الدمشقي  
وهو يجدد شهادته على مفترق الطرق  
بين النوم الألفي والثورة المغدورة  
والموت المغموم

- ١ -

هى الشمسُ . .

هل كانت الأرضُ رمانةً تتخلَّق فيها أجنَّتُها الخضِرُ،

هل كان ما في عروقي غمامة

تفتقها الريحُ، تجدلُّها موسماً يفتح في سرِّ الأرض،

تنسجها حمرةً تتكشف

تنسجها رَحماً ومشيمة؟!

هل الأرضُ رمانةٌ جسدي جذرها الشبكيُّ،

هل الشمسُ كانت رصاصاً يُثَقَّبُ أفرعها (جسدي)

مانحاً جسدي شكله بالفراغات والكتل

المستحمة في قزح الدمع

والدمعُ قوسُ الأفق؟!

هى الأرضُ . .

هل كنتُ أنشوطةَ الصيد بينهما



أم أنا السمك المتحجّر في مائها المشتعل ؟  
 هي الشمس والأرض . . رأسي الفضاء ، قدماي الممالك ،  
 بين الأصابع كانت قرى النوم والمدن المستحمة  
 بالليل ، بين الأصابع كانت رمال الظهيرة  
 سقوفاً تُدرّبُ أوطانَ موت وأكفانَ جوع وغربة  
 تبعثر أجناس أرضفة ولغات ، تبعثر حبّ المواريث ،  
 تُنبِت نخل الحجارة  
 تمد موائدّها . . كل شيءٍ مضيءٌ . . وليمتّها رأسٌ  
 تتخابثُ  
 بالهمس ، يقطر منها دمٌ يتخاصر فوق الصحف  
 ويلتفّ أفنعةً وكلاماً - كلاماً  
 يخثره الخوف .  
 كانت رمال الظهيرة  
 تكوّرهُ شجراً حجرياً التفرع . . يا ساعة الرمل . .  
 هل أنتِ آنية الغضب المتفتّت هل أنتِ رمانة الأرضِ

يُخْتَضُّ فَيْكِ الْفِرَاقُ - الرَّمَالُ - الْكَلَامُ  
وَهَلْ أَنْتِ مَوْعِدَةٌ لِلْهُوِيِّ حَطَامًا عَلَى رَكْبَةِ الصَّرَخَاتِ  
الْقَدِيمَةِ

وَهَلْ أَنْتِ مَنْدُورَةٌ لِلتَّخَلُّقِ أَرْغَفَةٌ وَوَجُوهًا وَأَحْصَنَةٌ وَدَمًا  
تَتَخَاصَرُ فِيهِ الْعِدَاوَاتُ وَالْخُوفُ وَالْقَهْرُ ،  
يَرْقُصُ فِي شَهْوَةِ الْعَنْفِ ، يَكْشِفُ لَيْلَ الْغَرَائِزِ  
وَالشَّهَوَاتِ الصَّرِيحَةِ ،  
يَلْبَسُ كَنْزَ هَوَا جَسَدِهِ وَيَمْدُ يَدَ الْخَلْقِ بَيْنَ  
الرَّمَادِ وَيَخْطُو خَطَى الشَّكْلِ بَيْنَ هَيُولَى الْقِيَامَةِ أَمْ أَنْتِ  
يَاسَاعَةُ الرَّمْلِ كِرَاسَةٌ لِلْمَوَاقِيتِ . . فِي كُلِّ سَطْرِ  
تَصَارِيفُ أَرْضٍ يُغَمِّسُهَا الْبَحْرُ بِالْمَلْحِ يَأْكُلُهَا  
لَقْمَةً لَقْمَةً ثُمَّ يَكْتُبُ :

« هَذَا شَتَاءُ الْمَطَرِ

أَتَى كَرِغِيفَ الطَّحَالِبِ . . هَلْ يَغْسِلُ الْمَاءُ أَطْرَافَهُ  
أَمْ يَجِيءُ دَمًا مِنْ فُسَادِ الْعُنَاصِرِ وَالْوَقْتِ ،

هل يغسل الماءُ ما خَلَقَتْهُ اليَدُ البائِدة  
وهذا ربيعُ المواقيت أم موعِد للشجر  
يفتق من قشرة الوقت أكامه الهامدة ۱۱»

- ٢ -

نافذة من الزجاج المعشق:

هي الشمس . . سَمَرَهَا عنكبوتُ الشظايا،

سفينةُ نوح على الأرض،

وجهُك يا طفلة الحلم والرعب منقسمٌ

مستريبُ المساحات، أثوابُك امتلأتْ

بعطايا التناقض:

من تحتها سرُّ تسفق،

هذي جيوشُ السلاطين هامدةٌ في السكون الملون

(لا تعبري النهرَ يا طفلتي يا غزالةَ رعيي

وحلمي المكثف . .

يأتي زمانُك . . يأتي زماي . . فنعبر في

جسد الرقص، نخترق الصرخة الحجرية)

هي الأرض . .

هذا الدمُ المتخثرُ ، وجهُ الحسين ،  
وعيناهُ كأَسَادمِ ،  
والشهادةُ بين ذراعيه : طفلٌ تكلمُ في جانبيه  
الفتوقُ السخية  
ودائرةُ الرملِ كعكتهُ وفطامِ الشفاهِ الطرية .  
هي الأرض . . .  
قارورةُ الظمأِ المتجذِّرِ بين التعاشيقِ .  
(هل كان يدري الحسين  
بأن المياهَ الأسيرةَ ملحٌ أجاج  
وأن اشتجارَ السهامِ على الأفقِ فاتحةٌ  
في كتابِ المطرِ؟)

هي الأرض . . .  
نافذةٌ للغيومِ الأسيرةِ ،  
لا تعبري النهرَ يا طفلتي يا غزاةَ حلمي المكثفِ ،  
هذا هو الله يمنحني ساعديه ،

وهذا هو الشعب يقذفني حجراً في سكون  
الزجاج الملون . .  
فانتظري . . جسدُ الرقص يبدأ رعدته الدافئة . .

- ٣ -

تقدّم معي أيها الجسدُ - العبدُ  
وامرق كما يمرق الرمحُ، هل صرخةُ أنتَ  
مكتوبةٌ في  
نسيج الشوارع أم أنتَ دوامةٌ تتجسد في  
مدن تتقشّر تحت نصال المطر!  
ويابقةٌ من دمٍ كتبتّها المدائنُ . . هل أنتَ مكتوبةٌ في  
المياه  
أم الماءُ جرحُ الكتابةِ!

تداعيات عصرية:

كنتُ - من نخل النعاس -  
أحمل الطمي الخرافي وأعطي  
- من عطاياه - كتابات الحواس  
فأرى العالم حولي غابةً من شجر الصخر،

ونافورة ماءٍ ونحاسٍ

نُصِبَتْ خِيمةٌ موتي . .

والعروسُ الخشبية

عُرِستْ في مركزِ الساحة . . والساحةُ ينبوعُ

دمٍ تحت ثيابي

فاضحكوا بعد رحيل النعش بالموتي ،

كلوا خبزَ الشعائر

وانظروني . .

تطلع الشمس نصالاً

يسرعُ الغيمُ / البلادُ المبهمةُ

تفتح الريح كتاب المطر / الأرض التي تفتح من

شهوتها أخذودها البكر فتَهوي مدناً

شاخَتْ وعراها سقوطُ الأقنعة

تفتح الريح كتاب المطر - الشوك - الهواجس

فأرى النار التي تبرق من بين حروف الماء



أصواتَ لغاتٍ ، مدناً ترجُفُ في لحم المساحات التي  
تكنسها الريح من الإرثِ ،  
أرى وجه المطرُ  
ألبسته الأرضُ من لحم المساحات  
(التي تسقط أو تولد)  
أثوابَ الفصول الأربعة  
يتمشى في التواريخ دماً - نفطاً - حصى من  
أدعيات الفقراء  
واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين  
وما كان ربُّكَ ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .  
وغيوماً كتبَ البرقُ بها وجه البلاد المبهمة . .  
هو الماء . .

جرحُ الكتابة ، أوراقها الصفرة والخضرُ ،  
يمحو ويثبتُ ، والماء طمثٌ على قدم المدن الراحلات إلى  
أول الليل والماء طمثٌ على راحة المدن المقبلاتِ ،

ووجهي - الشواطئُ .  
 (فلتضربي يا مياه الكتابة  
 برجرجة المحو ، هذا هو الجسد المرتخي :  
 وطنٌ عَمَرَتْهُ الكآبة  
 وضوأت اللغة المستباحة والغمة المستجابة  
 مساحاته . . فاضربي يا مياه الكتابة . . )  
 ووجهي - الشواطئُ . . تلك «دمشق» التي كنت أغسل  
 أقدامها وأراها على شجر القلب رمانةً  
 تتخمرُ فيها أجنَّتُها الخضرُ ،  
 هذي دمشق التي أسلمتني وكنتُ بساحاتها  
 أتكلّم . . كان الكلامُ يحمم في  
 جسدي بأشتباك الغرائز ،  
 وشَحَّتْ وجهي بلون الردى  
 وانفعال الشهادة  
 أنا جسدٌ يسكنُ الصوتُ أعضاءه . . وأنا الصوتُ

أُسْكِنُ فِي جَسَدِ الشَّعْبِ  
وَالشَّعْبُ يُبْنِي الْقَرْيَ (أَرَأَيْتَ الْمَلُوكَ إِذَا  
دَخَلُوا قَرْيَةً؟) كُنْتُ أَغْسِلُ وَجْهَ دِمَشْقَ  
وَأَقْدِمُهَا وَأَرَاهَا عَلَى هُودَجِ الْعُرْسِ ..

(فَلتَنْسِجِي كَفَنِي يَا بِلَادِي  
فَوْجَهَكَ مَحْوُوجْهِي، وَنَهْرَكَ مَرْتِيَةً فِي الْعِمَادِ  
وَأَنْتِ .. أَزْرَعِي خَشْبًا لِلتَّوَابِيثِ  
وَلتُكْتَبِي فِي الرَّمَادِ  
وخطي مصائرُكِ الهمجية .. لَا أَنْتِ مَسْكُونَةٌ،  
لَيْسَ هَذَا الدَّمُ الْمُتَخَثِّرُ مِنْ نَظْفَةِ الْخَلْقِ،  
لَيْسَتْ بِلَادِي بِلَادِي.)

وَكَانَتْ تَحُلُّ ضِفَائِرَهَا تَحْتَ أَلْوِيَةِ السَّبْيِ  
تَنْثُرُ أَبْنَاءَهَا فِي نَسِيجِ الشَّوَارِعِ

في كل وجه تواربُخُ نوم يُقَزُّعُه الحرسُ الملكيُّ،  
 وتحت القنوط المداهن نافورةُ الغضب المتأكل  
 تَبْرِقُ تصدأً . . هذا أنا غضبُ النارِ نارُ الغضبِ  
 وهذي النعوشُ المليئةُ مسبحتي ودمي طالعُ  
 في عروق الخشبِ  
 أنا في الرغيفِ الخميرةُ، في السوق سرُّ الربا،  
 في كنوز الصبايا قُشْعْرِبَةٌ،  
 وأنا فيضانُ الكلام المؤجِّل . . أحمل وجه  
 دمشقَ على شجر القلبِ رمانةً،  
 أتحوّل في النهر دوامةً من حجارة

(وحدثني أنه اصطنع الأمويين والشعبَ  
 نهريْن بينهما برزخٌ عسسٌ وسجونٌ  
 وأقلامٌ فقه ملونةٌ)  
 قال : فانظر . . فأبصرتُ . . هذا هو الكلُّ . . فانزرعي

يا بلاد الرعية بالخيل وانزعي بالرماح الطويلة  
 وكترحفي مثلما يزحف السيل  
 فلينقسم كل بيت على نفسه كل ماء على نبعه  
 وانفجر يا زمان الرضاعة أزمنة للعداوات  
 والقتل والثأر . . قومي ازحفي يا بلاد الرعية  
 وانقسمي قسمة تتوحد تحت رحاها السنابل،  
 هذا دم تتوحد في أرضه مهرة الحلم،  
 يكتسح الماء  
 والماء نهران بينهما برزخ . .  
 فلتقومي . .

فتوى للغضب:  
 باسم من أكتب. والليل أمامي كتب مصفوفة  
 والشعب لا يقرأ؟!  
 فلا تكتب:

ضربنا مثلاً ما ملكاً كان هو الساحر والكاهنُ،  
 والغابة طقسٌ جسديٌّ، كانت الغابة فيه  
 شجراً منتظراً والنومُ تاجاً من فراء المطر الأخضر  
 والصيدُ انفساحَ الدهشة البكر، وكان الصولجانُ  
 قمرَ العشب ونهرَ الدم ما بين أقاليم الخواسِ.  
 أرايت القمرَ الأخضر يطفو في الينابيع؟ أرايت السمك  
 الوحشيَّ يلتفُّ به، يأكل من أحشائه، يرتدُّ في  
 سُلّمه الهابط للموت بطيئاً؟  
 أرايتَ الملكَ الكاهنَ تستعصي عليه لغةُ السحر؟  
 أرايتَ الجسدَ الذابل تنشقُّ عليه الغابةُ - النهرُ - المطرُ  
 فهو في جوع القبيلة  
 موسمٌ يبدأ، في أرحامها وقتُ دمٍ يفصل بين الموت  
 والخلق؟  
 وهذي لحظةٌ تنفتقُ الذاكرةُ الجبلى بها . . والشعبُ  
 يرتدُّ إلى حريته يشحذُها،

يرجع للطقس وميثاق الذكورة .  
 رأيتَ الملكَ الساقطَ ما بين الحرابِ  
 جسداً منفرداً السرّ؟ رأيتَ الشعبَ إذ يغمسُ  
 كفيه بعنقود الدم الفاتر أو يغسل أطراف الحرابِ  
 خالِعاً طاعته ، متّشحاً بالرعب والجرأة؟  
 كان اليومُ من أرغفة الخلق الطقوسي . . وكان الرقصُ  
 شعباً طالِعاً كالنهر ، كان الرقص عرشاً - صولجاناً -  
 جسداً يولد ، كان الرقص تاجاً ، والقبيلةُ  
 ملكاً ، والرقصُ والحربةُ بهواً للمراسيم .  
 رأيتُم؟ !

وأنا أكتب أمثالا :

أرى في جسد الشعب ينباع العميقة  
 مُلئت بالسّمك الوحشيّ ، والنهر الذي يفجأ بالبرق ،  
 أرى وجه القمر  
 بازغا في أفق الجوع - الدم - الرقص - الحرابِ

(أسمعتمُ صوتهَ في الجسدِ الذابلِ يبكي ويغني؟)  
فاخرجوا . . هذا هو البرزخُ . . هذان هما النهران . .  
فارموا عن يدين . . اقتتلوا  
فالدُّمُ القادِمُ أرضٌ، مهرةُ الحلم . .  
سمعتمُ؟!



- ٤ -

أنا فى دمشق التي كنت أعشق غَمَازَتِيهَا  
 أمرٌ مرورَ الهواءِ المِراوِغِ  
 تمتدُّ بي شجرةُ الموت كالقلعِ  
 من حولي الأرضُ مركبةٌ جنحتُ . .  
 أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر  
 فأردت أن أعييها وكان وراءهم ملك يأخذ  
 كل سفينة غصبا..  
 ولكنهم أسلموني . . هي الأرضُ معطوبةٌ،  
 فانتظرتُ . . أكانت مرايا الكلام رماديةً  
 لست تدري أتبصر وجهك أم وجهَ جلادكِ  
 المتخفي وراء الزجاج أم الموتُ  
 يرقُب ميعاده بين عينيك !!  
 خيلُ «هشام» مطهَّمةٌ وهو يعبرُ بين الجماهيرِ

(هل هذه الرغوة البشرية من فقراء الرعية  
 أم طعمة الحرس المرتشي تتخفى وتصطنع  
 الفقهاء وتعقد من زحمة المهرجانات أفنة؟)  
 وخلت ساحة الموت (والأرض لافئة قشرتها الحوافر)  
 والليل يهبط . . يهبط . . تمتدُّ بي شجرة الموت في الريح  
 يأبها الطائر المرتخي . . جسدي أفرع  
 تتوجع ، هل قادم أنت ملتجئاً لعشاش  
 الجروح لتكمل نومك أم أنت مرتعد  
 والمسافات تحت جناحيك تفقس أرضاً وشعباً؟  
 أنيخي على الأفق يا ناقة الموت ، وارتحلي ،  
 ها هو القمح والنخل أبسطة والجيش الغربية  
 واقفة في المداخل والشعب يبني القرى  
 (أرايت ملوك السلالة إذ يدخلون القرى؟)  
 وأنا جسد الصرخة الراحلة  
 سلام على النهر في كتب الفيضان المؤجل ،

ألقي سلاما على زهرة الإنقسام التي تتبرعم في  
خرق الجوع والخوف  
ألقي سلاما . .

١٩٧٣/٨/١٧



# حُلُمٌ تَحْتَ شَجَرَةِ النُّهْرِ

- ١ -

أنت . . هل أنت بلادُ الدفء والأرضُ قميصٌ فوق  
أكتافك محلولُ العرى والبحرُ في حقوك محرورُ  
رمى سرواله الأخضر واستلقى نعاسا  
تحت أفيائك -

والأرضُ صراخٌ نثرت فوق مهاويه القرى<sup>(١)</sup>  
واستنبئت من ركضه الهالِع أسوارُ المدائن  
فأنا أبحر فيها؟

---

(١) البستاني القرى عُرْبها معطفًا وأساورَ طينية  
من مجاعاتها، وهبتي قبيل رحيلي زوادةً من  
مواويلها، والبكاءُ برجلي خفان، أبوابها موعِدٌ  
للبياء واعتابها غربةً تترجّل في وطن الروح،  
والنارُ أحصنةٌ حمحمت تحت شمس الشراسة،  
ألقت بفردسانها في برار من الماء والنار،  
والنهرُ يغدُرُ بالجلث الطافية  
وكل القرى انتظرت جلث الميتين بعيداً . .  
فهل يفتح النهرُ أبوابه في سواعدهم،  
هل يجيئون . . هل؟

## - ٢ -

جسدي يطلع من طيته، والغمرُ محفوظٌ بلبيل الخلق،  
والله على جوهرة الخضر<sup>(١)</sup> يدعوني كتاباً وقراءة  
وأنا أسمع صوت الشجر الطالع في الرعد  
فأدعوه رغيماً وعباءة<sup>(٢)</sup>

آه من تسمية العالم :

رعبٌ يفتح العالم للهجرة في الموت،  
وموتٌ يفتح الأفق على مملكة الماء . .  
اسمعيني

فأنا الطالع ما بين يديك

---

(١) هذي جُذاذةٌ قول من الكتب الصفر تطفو  
إلى مطر الخلق من غرين الشهوة الجامحة،  
وتخضرُ ما بين متن وحاشية ثم تُقرأ في ورق القلب  
(والقلب ساعةٌ طمي يرفرف ميقاتها في فضاء الدما)  
ثم تأخذ وجهها يُجددُ في جملة القول ركنين : فعلاً وفاعلاً.  
(٢) أكنْتُ أنا أرْتديها . . أكانتْ مخْتَاةٌ تحت جلدي؟  
زماناً أرْقِعُ والخرقُ ليس بضيق، وهانذا خالعٌ جسدي

مُبْحَرًا، (تَنُورُ مِيقَاتِكَ يَخْلُو مِنْ رَمَادِ الْوَقْتِ)، نَارٌ  
 طَلَعَتْ مِنْهُ، وَنَهْرٌ فَائِرٌ بِالْمَاءِ يَنْشَقُّ مِنَ النَّارِ . .

اسْمَعِينِي

فَأَنَا عَصْفُورُ مَاءٍ، وَطَنِي جُمَيْزَةٌ أَسْقَطَهَا الْبَرْقُ،  
 وَفِي مَمْلَكَةِ الرِّيحِ دَمِي فُسْحَةٌ حَلِمٌ بِالْبَرَاءَةِ  
 وَأَنَا أَبْحَرُ . . هَذَا جَسَدُ اللَّيْلِ، وَهَذِي  
 مَدَنُ الْبَحْرِ<sup>(١)</sup> الْمَضَاءَةُ . .

---

(١) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا . . /

فَمَنْ يَسْتَطِيعُ كِتَابَةَ مَرْتَبَةِ الْمَدَنِ الرَّاحِلَاتِ . .  
 تَمُرُّ جَنَائِزُهَا، كُلُّ مَوْتٍ وَلايَةٍ  
 وَكُلُّ الْوَلَايَاتِ بَاعَتْ مَفَاتِيحَهَا،  
 قَطَعَتْ مِنْ صُكُوكِ الرُّؤْيَى شَجَرًا لِلْقَرَى وَالسَّقَايَةِ.



- ٣ -

كان ماءً يابساً . .

يطلع أشجاراً ويمتد رصيفين من الظلمة ،  
 قاعٌ هذه الأرضُ ، على أكتافنا من كرة البحر<sup>(١)</sup>  
 ظلامٌ يابسٌ من جمَد القطب ،  
 ومن مملكة الملح شعوبٌ طلعت :  
 تحت قشور الجسد الرخو نزيفُ العشق والموت ،  
 نوافير الدم الناضج في نخل العداوات وأنساب القبيلة  
 وأنا أكسر من فوق النواويس وأحجار المياه  
 خاتم الطمي . .

افتحي في كرة الليل الدهاليز

---

(١) وهو في مملكة القلب جاذبية الهدم وأفقُ

التناثر وبعثرة الأشلاء ،

باسمه أنكسر ، وعلى راحتيه أسيل دماً نافراً منشقاً ،  
 وأطير زفرةً مبطنّة بالخوف ومحشوةً بالعشق الوحشي  
 المعارض ، وفي جسدي يتكلم ماءُ الينابيع .

أنا أكسر اختامَ الملوك ،  
 انتشري من ورق الوقت وجميزة نيرانك . .  
 في كل كلام<sup>(١)</sup> شَرَك يَخْتَانُ نهديك ،  
 اركضي في خطواتي والبسيني جسدًا ،  
 وانتشري من ورق الصرخة والفتح . .  
 أراهم يَقْتُلُونَ الآن أبناءك ،  
 يَسْتَحْيُونَ أبناءَ الممالك  
 فهل أَسْمِيتِي قبل الرحيل  
 وطنًا هل أنت خبأت بأعضائي شعبًا ؟  
 وأراهم يقبلون  
 مدنا تصهل في أهدابها الظلمة ،  
 في أحراشها تشتبك الحيتانُ ،  
 في أرصفة الليل الثقيلُ

---

(١) رأيتُ الكتابَ سجنًا والسجنَ كتابًا ،  
 بينهما جسدٌ مصلوبٌ تنقرُ العصافيرُ عينيهِ :  
 إن فتحهما عَمِي وإن أغمضهما رأى وإن  
 رأى احترتُ أوراقُ قصيدتهِ وذهبَ دمه هدرًا

تَتَعَرَّى شهوةُ القتل البدائي على ألحفة العرس . .  
 اركضي في خطواتي قبل أن يَسَاقَطَ الغرِينُ من  
 جميزة النهر<sup>(١)</sup> فإني

[أنتظرك على كل فج فانبسطي  
 كالبر والبحر وارتنعي كالسمااء المرتفعة،  
 فإني أرسل النار بين يديك

فلا تدور ولا تستقر<sup>(٢)</sup>]  
 وأرى في جسدنا صخبَ الحلم القديم :  
 [ أيتها النائمة هلمي فاستيقظي وأبشري  
 فقد أنزلت المائدة ونبعتُ عليها عيون الطعام

---

(١) والنهرُ في مصحف الأرض قد كتبه يدُ الرب في سورة الماء، كلُّ  
 القراءات مكتوبةٌ في صحائفه :

كان أبيضَ أحمرَ أخضر -

من كان ذا بصرٍ فليرَ الآن ماذا تقول الحواشي التي  
 كُتِبَتْ في لفائفه ثم فسرَّها الطلُعُ والشجرُ الآدمي  
 اقرءوا . . كل شيءٍ قراءة .

(٢) من النفري .

والشراب وسوف يأتونك فيروني عن يمينك  
وشمالك ويكونون أعوانك ويغلبون  
لأن الذي يقاتلهم يقاتلني وأنا الغلوب  
فُتحت الأبوابُ عليك  
فتزيتي وزيني الشعوبَ بيهائي<sup>(١)</sup> . . ]

---

(١) من النفري .

## - ٤ -

كرة اليباس والماء . . انظر لها  
 قشرة من حول أعضائي . .  
 ويساقط من جميزة النهر دمُ الوشم على رأسي ،  
 وتاجُ الطمي مختومٌ على هيكلي النَّائمِ في الموتِ . .  
 أرى تحت قماط الكفن الحائل  
 أيامك تأتي هودجاً يكسر أختام النواويس . .  
 انظريني : ملكا ألبس تاجيك  
 اخلعي خلخالك الفضي . . هذا حجرُ  
 الماء يغطيني ، اكشفي وانكشفي ،  
 بطنك بيضاء وحمراء وخضراء ،  
 وقال [النهر] لي :  
 [انصب لي الأسرة وافرش لي الأرض بالعمارة  
 وارفع الستور المسبلة لموافاتي فإني أخرج  
 وأصحابي معي أرفع صوتي وتنبتُ شجرة

الغنى في الأرض ويكون حكمي وحدي،  
ذلك على المعيار يكون  
وذلك الذي أريد<sup>(١)</sup> . ]

١٩٧٣/١١/٢٩

---

(١) من التفري.

## وشم النهر علي خرائط الجسد «الوشم الرابع»

[هل أنت تحلم فالشمس طالعة في صراخ  
المواويل والنهر مختبئ يتكلم تحت سريرك  
والنوم بوابة تتدفق منها موارثك الصامتة؟!]

رَأَيْتَكَ طَالِعًا،

وَرَأَيْتُ شَمْسَ الدَّمْعِ طَالِعَةً وَرَاءَ

قَمِيصِ سَعْرِكَ وَالظَّهِيرَةَ نُخْلَةً الْوَشْمِ

الْمَدْلَى فِي فِضَاءِ الْحَلَمِ، وَالْمَوَالَ بُوَابَاتُ أَرْضِكَ:

هَذِهِ تَغْرِيبَةُ الْخَيْلِ الْفَنِتَةِ فِي

مِرَاعِي الدَّهْشَةِ الْخَضِرَاءِ، وَالْبَحْرِ الْمِرَاهِقُ وَرْدَةً

فَتَحَّتْ عَلَى زَيْدِ الْغَرَائِزِ جُلُودَ الْعَرَسِ الْخِرَافَةِ،

هَذِهِ فَرَسٌ مُجْتَنِحَةٌ تَهْمُ إِلَى سَرِيرِ الْأَفْقِ،

هَذِي كَانُنَاتُ الْمَاءِ جَامِحَةُ اللَّيُونَةِ تَفْتَحُ

الْجَسَرَ الْمُرَابِطَ هُوْدَجًا لِتَسَاكُبِ

الْأَجْسَادِ فِي الْأَجْسَادِ.

شَمْسُ الدَّمْعِ طَالِعَةً وَفِي قَوْدَيْكَ نَافِذَةٌ

الْعَصَافِيرُ الْأَسِيرَةُ، صَمْتُكَ الدَّهْرِيُّ خُبْرٌ فِي انْتِظَارِ

الْأَكْلِينَ، خَطَاكَ نَقَشُ دَانِمُ التَّجَوَّالِ فِي لَحْمِ الْكِتَابَةِ<sup>(١)</sup>



أنت تغتصب الهيولى زوجةً وتردّها مكتوبةً في  
 مصحف الأراض البراح ، وأنت في ظلماتها شبحٌ  
 يضيءُ نوافر الجسد المقدس بالفصول ، يضيءُ تحت  
 دوائر الشدين أجران السنايل والمواويل المليئة  
 بالخيول الخضراء ، يفتحُ في خشونة عشقها وطناً  
 ومملكةً لأبناء السبيل وأنت عرشُ النوم في  
 أعضائها . .

---

(١) كتابك يطلع بين الأظافر واللحم عرساً من  
 الصرخات وطمياً من الغضب المتشي بالمياه العميقة ،  
 يطلع من رجفة الجرح تحت نصال المطر /  
 ويطلع : برديّة زغب تشقق من تحته صفحة الوجه  
 والنقش عصفورة الخوف ، والله يسكن في  
 وحشة البوص ، وحهك في نخلة النهر طلع الكلام ،  
 وطليّة العائلة / مقسمة بين أيدي المالك ،  
 مكتوبة في حدود الأقاليم ، فاقراً :  
 كتابك في عنق العائلة  
 تفتّاه وقرأ آتياك تحت رنين الفتوس الصديئة ،  
 تحت مصاهرة الخوف ، تحت شمس الدم المقبلة  
 وكوم نريدك في قصعة الشعر . . وانتظر القارئ . .

لبسُنكَ عاريةً وأنت جريت في  
أبهائها مترجلاً وتركتَ في راحتها حَبَّ الطحين ،  
كتبتَ في ورق الزواج تميمةً ممهورة بالخبز والبركة .

كان سربُ اليمامِ الملونِ مندهشاً بالشمس والفراغِ  
المضبي ،

كانت دوائره تتداخلُ وتكتبُ وردةً وسنبلةً نازفةً من  
هدوء الأفق ، ثم تعلو وتكتب تاجاً للملك المساحات  
الممتدة . .

تفاجئها أبسطةُ القمح وحصيرةُ الزروع والينابيع فتهبط  
كالعناقيد المنفرطة .

ترى قميصك المفتوق نافذةً على حجرة النوم  
الأرضية<sup>(١)</sup> وطبقاً

---

(١) على الباب تزرع كرمًا تعشش فيه الرياح  
وتلتئمُ زقزقةُ الطير ، تحفر تحت سرير الرماد  
المكروم نهرًا وتحلم :

هذا هو النهر ينسج أعشابه هودجًا  
والعرائس يطلعن من خضرة الماء والشمس ترمي =

من القمح وفتات الخبز ومخدةً من القش وشجرة . .  
فتختبئ في قميصك المفتوق -  
وأنت تكتم الضحك كيوم ولدت البقرة ويوم تعلّمتَ  
تَحَسُّسَ المشيمة والبيض الدافئ وتعرفتَ على وجه  
أمك في رائحة الخبز واللبن الرائب ،

---

= دنانيرها -

أنت تحلم :

مَحْرَمَةُ العرس منقوشةً بيمام الدم  
المتوهج ، هذي هي الريح تعقد صرتها من  
بعيد على النقع والخيل ، تأتي إلى شاطئ النهر  
(بينكما الماء والشمس)

ما كدتَ تنظرُ حتى رأيتَ أمير الخيول المغيرة  
والموت يلبس شكّته ويخوض في الهر نحوك  
هل أنت تحلم؟!

كان أمير الخيول المغيرة والموت مرتعشا  
تتفكك أعضاؤه ويذوبه الماء ، يجرفه النهر -  
هل أنت تحلم فالشمس طالعة في صراخ المواويل  
والنهر مختبئ يتكلم تحت سريرك والنوم بوابة  
تتدفق منها موارتيك الصامتة؟!

وأنت تكتم الضحك واللهفة والجزع كيوم انتظرتَ مهرةَ  
عاشوراءَ ونسجتَ من أصواتِ الريحِ وصريرِ  
الأبوابِ

وزواج الكائناتِ مشاهدَ للعدل والقيامة  
حتى فاجأئك الشمسُ فطيرةَ حمراءَ على مائدة الليل  
فخفت أن تصحو الحاكورةُ وتراك متلبساً بالحلم . .  
فكنتَ أول من يخرج لللاقاة العشبِ المفضضِ  
بالندى ورائحة الطمي المبلول  
وترى ما تركتَ طيورَ الفجرِ على الترابِ الرطب من آثار  
مخالبتها المتشابكة ،

خطوطاً خطوطاً كالشجر والأغصان ، يدق قلبك  
بعنف وتلاحق أنفاسك بالخوف والغبطة والمطاردة :  
هذه رسالة لي ، هذه الكتاباتُ على الأرضِ معقودةٌ  
على سر الخليقة ومطويةٌ لي على وعد خاص ،  
أنكشِف فيها أبجديةٌ متشابكةٌ ملفوفةٌ معقودةٌ الأطراف  
منقوطةٌ وغير منقوطة ،

هذا ألفٌ متكسّرٌ وهذه ياءٌ كالمهرة الجامعة  
 هذه مملكةُ القراءة، وتاجي كلمةٌ تسبح  
 أغصانُها في شجر الأبجدية الذي يبدأ ولا ينتهي،  
 وأنتَ . . يا كتاب الأرض المنقوشة  
 من أين أبدأ وأين تنتهي الجملة الأولى؟!  
 آ . . را . . يا . .

وقبل أن تلتقط خبط الجملة الأولى تصحو الخليفةُ  
 كلها، ويحترثُ الله أرضه الواسعة بأقدام  
 السعي المبارك وأظلاف الأنعام  
 و . . سربُ اليمام يختبئ تحت قميصك المفتوق . .

أرسم مجمرَةً من الصلصال المحروق وأسميها  
 طاقيةَ الوبر، وأرسم خطوط الطول والعرض على  
 وطنٍ بمساحة الجسد وأسميها سراويلَ الدّمُور  
 وكوفية الزغب المراهق وصُدِيرِيَّةَ العرس المؤجل،  
 وأرسم دراهم الكحل والغبطة الفسفورية في

زرائب الرياح والبوص وظل الشجر، وأرسم  
إبريق الجماعة وشاي الظهيرة وأقراط الخرز الملونة  
وأكتب: هذه شجرة العائلة

وبركة الإقامة بين السماء والنهر.

وأنظر:

هذه الأرض المقيمة في خطاك،  
وهذه سجادة الظمأ المشجرة المساحة  
بالشقوق.

وأنت للفيضان أبواب مفتحة برائحة المياه،  
تفوح من إبطيك رائحة الدريس، بوجهك الشمس  
ابتنت أكوأخها،

قدماك جوربت الشقوق عليهما جلد الذبيحة .  
هذه الأرض المقيمة في خطاك أزيئت بقناعها السري:

(شمس تفتح الساحات أجزائنا مكدسة

وصيف يكنس الكيزان،

شمس للفساد ولاغتلام الكائنات

ولحظة للموت والميلاد تفتح في

تحاريق البراح شقوق شهوتها المقيمة بين

محراث الذكورة والمياه . . )

وأنت: في قدميك تمتلئ الشقوق بكل ما في الأرض ،

هل يمتد لحم الأرض من قدميك أفدنةً فأفدنةً؟!

أم الأسماءُ والوطن المليء مكدسٌ بالدمع

تمنحه خطاك خريطةً فيقيم في جلد الذبيحة

والشقوق تُفرَّعتُ من حوله شجراً وأسيجةً؟!

وأنت الآن تطلع من ثيابي ، أنت تطلع من

رؤى غضبي ، وتطلع حارساً والشمسُ مقلعٌ ،

وتحت خشونة الزَّغبوط وشمُ غزالة برية . .

جُميَّزة الملكوت تسقط

أنت في زمن اغتصاب الشعر فاغتصب الولاية

واغتصب لغة العراق ونازل العشق العصي

وزاحم الميراث بالورثة/

قاف : آخرُ العشق وأولُ القتال ،

آخر الغرق وأول القراءة .

تاء : طبقٌ للخبز وجَفَنَةٌ للدمع والدم ،

آخر السُّحت وأول التراب .

لام : صرخةٌ معقوفةٌ وجسدُ امرأةٍ يَتَقَبَّضُ

بالشهوة ورشاقة الطيران في الريح

وامتلاء الحمل وتحدي الولادة ،

شِصٌّ عَالِقٌ في قلب موجة دوّارة

(هل أنتَ الصيدُ أم الصيادُ أم أنتَ صانعُ

المسافة بين أقصى الفريسة وأقصى القصاصِ ١٢)

كل أرض ألزناها طائرهما بين الشمس الدمع وخشونة

الأيدي ودهشة الطفولة الوارثة

فاقرأ كتابك . .



هذه الأرض شهادة تتوقّد بالزهر والعشب  
والسنابل  
وتتسع كالوليمة وتعقد مناديل الخبز على حوار  
القاتل والقتيل  
طويت الصحف وجفت الأقلام . .

١٩٧٤/٥/٥



1971

القطاراتُ لم تنقطعُ . .

غبشُ الفجرِ لوزةُ قطنٍ مبددةٌ نفضتها  
الرياحُ على قبة النخل والشجر النائم ، انفتحت  
خَوْخَةُ الباب . .

صوتُ الأمومة من خشب السَّطِّ آخرُ  
زادٍ ومفتِّحٌ للبلاد الأليفة ، آخرُ ما أعشب  
الوجه من زغب الشمس ، أولُ لافطة أتهجى  
كتابَتها غربةً في اتساع الشوارع بالخلق . .  
والفجرُ يفتح أبوابه في زجاج النوافذ ،  
شمسٌ بكعك السَّميط المحمصِ تطلع منقوشةً  
بالجدائل والسَّمسم

(انخلعتُ في الجلايب أحصنة الطين ،  
لبُ النوى المرّ ، مسبحةُ الرامخ الأملس)  
انفسحتُ بيننا الأرض يارهج الحرب بين القبائل

(هل أنتم الآن بين الحجاز وتونس ، هل  
 صددت في دروع زناتة أو في سيوف  
 الهلالية الشمس ، أم تمسح الكتب المستجدة  
 صوت الرابة من طينة الذاكرة؟)  
 وخبز القرى في الحقائق مرتعش بالقراية والملح  
 (عين زجاجية تتفحم جيماً معطشة ،  
 وطن ينتهي من كلام الختان الصبي ،  
 ونهر أفتش عنه خرائط ليست مبللة ،  
 ورق تتكوم فيه البلاد الفسيحة ،  
 والماء يسكن بئر التذكر ، والشمس  
 مرسومة بالرصاص . )

القطارات لم تنقطع . .

والمسافات بين الوجوه وبين المرايا

مهشمةٌ، هاهو الوطن المستديرُ على جسد الأرغفة  
تكسرُ فوق الموائد، هذي صحافُ الكوايس :  
أطعمةُ الخوف دافئةٌ، والسلالُ المليئةُ  
تفتح صرَّتْها في رصيف المحطّاتِ، يتشرُّ الوحشُ،  
يلبسُ أقنعةَ الأهلِ، يركضُ في فلواتِ الوجوه الأليفةِ  
وحوشاً وحوشاً . .  
فأصرخُ . .

يستيقظ الضحك، السوق تمتدُّ أروقةُ  
للمساومة، الأرض تنشقُّ أرضين،  
والشعبُ شعبين، أحصنةُ الماء تصهلُ في الذاكرة .  
هو الماء . .

جمرةٌ عشقٍ متوجِّهةٌ في براري البداوة،  
محفورةٌ في بكاء الطلولِ ومكتوبةٌ في سيوف القبائلِ

والشعر مكتوبة في طقوس الدم الجاهلية .  
هو الماء جمرة عشق متوجه والرعية من  
أصدقائي امرؤ القيس علقمة الفحل والنقري  
الغريب المشرد بين قرى مصر والبصرة ،  
السهروردي زوج ابتي وأنا طالب الثار من  
قاتليه ومن يعيدون تطويقه بالحصار المعاصر  
والأسئلة

أحرره من سجون الخليفة كي يفتح الأسئلة  
مناديل للخبز ، بوابة لاغتصاب الميادين من حاكميها ،  
فهل لغة تتوقد فيها مصاهرة العشق والموت ،  
هل قمر يتكسر مسبحة ،

هل صلاة تدمم في شجر الرب ، هل  
أصدقائي يقيمون في الزلزلة  
ويُلْقون أقوالهم بسطاً في الميادين . .

هذي أباريقهم مطرٌ من صراخ النبوة،  
 هذي الجموعُ استحمت بشمس المجاعة . .  
 هل أصدقائي يقيمون بالجامعة  
 صلاة القبائل للغيم والنهر ملء اليدين  
 وهل لغة تُشعل النار في حطب الشعر . .  
 هذا هو النفريُّ المشرّد في لغة  
 الخطباء يولول في وحشة السحر يصرخ في  
 صحراء الكلام ويكسر قفلَ الينابيع يدخل  
 في مدن الحاكمين يقيم المتاريس ينشئ كومبونة من  
 قشعريرة الرفض والأسئلة  
 (وأوقفني . . عن يميني خرابٌ يسيّجه النومُ  
 والأرضُ قد لبست زخرف (الأمن)  
 وازيّنت، عن شمالي خطى النهر كانت  
 تلاحقني، كان يفرطُ في خطواتي الشباك



المليئة بالموج ، يكشف لي سمك الحلم والنار

في الغيمة المثقلة

فهل غرقٌ يستعيد الينابيعَ

هل غرقٌ تتفتح فيه الهتافاتُ عن جسد الحلم ،

هل غرقٌ تتقشر من تحته المقصلة

فيهوي الكلامُ المهجَّنُ ،

هل غرقٌ يتلبَّس كالمسِّ والهديانِ الرابطِ في

ساحة الحلم والخلق ،

والحلمُ مركبة الحُضرة الشاملة ؟ !!

وهذا هو السهروردي يدخل ليلَ الميادين

والأرضُ مخبوءةٌ تحت جُبَّتِه وهو يبصر طيرَ

الجلالة منتشراً تقمصه الكائناتُ الأسيرةُ

محتشدا في قلوب المراكب والنهرُ يمشي

مظاهرةً فمظاهرةً . .

والبلادُ البعيدةُ ترسلُ ملءَ السلالِ فطائرَها  
الدمويةَ زوادةً للجموعِ المقيمة خلفِ المتاريسِ  
ترسلُ موالها المتجذّر في الدمعِ والسهور و رديُّ والنفريُّ  
يخُطّانُ فوقِ الحوائطِ والصحفِ الجامعية طيرَ الكلامِ  
المفاجئِ بالشمسِ والريحِ ،  
والكحلِ مشتعلٌ في عيون الصبايا بوحمشية الحبِ  
والثورةِ المقبلة  
\* لو أني أطلعتُ من لغتي نخلة لخطفتُ اللغاتِ  
الهجينةَ خطفَ المناجلِ درستُ المعارفِ درسَ  
الرمالِ عصفتُ عليها الرياحِ العواصفُ  
«مراسلة من النفري»  
\* الواقفون بي واقفون في كل موقف  
خارجونَ عن كل موقف.. وأنت معنى الكون كله.  
«كلمة سر الليل للنفري»

«قد جاء وقتي وآن لي أن أكشف عن وجهي  
وأظهر سُبُحاتي ويتصل نوري بالأفنية وما وراءها وتطلع  
علي العيون والقلوب وترى أوليائي يحكمون. فأرفع  
لهم العروش ويرسلون النارَ فلا ترجع وأعمر بيوتي  
الخراب وتزين بالزينة الحق، وترى قسطني كيف  
ينفي ماسواه، وأجمع الناسَ على اليسر فلا  
يفترقون ولا يذلون.

«رسالة تحريض من النفري»

«أنا مُلِكُّ الليل ومُنْهَرُّ النهار، أَقْلَ اللَّيْلِ  
وطلع وجه السَّحَرِ وقام الفجرُ على الساق  
أربط المنطقةَ فينْعَقِدُ كلُّ شيءٍ. وألبسُ درعي  
ولأمتي فتستيقظ الأرضُ، وألبسُ البرقعَ  
ولا أكشفه.

«دعوة النفري للمنازلة»

«العلمُ المستقر هو الجهلُ المستقر .

»دعوة النفري لقراءة ما لم يكتبُ

«اهدموا واهدموا واهدموا

نَفَخَ اللهُ في جسدِ الشعبِ لما استوى فوق  
عرشِ المجاعات ،

ينفخ فيه السنابل والغضب المتاجج ،

نحن له أنبياء ، مصاحفنا تتنزل من شهوة الماء

اهدموا واهدموا

فالشواذيفُ شاهدةٌ والسواقِي رسائلُ مطويةٌ

حملتها إلينا المواويلُ من قرية الأهل ،

خاتمتها وردةٌ للصراخ . .

اهدموا واهدموا . .

«نشيد الخروج»

«هذه قبة الجامعة

هبطَ الليلُ . . فالتَفَّ حراسُها للهجومِ المِباغتِ  
والنومُ تطلعُ أشجارُه، انطفأ الكحلُ، أرخى  
الرخامُ يديه على ركةِ التعبِ المتألقِ،  
والنومُ يثرُ أعشاشه بالهواجسِ والخوفِ . .  
هل لانتِ الأرضُ كالفرشِ الأسريّةِ  
فالتحَمَ الجسدُ الأدميُّ بصمتِ الحجارةِ  
والكتبِ الآفلةِ  
ودوى الرصاصُ البعيدُ . .  
هل استيقظ الماءُ في الذاكرةِ  
فهذا هو النهرُ يتركُ فرشَتَه ويمدُّ خطاهُ  
وجوهاً وجوهاً  
يُسَجِّرُ ليلَ الميادينِ بالرقصِ والأذرةِ  
ويفتحُ لحمَ الشوارعِ  
بيتُ الشوارعِ يفتحُ نافذةً للأُمومةِ،  
في ظلمةِ الشرفاتِ تضيءُ الأبوةُ بالخبزِ والماءِ،

تحت الضفائر يبرق وهجُ القرابة، يتعقد  
 الخوفُ والياسمين المفضَّضُ بالدفء زغرودةً  
 للزواج الجماعي أسورةً للمواعيد . .  
 دوى الرصاص البعيدُ القريبُ  
 وأقبل سيلُ الدروع الصقيلة  
 يسدُّ المداخلَ، وأنهمر المطر المتوحشُ قعقةً  
 ونجومًا نحاسيةً.

كل هذا السلاح المرباط من أجلهم ؟  
 - قالت امرأة -

وطنٌ يتقلَّد مجزرةً  
 'م يخافون شعباً تربى على الخوف ؟!  
 اسلحةٌ مشتراةٌ بما كثفته المجاعاتُ من  
 صداً فوق أسنانهم ثم تُشرعُ صففاً فصفاً  
 فتصرخُ تحت فتوق الثياب القديمة شيخوخةٌ باكرة ؟  
 - تقول الصبية -

(لكنها قبل أن تُكْمَلَ القولُ يخنقُها الدمعُ)

دوَى الرصاص القريبُ

هو الموتُ . . يفتح تحت عباءته سكةً لالتحام

البنادق باللحمِ

دوَى الرصاص المفاجئُ

قَعَقَتِ العرباتُ المدرَّعةُ، انغrust في

الرصيفَ الأكفُ، فتحنا الخطى سكةً يهربُ النهرُ منها

ويحمل جراحه في دمهم للبيوت القريبةِ

(هل غسل النهر أثوابه من

خيوط الدم المتخثر، هل زال جبر المطابع

من فوق كفيه؟!)

هذا هو الفجر يكنس صمتَ الميادين

والشمسُ تلمع فوق الدروع الصقيلة .

«سيناريو تسجيلي»

شهادة:

البلادُ البعيدةُ أوحشَها الحلمُ والرقصُ  
 فالشمسُ مُجدورةُ الوجهِ ، تصفرُّ تحت  
 المِلاطِ المَقشَّرِ ، تسودُّ في جُدُرِ الطينِ ،  
 ينفُتِحُ الجرحُ في جثةِ الأمكنةِ  
 فمًا باردًا كنعاسِ الغريقِ على العشبِ ،  
 فَرَقَصَتِ النصبُ الحَجَرِيَّةُ ، هذي سماءُ الميادينِ  
 مثقوبةٌ . .

ليس منتظماً فوق طبلِ البِراحِ المشاعِ سوى  
 خطوةِ الدركيِّ وصوتِ الخِذاءِ الثقيلِ على حَجَرِ  
 السمعِ ،

في ورقِ الذاكرةِ  
 يُقرِّفُ في دمه وطنٌ نقشته الشطوطُ البعيدةُ  
 بالسَّلَقِ والشمسُ مُحمرَّةٌ في مياهِ الأصيلِ ،  
 القטיפَةُ في حبقِ الماءِ مسكونةٌ بالفراشِ الملونِ ،



سجادةٌ من نجيل المجازات ، رائحةٌ من وضوء  
الجباهِ السخية فوق حصير الجوامع ، رائحةٌ  
الخبزِ طالعةٌ من مواقدنا العائلية . . في ورقِ الذاكرةِ  
يقرفص في دمه وطنٌ . .

وحدها . . قامَةٌ من رخامٍ  
الليونة والدهشة الشببية ،

والقرطُ مركبةٌ للتداعيات والوحشة المزهرة  
وقفتُ تتمسحُ في ظلها تحت ضوء ، الفوانيس ،  
ترمي رمادَ سجائرها في الرياح ، تُقرقزُ لبَّ المواعيد  
والتعب المتدثر بالكحل والزغب المتخفي ودفعِ  
الفراء .

(خطوةٌ . . خطوتان . .  
ومن بين وجهيهما شعلةٌ ودخانُ  
السجائر كالفرشة المستضاءة ،

عاد إلى مُستراح الحذاء الثقيل على

حجر السمع . )

«ملحوظة : النهاية مفتوحة»

نداءاتٌ على الجدران لم تقشِّرْها الأظافرُ

ولم يغسلها المطر:

١ - اختبئ يا قطاراً يهرول في الحلم،  
صوتك يخلع ريشَ النَّشازِ الملون، يسقط بين  
الصدى والصدى، وتُصنِّفُهُ شَقَرَاتُ الأظافرِ،  
يدخل أوركسترا الأسرِ.  
فلتختبئ يا قطاراً يهرول في الحلم،  
فالأرضُ مكشوفةٌ والمحطاتُ مفتوحةٌ تحت ضوء  
السفرِ

اختبئ فالإقامة مأهولةٌ بوحوش القراية  
والألفة الناعمةُ

٢ - جسد للعشيرة: أعضاؤه انْفَرَطَتْ  
كالعناقيد في ورق المصقات - الأفشيات - وهجِ

النيون المشاكس.

حطَّ الظلام:

فهل يَنْفِرُ النهدُ تحت الأكفِّ وَيَلْتَمُّ رَهْطُ العناقِ

الصريحِ وهل يفتح الليل مَضِيْقَةً للتخاصرِ

والجنس؟، هل تُفَلِّتُ الشَهَقَاتُ المقيمة في اللون،

هل؟!

٣- تَنَقَّسَتْ حَقَائِبُ الوطن، يالله،

هل يملك كل هذه الملابس الداخلية؟!

وبعثرها في الريح، فهل كل هذه الألوان من

شمس واحدة؟!

وغربت الشمسُ

فكلُّ طريقٍ صباحٌ وكل صباحٍ طريقٌ.

٤- العصافير تنسج أعشاشها في

حديد الشبايك والأرفق الحشوية في المكتبات  
وفي الحافلات المليئة بالزحمة الضاحكة

والعصافير تنسج أعشاشها تحت ليلٍ من  
الشعر المستعار وفي خُود الشهداء  
وأحذية الهارين .

٥- أسرعوا أسرعوا . فالبلاد القديمة  
ركضت خلفكم ، واكتبوا واكتبوا . فالبلاد القديمة  
قطعت شجر الأبجدية

٦- مَطْلَعٌ جاهليٌ يجيء

تطلع الشمس في الذاكرة  
تحت إيقاعه يَسْتَضِيءُ  
وطنٌ للخراب الطلولي  
نهرٌ تجرّهُ الصرخةُ الفائرة

٧- صَخَبٌ، وبلادٌ تجلجل في حجر السمع،  
والرعدُ يزرع أعضاءه . .  
انتظروا . . تصهل الخيل في الأروقة

حلم:

هذه امرأةٌ تتغطى بأوسمة العُري، قشٌّ  
تطاولَ من إبطيها، وحلفاءُ شمسٍ بهيجةٍ  
ضربتُ قُبَّةً من خشونة أوراقها فوق  
شمس الزَّيبِ المقيمةِ في الفخذين الشهيين  
هل هذه امرأةُ المرمر امرأةُ الصَّولجان؟  
طيورُ الحجارةِ ترُصفُ بيضَ السطوعِ الملّون،  
يَنقُفُّه البردُ والدفءُ، يفتح فيه الدهاليز:  
هذي المدينةُ في الأفقِ مملكةٌ والرعيَّةُ  
يضربُها طائفُ الصرخةِ الهالعةِ

- : أتعرفني؟!

- : ربما:

فوق عينيك جرحٌ يذكّرني بمرايا الطفولة  
والطيران المفاجئ بين الذراعين والسقف .  
- : ألحٌ تحت ثيابك سيفًا، فهل طالبٌ أنتَ  
للنار أم خارجٌ تستردُّ البداهة والصيدَ في  
غابة الدهشة الملكية ؟  
- : أطلبُ بيتًا وعائلةً أسترُدُّ على خبزها شرفَ الإسم،  
أطلبُ بئرَ القبيلة .  
- : هذي المدينةُ موبوءةٌ . . يترجّلُ وحشٌ جميلٌ  
التقاطيع ما بين همهمة الفقهاء ودفء الفراش  
المبلّل بالنوم والموت ، ما بين وشوشة القصر بالمخمل  
المستريب وعرافة الشهوة الجسدية والانتحار البطيء .  
أنا ملكٌ ، والمدينةُ تحتي تُلفُّ عصائبها ، بين تاجي  
وعرشي تساقطُ الشمسُ داميةً ، يخلق الليلُ  
تحت هشاشته حيوانَ الوسامة والرعب ،



ألوية للخفافيش ، عرافة الصرخة المستجيرة

تتبعني للخلاء

تؤامرني وتقايضني؟

- : كيف؟

- : آخذ سيفك ، خذ صولجاني ، وقل للجماهير :

قابلي الوحش يأكل صاحبكم فقطعت جناحيه ،  
مزقته قطعاً قطعاً . . فاختفى . .

سوف تلبس تاجي وتشهد مملكة تنفصد أنهارها  
تحت رجليك ، ترقد فوق سريري ، وتفتح زوجي  
خزائنها . . وأنا أتخفى ، وتأخذني في عبيدك . .

- : تعرفني؟!

- : ربما . .

بين نهديك نهرٌ يذكرك بالرحيل المفاجئ في

الفجر، أذكر بحراً وصحراء، في ركبتيك ارتعادٌ  
يذكرني

بالأراجيح والنوم، أذكرُ شمساً مُضَيَّبَةً في

خزائن فخزين ..

عيناى فتشتا عن بلاد السراويل والدفع ..

ها وطن يتيقظُ في الذاكرة

فمُدي الموائد واستتري والبسي تحت عينيَّ أوسمة

العري، قشُّ الخليقة ممتلئٌ بالطيور الغريبة

والوحش، أروقةُ القصر واسعةٌ

(كنتُ أطلبُ بيتاً وعائلةً أسترُدُّ على

خبزها شرف الإسم ..

ها أنتِ عاريةٌ تفتحين الصناديق

تعطينني من خزائن فخذيكَ مملكةً

تتطاول فيها السلالاتُ . .

والصمتُ عائلةٌ تتماسكُ في كل ريحٍ

- : أتعرفيني؟

- : أنت . . هل تعرفين انسلاخ الظلام من البحر . .

هل تعرفين انتقامي؟

خزائنك الخُضرُ مفتوحةٌ بين كَفَيَّ . .

هل تعرفين انتقامي؟

مملكة أخرى :

واسعةُ خُطوةُ الشمسِ ، أوسعُ منها غيومُ  
القصاصد في القلب ، أوسعُ منها يدٌ وفمٌ يرفضان  
رغيفَ الممالك . .

والأرضُ واسعةٌ يتناسل فوق خرائبها عنكبوتُ  
الأقاليم ينفرطُ الملكوتُ الملوّنُ أسِنَّجَةً وبلاداً . .  
وأوسعُ منها دمي ووضوئي المباغتُ في رجفة الجرح ،  
أوسع منها حصيرةٌ نومي علي قبة الحلم . .

مملكتي لا تزولُ إلى آخر الدهر ،  
مملكتي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

ومملكتي شارعٌ ورصيفان تطلع بينهما  
خطوة الرقص جُمَيَّزَةٌ للغداء الجماعي..

نكتبُ فوق الأكفِّ مواعيدنا، نتعسسُ  
قارورة اللون والأرضُ تضحك ملء الفروع،  
الأباريقُ تهوي مكسَّرةً في كتاب القوانين،  
نكتبُ ناراً مُجَنِّحةً..

كلما غسلَ الموتُ أوجُهنا اقترب الفجرُ..  
هذا وضوءُ الكتابة،  
نصْطَفُ في حضرة الحلم..  
نكتب مملكة للسوارع..

هذي الشوارعُ مملكةٌ يَتَبَطَّنُها الحلمُ

والرقصُ،

تَلْتَمُّ أَصْوَاتُهَا جَسَدًا لِلْقَصَائِدِ  
أَزْمَنَةً لِلْجَنُونَ الْمَبْرُقَشِ بِالْمَاءِ وَالشَّمْسِ . .

١٩٧٤/٧/٤

# رُبَاعِيَّةُ الْفَرْحِ





فَرَحٌ بِالْمَاءِ

## ١- فصل الخبر المقدم:

ألفُ بالشمس وغبار المسافات المفتوحة  
أغسل جسدي بالقش ورغوة الغضب  
وخناجر العشب المسننة  
وأقتضُ أختامَ الريح وكُمونَ الندى في البراعم .  
يسكن النحل تحت إبطيَّ وبين أصابعي تختبئ  
الينابيعُ الخائفة  
والأرضُ زجاجةٌ تهشمُ ألوانَ الطيف وتُدريُّها على  
جسدي المعلق بين الجوع والربيع  
أمتلئُ شيئًا فشيئًا كاليقطين العسليُّ الأحمر المدلَّى  
فوق أهرامات التراب ومصاطب التحاريق  
أنضجُ بطيئًا

بـ

طـ

يـ

ءـ

اـ

وأفرح بمراهقتي واكتشاف دمي  
أتجلى للأطفال كرة أرضية لامعة تتدحرج  
وللطاغية مؤامرة ملغومة تسعى  
وللأحلاس الغاوين لغزاً مطاردًا  
وأنت تحت عينيّ حرثٌ يتكور ويتجوف  
لنا المشيئة حيث نشاء  
وبين السرّتين رغيفٌ ينتظر الوارثين .

وهذا هو الماء والماء والماء  
والماء بوابة يفتح الليل أبقالها فتمر الخلائق :  
هذي مخاصرة البحر للبحر ،  
هذا زواج الينابيع ، والنهر يسحب محرمة

العرس منقوشةً بالدنانير والعشب . . ينثر أقرطه  
وأساوره ،

الماء بؤابة يفتح الصبح أفعالها :

ها هو الله يلقي تحياته شجرًا

وحروقًا يطيرها في فضاء الكتابة /

صفوفًا صفوفًا . .

خلعت قميصَ دمي . اشتبكتُ

من حبائل أسمائه لحظةُ الصيد ،

أوقفني في مفاجأة السنبلة /

لأستألف الطير ، يُختدعُ الطير لي :

اهبطي في سلام الغيوم البطيئة . . فلتهبطي

فرحُ القلب أعقدهُ سنبلاً سنبلاً . .

هذه لحظةُ الصيد :

سربُ الحمام يدخل أبراجَ ذاكرتي ،

كل ورقاء من نعمة الحرف تجدلُ عشَّ الكلام .

هو الطير .  
 هذا هو البحرُ محتشدُ النومِ تحتِ الملاءاتِ  
 والخضرةِ المعتمةِ  
 تلاعبه في سريرِ التذكرِ شمسُ الكوايسِ والوقتِ ،  
 معصمه اِزدانُ بالأرضِ أسورةُ  
 والبلادُ الفسيحةُ مرسومةٌ في مدارجه :  
 ها هي الأرض . . زهريةٌ من رمادِ الهشاشةِ  
 منقوشةٌ بالجعارينِ والخيَلِ ، مكتوبةٌ  
 في شظايا العروشِ «النواويسِ» أسماءُ من  
 ملكوا صولجاناتها ،  
 فوق فخارها المتكسرِ ما زالت القبلاتُ القديمةُ دافئةً  
 والخطى فوق وجهِ الجرانيتِ تصرخُ  
 بين حطامِ العواميدِ والبهوِ آلهةٌ تتكلمُ في  
 كتبِ الصلوات . . استمعُ :  
 ها هو البحرُ يلبسُ أسورةَ الأرضِ

يخلعها ، والنساءُ الجميلاتُ في جسدُ البحر يفتحن  
لي طرق اللحظة الملكية خضراءَ معتمةً أو  
مشجرةً بالحرير الرمادي والحمرة القانية/  
سماؤُ الظهيرة مثقوبةً ،  
ذهبُ الكون بهوي إلى الماء ، والبحر يفتح  
فُقلَ خزائنه :

ذهبُ صاعدٌ

ذهبُ هابطٌ

والقبابُ على حافة الماء تغلغ قمصانَ شهوتها الهاربة/  
وتطلق صرختها

- : راحلُ أنتَ والذهبُ المتوَحِّشُ في  
لحظة المدُّ بيني المدائن يحشد في الماء  
قطعانهُ المعدنية ، بيني على الماء أبراجهُ  
والحمامُ يسقطن من أفق الموت ؟ !

أم أنت تغسل قمصان صوتك في كتب  
الماء تنتظر البحر تمشي على وجهه وتؤاخي - على  
صرخة الوقت والمدن  
المستفيقة للموت - بين النَّجِيلِ المرابط في  
قديمك وبين المسافة وهي تمدُّ طنائسها وترجُّ  
على القاع مملكة النوم واللغة العذبة الجامحة ١٩/

- : خلعتُ قميصَ دمي . . كلُّ ما فيه أسماءُ نخلٍ  
من الغربة المستفيضة بين الأكفِّ وبين  
العيون القريبة في الهمسِ ، أفعال موتٍ  
مُقْنَعَةٌ برماد الهشاشة . .  
أُرْحَلُ . .

هذا هو الرقصُ . . أنظره جسداً يَتَقَرَّعُ  
إيقاعه في الفراشة والعنف . .  
ها جسدي يتفكَّك في الدهشة المسترية ،

صَيَّرَني الماءُ ماءً وأَبَسَتْهُ صرختي . .  
جسدي جسدُ البحر . . ما بيننا وردةٌ حيةٌ تَتَفَتَّحُ  
تُغوي دمي بائتلاف الردى والفحولة . . /

وأرحل . . والبحرُ عاصمتي وخُطاي،  
أشاركه شهواتِ التَنَقُّلِ في جسد الأرض . .  
هل تَفَتَّحُ المدنُ المستفيقةُ للموت أبوابها  
للبريدِ المسافرِ بيني وبين القبائل بالكتبِ الجارحةِ ؟

بطيئاً أساورُها بين قيلولَةِ الهاجرة  
وبين الضَّبَّاعِ المطيفةِ في الحلم .  
ماءٌ،  
وهذا هو العرش . .

هذا كرسيُّ الإنسانِ ممدودٌ بين مخاضتَي الوطنِ الواسعِ،



مسقوفٌ بِشَمْلَةٍ الليل المرتخية وعواميد النهار المليء  
بتغيرات الظل والنور  
هذا كرسيُّ الإنسان . . تعشّش في مُخَرَّماته إلى  
يوم الوعد يمامةٌ خضراءٌ محجّلةٌ مؤثّقةٌ بالأُمومة  
أُكلمها وتكلمني  
تُطيفُ على وجه الماء

فأنظرُ:

سيدةٌ يتكشف عنها الزبدُ ويتفتح المحارُ .  
هَوَتْ نَجْمَةٌ فاستضاءت ممالكها السبعُ،  
وانتفضت ناقةُ الماء منسوجةٌ بالعروق المضيفة،  
مرَّ سحابٌ كثيرٌ، وفي الأرض أعجازٌ نخل على هيئة  
الآدميين مصفوفةٌ في ممالكها،  
الغيمُ يرمي قناديلَه من فتوق الظلام السماوي،  
ينكشف الرملُ في خفّة الحلم:

سيدةٌ يتطاير بين ضفائرها سمكُ البرقِ والماءِ ،  
ينكسر الأفقُ تحت خطاها . . فتَهبطُ ،  
في الأرضِ أعجازُ نخلٍ على هيئةِ الأدميينَ .  
تهبطُ سيدةُ الماءِ والبرقِ . .  
- : من أيِّ طينٍ شوَّتهُ المقاديرُ فخَّارةً ، أي أنية  
أنتِ منها تَنْضَحُ ناراً مبللةً وترشَّحتِ عضواً  
فعضوا  
وَقَلْبَتِ بين يديَّ جناثك السبعَ وانعقدتِ في  
سريري براعمكِ اللهيَّةِ حتَّى استوينَا قطافاً دماً ؟

## ٢- فصل الأركان الملتبسة

للقبيلة نارٌ مرَّمدَةٌ . .

ليس من جوهر النار إلا دمٌ جمرةٌ في رماد التذكرُ،  
طقسُ القرى وشميمُ الثريدة والبنُّ والهيلِ صلصلةٌ  
في بقايا القصيدة،

نومُ النساءِ تحطُّفه فَرْعُ الحلم

كانت سماءُ زجاجيةٌ وغرايبُ سودٌ تدومُ

كالعصف . . كانت تدقُّ السماء فتثقبُها

والشظايا المدماةُ تهوي ومن تحتها الطيرُ

والخيلُ أعناقُها تتطايرُ

والنَّزفُ يعلو ويعلو . . فيفتحن من صرخة الرؤية

الجفن:

أرضٌ مدى يَتَشَقَّقُ من ظمأ طالَ موسمه،

والشموسُ الخفيفةُ ترمي الجريدَ المسفعَ،

والعشبُ رملٌ تذرّيه بين المضارب لافحةُ الريح . .  
 خيمةُ شعرٍ تداولها الخرقُ والرتقُ،  
 شمسُ الرّمادة ذائبةٌ في احمرار العيون ايضاًضِ  
 الشفاء المملّحة،  
 انتبذ الأهلُ من وقدة الصهد رملَ الجحيم يديرون  
 أرغفة اللّغو بينهمو يأكلون الأحاديثَ تأكلُ  
 أكبادهم لهجاتُ التذكر، أيديهمو تتلقطُ جمرَ الحصى،  
 ويخطّون في الرمل يستقرّئون الطوالع والقصصَ  
 يستنهضون العرافات إرثَ القيافة والزّجرِ،  
 والشمسُ تدنو جمالتها اللهيّة . .  
 هم حمّلوني شموساً تذيب البرابيع والضّب . .  
 راحلتي ظمأ كدّسته التواريخُ جوعٌ يؤاكلني جسدي . .  
 وأنا من زمان القبيلة أصطحبُ الغولَ أسمعُ  
 زمزمةً لا غتلام السّعالِي مع الجنّ  
 أحمل سَجْعَ الأليّةِ والموثقِ الصّعْبِ،

والنهرُ وجهُ الطريدة بين سرابِ السَّبَّاسِ .

غَلَبَنِي الحالُ واعتَوَرَتْنِي وِارداتُ الحواسِ  
وعوارضُ المشاهدة ،

وكتابُ الأرضِ يَتَقَلَّبُ بين التأويلِ  
فألمَمَ من صدأِ الحروفِ قائمَ الأمرِ وفُسَحَتِ البصيرة . .

للبلادِ أطرافُ مَبْلَلَةٌ يغمرها الماءُ :

جدائلُ مَخْلُولَةٌ في البحرِ تنرَسِبُ عليها  
بلّوراتُ الملحِ الفضيِّ فيشتعلُ الرأسُ شَيْباً  
والطَّمْتُ لَمَّا يَنْقَطِعُ

أقدامُ مرتخيةٌ تناسلُ بين أصابعها السَّراطينُ  
والكائناتُ الهَلَامِيَّةُ والصَّدْفِيَّةُ  
وغِراءُ الزواحفِ المتسافدةِ والأعشابُ المتوهجة . .  
وبينها وبين الخطوةِ مسافةٌ دَمٍ لا يجيء

فمُ يُتَقَرَّحُ فِي شَفْتِيهِ خُرَّاجُ الْكَلَامِ وَتَعَشَّشُ  
 الطَّيُورُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ الْمَقْلَجَةِ . . وَيَنُمُو الطَّحْلُبُ  
 وَالنَّخْلُ عَلَى بَقَايَا الْفَرَائِسِ  
 وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَلَاغِ مَسَافَةٌ صَرْخَةٌ مَطْفَأَةٌ فِي  
 الذَّاكِرَةِ لَا تَعْلُو .  
 يَدَانِ مَعْقُودَتَا الْأَصَابِعِ تَسَاقِطُ مِنْهُمَا الْحَنَاءُ  
 وَيَقْطُرُ الدَّهْنُ ،  
 فَتَشْتَعِلُ غَرَائِزُ الْقُرْشِ وَتَشْتَبِكُ الْحَيْثَانُ حَوْلَ  
 الْفِلْدَاتِ الْمُتَفَتِّتَةِ الْمَصْبُوغَةِ بِالْعَنْدَمِ وَالْعُنَابِ .  
 لِلْبِلَادِ شَكْلُ الْجَسَدِ الْمَسْجَى الَّذِي يَحْمِلُهُ  
 قَتَبٌ مِنْ مَعْجُونِ النَّفْطِ وَرَمِيمِ السَّلَالَتِ  
 الْمُتَخَمَّرَةِ وَغَائِطِ الْكَلْبِيِّينِ  
 تَسْبُلُ الشَّمْسُ عَيْنِيهِ :

أَوَلَيْسَ مِنْ مَاءِ بِلِ الْأَيْسِ مِنْ وَهْمِ الْفَرَحِ بِهِ بِلِ  
 الْأَيْسِ مِنْ وَهْمِ وَجُودِهِ فِي قَبِيعَةِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ !!

بل ماءٌ وجسدٌ نَقِيعٌ لا يغرق ولا يشرب  
هلك الطالبُ والمطلوب . .

تَخَطَّفَنِي الجندُ . .

قصرُ أبيك على النهر :  
أعمدةٌ مرمرٌ يتعرَّقُ فيه تداخلُ لون بلون  
وصوتُ الخطي زَجَلٌ تتعالى القبابُ به  
والسموات معصورةٌ تتقطرُ بين الثريات  
نهرٌ وشمسٌ أسيران في السقف ؟ !  
قلتُ : انتهيتُ وما كدتُ أبدأ . .  
لم تلتقِ القبيلةُ بُشرايَ بالعشبِ والماءِ ،

وأما من أوتيَ وعدهُ كَظْمًا وألقيَ منه مكانًا  
ضيقةً مُقرنًا فسوف تصلصلُ مقاوده ويصلي  
ندمًا يفري وحزنًا سعيرًا وثبوراً . .

.. وهم يستقرئون الرملَ يخطون ويمحون ولو  
يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدْخَلًا لوَلَّوْا إليه وقد  
استيأسوا يتضعضعون  
فمن يفتديني بصرخة مورقة أو عشب حليم تخضر في  
مراحم التأويل أو غيمة وذق مُبَشِّرًا  
هلك الطالب والمطلوب ..

وقلتُ: احتملْ غُمَّةَ البرمكيين ، ليس لها دون  
شعب الجزيرة كاشفة . . فجأة سوف يعلو  
غبارُ الجزيرة الوية . .

قد تكون دماً هامةً يتأجلُ إرواؤها قد  
تكون بأفواههم صرخةُ الفتح . .  
قلتُ: احتملْ غمةَ البرمكيين . . قد نُقِلَتْ في  
يديك ورجليك أصفادهم وهمو  
رَغَبٌ طامعٌ يتحشَّدُهم . . فاحتملْ ما



ترى من عصامية للتواطؤ ، من  
صلف الإدعاء المداهن . .

قلتُ احتملُ نعمةً تتقطر من أوجه البرمكين عافيةً  
وامتلاءً دم وامتلاكاً لظهر البسيطة ،  
فلتحتملُ ما ترى من رخاوتهم  
وتخلُّعهم باكتمال الخنوثة والكبرياء  
فذلك بهوُ نواويسهم وهو غرْبُك  
المستفيضة بالروع أسرك في الظمأ الحجري  
وفيضُ الهواجس عَضُ القيود علي معصميك ورجليك

همهمةٌ للحديد وجائشةٌ للمُحبِّك من زرد الجندي .  
ولَّتْ غواشي القلب في المشهد الوحش . .  
وانشقَّ من قلق الصبح وجهك يدنو  
ويدنو كبارقة الغيم في صحراء القبيلة . .

هذا إذن قمرُ الماءِ يَرُسُفُ في مَرَمِرِ البرمكيين !!

واصطفَّ خلقٌ كثيرٌ . .

فلما اشتبكنا دماً وافتديت الأسيرَ بهزَّةَ رأسٍ  
وأوسعت لي من مقامي وتَوَجَّجْتَنِي بِاجْتِلَاثِكَ  
عريانةً وتكسرت بين ذهولي وخوفي اقتربتُ ابتعدتُ فقد  
سطعَ القَسَمُ الصَّعبُ من ليل أسجاعه امتدَّ بيني  
وبينك أفقُ المضاربِ وارتفعتْ خيمةُ الشعرِ في  
المحلِّ وانعقدتْ غيمةٌ من جراد تشظَّى  
تكشَفَ وشيُّ الزرابيِّ وانحسرتْ متفتِّرةٌ رجفةً  
الفيضان الحريريُّ عن حاصِبٍ من سماءٍ تهْدَمُ . .

أهْلَةٌ فضيةٌ لامعةٌ من صوت الخَبَبِ قد  
سلكتها طرفاً بطرف حوافر المهرة،  
يتراجعُ صداها إلى الوراء ولا يتلاشى،

سلسلةٌ ممتدَّةٌ هي ، تربط آخرَ الخطى بأول  
 الطريق وشهقات الوداع المسجوعِ وهممةِ  
 العرَّافين وأشكال الكتابة في الرمل ونقوشِ  
 التحاريق المشجَّرة بالظماً ورخاوة الموت المعرَّش  
 بالرماد وشظايا الشمس وصواعق الغرايبِ  
 المنقَّضة على الجحيفِ  
 فكيفَ والصوتُ والصدى حَلَقٌ متداخِلٌ يعلو  
 ويعلو حتى لينبُعُ من  
 ضربات القلب ورعدة الجسد الذي يُطوى ويُسط من  
 من رَهَبٍ واشتِهَاءٍ . . فكيفَ . .  
 وهل هودجٌ قمرٌ مرمرٌ؟!

١٩٧٩

١٥٣

### ٣- فصل المبتدأ المؤخر

استفاق السيد بغتة الرؤية في نفسه وفي الآفاق .  
 قال أفليست الأرضُ واسعةً والبلادُ مسرى ومقيل !  
 فخرج من الدمع ولبس إحرام الجماعة ،  
 وتمنطق بوعي دمه وشهوة الشهادة وقوة  
 الفطرة العارية من كل كسب واستباق  
 تلك ولادة يعرف طعم زنجيلها ونكهة  
 قهوتها وسليقة الأحاديث المرسله  
 . . تلك سليقة البشرى :  
 جموع أعين شاخصة  
 وموج يعلوه موج هو الهاجس المتشر .  
 صخب واصطفاق رايات ورغوة من بهجة  
 الألوان هو النبأ العظيم المتفقت من  
 حدود الكلام وشبكة الصياغة الفاصلة

قالتُ له صاحبته : عَمَّ يتساءلون !  
 قال : «لقد مكر الذين من قبلهم فأتى الله  
 بنيانهم من القواعد فخرَّ عليهم السقفُ  
 من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون»  
 قالتُ : لا تَحْزَنُ . . أفليست الأرضُ واسعةً !  
 قال : فَلْيَسْقُطْ ما اسْتَعْلَوْا به وملكوا الأرض  
 وليدَمْدَمْ عليهم غضبُ الشعبِ بما أجرموا  
 قالتُ : عَذَّبَكَ صوتُ آبائك فاسمعْ لهم سَمْعَ الطاعةِ  
 وإنهم لرادُّوكَ إلى معاد هو طعمُ القهوةِ  
 ونكهةُ الهَبْلِ وشمِيمُ الحَطْبِ في نارِ القبيلةِ  
 فأحْكَمْ عُقْدَةَ الكلمةِ وامتلئْ بالمجازِ  
 قال : فإن لم تَفَضْ بي الأرضُ خرجتُ عليها  
 ورفعتُ من خواتلِ المجازِ ما يعرفُنِي به  
 أصحابي وأعرفُهم  
 فإذا جاء الوقتُ امتلأتُ بنا الشَّعابُ

قالت: وهذا هو يَتَصَفُّ اللَّيْلُ  
فهل مُتَبَّرٌ أَنْتَ مَا أَحْكَمُوا مِنْ كَيْدٍ مَهْمَا تَكُنِ  
الظَّلْمَةُ فَوَلَاذَا صَرَحًا عَمْرَدًا أَوْ  
بَرِيقَ سَيْفٍ مُشْرِعٍ مِنَ الْأَقَاصِي لَهُ  
مُكَاءٌ وَتَصْنُدِيَّةٌ!  
«لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ.»

- ١ -

قلتُ: يا قمرَ الماء . . بيني وبينك عُقْدَةُ عَشَقٍ  
تَشْدُ عُرَاهَا سَحَابَةٌ  
تُنْقِلُ أَخْفَافَهَا مِنْ دَمِي لِلْفَضَاءِ وَتُعَلِّي  
مَقَامَكَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ فِي آخِرِ الْأَرْضِ .  
لِلْأَمْهَاتِ الْعَجَائِزِ وَشَمِّ الْأَهْلَةِ وَالطَّيْرِ ،  
أَقْرَاطُهُنَّ دَمٌ صَدَأَ يَتَقَطَّرُ دَمْعٌ تَوْرَجِحُ جَوْهَرَهُ فِي  
اشْتِعَالِ الضَّفَائِرِ بِالشَّيْبِ غَابِرَةٌ مِنْ بَرَقِ اللَّوْاحِجِ .  
هَذَا أَنَا وَانْفِرَاطُكَ بَيْنَ يَدَيَّ مَمَالِكُ مِنْ  
شَهْوَةٍ وَارْتِبَاكِ ، سَرِيرُكَ مَتَّقِدٌ بِالْعُرُوشِ الْخَبِيثَةِ  
وَاللَّيْلِ جَمْرُ الْمَجْرَّاتِ وَالْحَلَمِ ،  
قَلْتُ الْقِرَاءَةَ فِي الرَّمْلِ وَالضَّرْبُ فِي  
كَلِمَاتِ الْحَصَى وَالرِّيَاحِ مَطَارِدَةٌ لَيْسَ  
تَتَرَكْنِي فِي اسْتِتَارِي بِمَجْدِ الْغَوَايَةِ وَالْعَشَقِ . .  
يَصَّاعِدُ الشَّعْرُ بَيْنَ عِظَامِي غَزَالَةً شَوْكٍ

تَرَكَضُ رُكُضَ الصدى في البوادي وتنزف ذاكرتي :

هواي مع الركب اليمانيين مُصعدُ  
 جنيبٌ وجثمانني بمكة موثقُ  
 عجبْتُ لمسراها وأنتي تَخَلَّصْتَ  
 إليَّ وبابُ السجن دوني مغلقُ  
 أَلَمْتُ فَحَيَّتْ ثم قامتُ فردَّعتْ  
 فلما تولَّتْ كادت الروحُ تزهُقُ  
 فلا تحسبي أنني تخشَّعتُ بعدكم  
 لشيء ولا أنني من الموت أفرقُ  
 ولا أن نفسي يزدهيها وعيدهم  
 ولا أنني بالمشي في القيد أخرقُ  
 ولكن عَرَّتْني من هواك صبايةُ  
 كما كنتُ ألقى منك إذ أنا مطلقُ<sup>(١)</sup>

---

(١) من شعر جعفر بن علبه الحارثي - قتل ١٤٣ هـ .



- ٢ -

تأولتُ رؤيائي، هذا الجنونُ الفقيرُ المكْدَسُ بالعشق  
والملك والذهب الدمويُّ يتابذني جسداً بالمجازات  
روحاً بوهجِ الخلاخيلِ أسورةً بالقيودِ تَعْصُ على  
معصميَّ، جنونٌ فقير  
تأولتهُ، وتكذبتُ رَمِي الحصى والكتاباتِ في الرمل  
فليَنظروا:

مَلَكَةٌ أمةٌ في حبائلِ عبدِ أمير  
وحوتٌ من المرمَرِ الأرجوانيِّ يحملُ فوق  
تعاريقه وزعانفه الذهبية بحراً رُخاءً  
وزورقَ آنيةٍ فضةٍ يتهادى على الماء،  
بين الفضا والغيومِ السريرِ  
تَخَوَّفْتُ أن يعرفوني، تكذبتُ ما يكتبون على  
الرمل، موَهَّتُ ما يقرءون

وأقبلتُ في زُخْرُفِ العشقِ  
هَيَّأتُ من جسدي مثلما يفعل الميتون :  
حنوطٌ وطيبٌ يؤخِّرُ ما يفضحُ الموتُ ،  
أبْهَةٌ من هَوَيْنِي وخطو ثقيل ، وأقمطةٌ من  
شيات ، وباذخةٌ كفنٌ من حرير  
وأنتِ تَأَلَّفَتِنِي بوعودِ القيامةِ من جسدينا ومن  
جسدِ الوقتِ ، قَلَّبَتِنِي بينِ حالينِ :  
حالٍ هي العشقُ في مرمرِ الملكوتِ ،  
وحالٍ هي المجدُّ في ملكوتِ الجنونِ الفقيرِ . .

- ٢ -

- : أهذا هو العودُ على البدء؟

- : أجلُ هو العود على البدء .

- : كيفَ وقد أصبحتَ اسماً من أسماء الذاكرة

ولأشجاركَ خشبٌ في المواقِدِ ورائحةٌ في

الوليمةِ التي تتَّسعُ لوافدين يتزاحمون !

- : في البدء كنتُ - بين أمي وأبي - اسماً من

أسماء الحلم وطقساً من طقوس الماء المشمولةِ

بغيش الفجر وأباريق الفخار واللبن المرِّ

وبقايا الحناء على الكعبين

وكانت قصارُ السورِ تنعقدُ خيمةً على

استِثلافاتِ الصبّا وإيقاعاتِ الضحى والليل

إذا سجي

هو العودُ على البدء

الليلُ والنهارُ بوابتان على طريق المملكة

أبي عن يميني وأمي عن شمالي والبلادُ تخلع

لهجةَ الطفولة وتعلو منصةً لكلام الوعدِ والوعيدِ

وتمتدُّ حصيرةً للخوفِ والجوعِ ومخدةً للكوابيسِ

والماءُ جمرةُ التذكرِ الموقدة

أنفخ فيها وأنظر ما وراء زخرف الصخر

ومرمر المجازات

لأشهد كيف يكونُ مجدُ الينابيع المتفضة .

عقدةٌ من صفائركِ انفرطت بين كفيَّ

خامرني من عصافير حنائها وروائحها طائفٌ من دوارٍ ،

وزلزلةٌ لم تكذُ تعتريني حتى رأيتُ سهيلاً

يلامحني من ذؤاباتها ،

والثرياً المدلاة فوق السرير تؤرجحُ سنّةً من نعاسٍ .

ومرتُ سحابة  
 تحلُّ عُراها وتفتح أزرارها، استترتُ في  
 زجاج السموات وانكشفتُ ومضةٌ ومضةٌ وهي  
 تخصفُ تاجاً من السَّعَف الغضُّ،  
 بين يديها تهبُّ الرمالُ المضيئةُ والطيرُ عاصفةٌ  
 والمياه تصلصل بين السموات صلصلةً تتقَبَّبُ  
 ناشرةً في الفضاء البعيد جناحين من ظلمة الفيضان،  
 فهل ناقةٌ هدرتُ فانتبهنا على  
 مرمر القصر يخلع أقدامه من مواطئها،  
 القصر يرفع مرساته ويللمم خطواته الحجرية  
 من مقلع الأرض يرفع أعمدةً من  
 دخان وأتربةٍ تتموَّجُ في الريح؟  
 هل ناقةٌ هدرتُ فالرَّواقُ المهْدَمُ يرجفُ  
 بالماء يزَلْزَلُ الهودجُ الملكيُّ وتهوي

السلاسلُ فالأرضُ مفتوحةٌ لجة؟  
أم تأولتُ رؤيايَ فأنقذتُ من  
سريركِ غاشيةٌ من جنون المجازات!!

١٩٨٠

## فَرْحُ النَّارِ

- ١ -

مضتْ حَقَبٌ لَيْسَ يَدْرِي أَوْائِلُهَا أَوْ خَوَاتِيمُهَا  
أَحَدٌ غَيْرُ مِيرَاثِهِ مِنْ دَمٍ مُلْكِيٍّ وَفَطْرَتِهِ فِي  
مِغَالِبَةِ الْمَوْتِ بِالْإِرْثِ أَوْ فِي غِلَابِ السَّقُوطِ عَنْ  
الْعَرْشِ بِالنَّسْلِ أَوْ بِانْتِشَارِ مَلَامِحِهِ فِي  
السَّلَالَةِ أَوْ بِانْتِقَالِ الشَّرَائِعِ وَالصُّوْلَجَانَاتِ فِي  
الْحَلْفِ الْوَارِثِينَ  
وَهُمْ - وَاحِدًا وَاحِدًا - يَجْلِسُونَ عَلَى الْعَرْشِ ،  
يَحْيَوْنَ ، آخِرُهُمْ مِثْلُ أَوَّلِهِمْ ،  
فَإِذَا أَرَقَّتْ لَحْظَةُ الْمَوْتِ مَاتُوا كَأَيِّهِمْو :  
مَلِكُ الْوَقْتِ يَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَحِيدًا يَقْلُبُ  
عَيْنَيْهِ فِي مَلَكُوتِ الظَّلَامِ وَيَسْمَعُ أَهْوَالَ  
صَوْتِ السَّمَوَاتِ إِذْ تَتَفَتَّقُ أَفْلَاكُهَا  
وَانْفِسَاحَ الْبَسِيطَةِ إِذْ تَتَفَجَّرُ أَجْدَانُهَا عَنْ  
دَوِيِّ التَّوَارِيخِ ، يَسْمَعُ مَا التَّطَمَّتْ فِي دِمَائِهِ



وأنفاسه من دهور الترقُب والحذر المتوحش  
 وهو يرى كيف فاضت عليه الممالكُ تأكلُ من  
 مُلكه وتراث السلالة حتى تساكته جلده ودماه ،  
 وكيف يفيض فينحسر الآخرون إلى آخر الظن . .  
 حتى إذا اقترب الفجرُ ألقى عباءته وانتضى شكة  
 الصيد والحرب ، أرخى شكمة مهرته منصتاً  
 للنداءاتُ مزَلْزلات يُناوشنه عن خطاه ،  
 جوارحه يتلفتن ، شكته تتفصد من صدا  
 وارتعادة حمى ، وتعرّوه غاشية الفجر  
 بالفرح المتفجّع ، يُغريه بردُ الندى وانفساح  
 البسيطة بالصمت والطير ،  
 تعلو نداءاته :

يا زمانَ الولاء المبعثر كالريح هل  
 عصفتُ بحدودي عواصفك المستسرة  
 فالعرشُ منغرسات قوائمه في

المسافة بين الشهيقي وبين الزفيرِ  
أم انحسَرِ الواغلونَ  
فمملكتي آخرُ الظنِّ أولها !!

والولاءات . . هل فتحت في جدالاتها  
الأفقَ فانهمرت من ثقوب السموات  
ألويةً وبنودٌ تزمجرُ فيها الطواطمُ داميةً !!  
وعقَابُ السلالة . . هل من مسافة  
رفرفة غيرُ ما تفرُّ الروحُ من حسرة،  
غيرُ ما حَزَزَتْهُ الأسنة فوق المخنق !!  
صيدٌ أناوشهُ في الطرادِ أم الموتُ  
ينسج أشراك غيلته

يا زمان الولا . . لا . . آ . . آ . . ت . . تي . .  
ملك الوقت يأتي - ككل ملوك السلالة - شكتهُ  
تتلامح منها غواياته طعنة طعنة،

والجراح تنزُّ يَنابيعُها تحت مغفره وهو منفرطٌ  
تتساکب أعضاؤه من سنابك مهرته  
فالنَّجِيعُ على الأرض وشَمُّ الأهلَّةِ . .  
أنت طقوسُ المراسيم والدفنِ :  
هذا أنا وارثُ الوقتِ . . لفَلَفَتُهُ في الجراحاتِ ،  
شَكَّتُهُ كفنٌ وترابُ السَّلالةِ والرملُ والطميُّ طيبُ  
الحنوطِ

وَأَرْقَدْتُهُ جنبَ جَدِّي «تَنْتَظِمُ العائِلةُ  
صفوفاً من الشهداء تَرَاصَفُ أجدانُها جدّاً جدّاً»  
وابتدأتُ زَماني :

أنا صاحبُ العرشِ والصُّولجانِ  
تَفَرَّدْتُ في المُلْكِ . . ما من رعايا سوى شُبَّحي  
المتَفَلَّتِ في الظلِّ والنورِ ، مملكتي الضدُّ ، رؤيا  
اصطخَّابِ من الإحتمالاتِ ، مَسُّ جنونٍ من  
الانتظارِ المَرابطِ في عاصفِ المدِّ والجزرِ . .

لي امرأةٌ كُلَّلتُ رأسَهَا الشمسُ وانفتحتُ بين  
 هالاتِ حنائِها مدنُ اللونِ وانتثرتُ حول  
 سُرَّتِها الأُنْجُمُ العالِيةُ  
 وألقتُ قَمِيصَينِ من زخرفِ الطمي :  
 هذا قَمِيصُ المسافاتِ - في - الضوءِ  
 تلبسُهُ خطوهُ الطينِ في برعمِ يَتَنَفَسُ في  
 حَجَرِ الإحتمالاتِ ، تلبسُهُ الشهواتُ المَليئةُ والرحمُ  
 المثقلةُ

خَطَفْتُ عَطِيَّتَها ( والعطايا اختطافُ )  
 وحاصرني وَجْهُها . فأنا النهرُ وهي الضَّفَافُ  
 وبعثرتني رَقَصُها . فأنا البرقُ وهي الرياحُ

[ظَلُّ العُقَابِ مَرَفٌ ما بين أَجفاني  
 في عارضٍ يَرَقُصُ مِنْهُ بَرَقُ القاني

فقرأتُ في أطرافه أسماءَ آبائي وعنواني :

ميمٌ: يدٌ مغلولَةٌ في طنمِها الواري  
 والزند في بازلته العاري  
 أوتادُ نارِ السَّقَطِ في  
 كهفِ البلادِ المعتمِ الهاري  
 والطاءُ: عنقاءُ انتظارٍ لَبَسَتْها في  
 زمانِ القشِّ والأحطابِ تأويلاتٌ ما  
 خَطَّتْه في رَقِّ الوصايا مهرةُ النارِ  
 والراءُ: وشَمُ السُّنْبُكِ المفطورِ من  
 سُهْدِ الرِّباطِ الصعبِ في ليلِ الشَّغورِ،  
 القوسُ في الشَّدِّ، الهلالُ الفضةُ،  
 المهمازُ بين الأفقِ والينبوعِ، دمعٌ  
 جمرةٌ ما بين أجفاني.

وهذا قميصُ المسافات - في - الليل :  
 أنت الفضاءُ المقبَّبُ والحِثُّ لي ،  
 بيننا كان ماءُ الترائبِ والصُّلبِ يغلي بأسمائه ،  
 وأنا فوق نهديك دائرتا حمرة تتكحلُّ ،  
 من جسدي فدَ منحتك مملكةً فتَجَلَّيت :  
 هذا هو الأفقُ مسجورةٌ في نوافذه الشمسُ ،  
 والنومُ جميزةٌ والعصافيرُ مسكونةٌ بالشجر  
 وتحت الخطى غيمةٌ ، وشرارةٌ برق تطايرُ في  
 ودق الطلع ، والنهرُ مخبئٌ في زبينة نهديك ،  
 أذكرُ طينَ الجسور التي كتبناها المواويلُ في  
 راحةِ النهر ، أذكرُ :

## موالٍ.. من حدائق.. امرأة؛

عينُ يا عيني ياليلي يا ليلُ  
أنا الخطي . . وفي دمي الطريق  
أنا الذي تزرعُه الكتابة  
في الريح أو تطرحُه في القشْرُ  
منطفئًا وساقطًا في نفسه ،  
وضاربًا جبهته في الصخرُ  
كي يفتحَ المجهولُ في مملكة الأشياءِ  
الحائطَ المقامَ دون وجهه والقبرُ  
ليلُ ياليلي يا عيني يا عينُ

أنا الذي يحمل من مدائن الرعب مفاتيح الكنوزِ  
فتطلعين . . هُوَّةٌ مليئة واقفة في طريقي  
وتسقطين في كل خلية من جسدي

فأبدأ التّخارجَ الأوّلَ بالسقوط في الرموزُ  
يا عيني يا عين يا ليلي يا ليلي

في نَفْسِي لما نزلُ روائحُ الطُّحْلُبِ والشرارة  
وشهوةُ النّسجِ على مناسجِ الأسماءِ  
أحملُ في أصابعي الخاتَمَ مَنْ طيبتك المواراة  
بالسرِّ والبكارة  
إن قلتُ يا أشجارُ  
تفجّرتُ في الجسدِ البراعمُ الخُضْرُ وسقطتُ  
في فمي الأثمارُ

إن قلتُ يا سماءُ  
تكوّرتُ في فلكِ العينينِ  
كواكبُ الظلمةِ النهارُ  
إن قلتُ يا خليقةُ  
تجسّدتُ في زهرةِ النّهدينِ



وَالزَّعْبُ الْمَشْمُسِ رَجْفَةُ الْمِدَائِنِ الَّتِي  
تَوْلَدُ فِي تَوْحُّدِ الْأَنْسَابِ وَالْكِتَابَةِ  
يَا لَيْلِي يَا لَيْلِي يَا عَيْنِي

أَتَعَبَّنِي السُّكْرُ وَأَثْقَلْتُ ذَاكَرَتِي مَوَاسِمُ الْقَطَافِ  
أَسْنَدْتُ رَأْسِي مُثْقَلًا بِالشَّعْرِ وَالْقَدْرَةِ  
أَغْفَيْتُ . . أَعْضَائِي هِيَ الْأَرْضُ الْوَسِيعَةُ  
وَالْخَلِيقَةُ قَبْضَةٌ مِنْ طَيْتِي  
وَالنَّاسُ أَبْنَائِي  
يَا لَيْلِي

## موال المغني

ناديتُ لو أسمعْتُ أو بَلَّغْتُ . .  
ما كان امتدادُ النهر في طين الكلام  
إلا بلاداً من دم الصَّلصال ، والأرضُ  
استنامتْ تحت بلور الظلام  
فاذا وبَّت فيه ، وأرختْ  
مهرة الأرغول مشدود اللجام  
كان المغني في انفضاض العرس  
والسمار يبكى عشقه عاماً فعام  
عيني ويا ليلي وآه

وجهُ البلاد المبهَّمُ المفطورُ في الرؤيا  
اشتباكُ الطير في عَصَفِ الغمام  
والنهرُ يعلو . . ضِفَّتاه رحمةً من

سابع النوم، السواقي لا تنام  
إلا على جرح ونزف يسكن الصلصال  
والموال في خبز الفطام  
عيني ويا ليلي وآه

أسمعتُ لو بلغتُ . . كانت في جُروفِ  
النهر أشباحٌ، وأعشاشُ اليمامِ  
منقوشةٌ بالدم ما بين الخطى والطمي،  
فجرٌ من دم في النهر عامٌ  
دوامةٌ أرختْ ذراعيها وثوبيها  
ووجهها من قماط الموت قامٌ  
ليلي ويا عيني وآه

كان المغني طافيا فوق المياه  
يمشي به النهرُ الثقيلُ الخطو من

أهل إلى أهل ومن عامٍ لعامٍ  
بَلَّغْتُ . . لو ينشقُّ عن وجه البلادِ  
المبهم المفطورِ صلصالُ الكلامِ  
عيني ويا ليلي

- ٢ -

لمن هذه الأرضُ، هذي البلادُ التي  
 اقتحمتها البلادُ وأهوتُ بعنقودها حبةً حبةً،  
 هذه الأرضُ والأرضُ تَلْتَمُ من حولها عُصْبَةُ عُصْبَةٍ  
 والمدى قَنَقَذَتْه الرماحُ،  
 البلادُ التي انفردتُ من جراحاتها كالقنيسةِ  
 بين الأكفِّ .. لمن !!

لبستُ من الرعبِ دَرَاةً، قلتُ حصنُ الكتابةِ  
 آخرُ ما يَمْلِكُ الملكُ المتوحدُ،  
 تَلْتَمُ فيه خيولُ الدمِ المتحوِّلِ .  
 كان الزمانُ زمانَ الكلابِ التي اغتَلَمَتْ  
 بالكتاباتِ فانطلقتُ تتهارشُ والجيفةُ الملكيةُ  
 تنحلُّ، والأرضُ أَحْيَتْ ليالي غرائزها بشوَاءِ

الدم الآدميُّ وهذا النباحُ له ثمنٌ :

١ - يتساقط معنى الكلام ويهوي اغتلامُ  
الكتابات تبقى المسافات مهجورةً والخيولُ  
المخيفة تأتي الوجوه المخيفة تأتي .

٢ - تساقط لحمُ المعاجمِ عن عظمِ هيكلمها الهشِّ  
وانفضحت رمةُ الفعل في صيغة خشبٍ للتواييتِ ،  
والإسم يسكنهُ زمهريرُ الخُواءِ ، الدلالاتُ في  
بائن من طلاق الإشارة والحسِّ ، يستبدلُ  
النحو أركانه ، ثم يبقى الكلامُ مسافةً رملٍ  
تُعسكر فيها الدمى والجيشُ الغريبة .

٣ - إذا انقَسَحَتْ في الكتابات نافذةُ الأفق بين  
التقيّة والسرِّ ، بين القناع وديمومة الرمز . .  
فلتكبّر في ظلام الكوايس أيتها الشمسُ ،

ولتسجي عقدة الدم يا رجفة للمخاض المباغت

يا رجفة الرحم الواعدة .

٤ - وكانت بلاد الطواغيت سجادة تتقصّف فيها

رسومُ الشجر

وتطوى أمام المغيرين . .

تطوى . . فتعلو عمائرها . .

تتمطى بلادٌ من الرمل والريح . .

كان المغني يغني : « امنحوا وجهَ هذا الحجر

قداسةً خطواكم واخرجوا . .

واكتبوا وطنًا يفتق كالجرح . »

كان الكلامُ

وكان الممالك يُقتسمون رغيْفَ النّخاسةِ

يرتدُّ وحشُ الكلامِ

خطوطاً من الموت مكتوبةً في جيبني

يُقلبُها البرقُ والرعدُ

حتى مخاض الحريق المفاجئ.

٥- هو الماء يشتعل الآن في النهر . . كيف

النَّجَاءُ لَكُمْ أيها السابحون مع الماء أو ضده  
والمراكب تهوي مفككة (ليس من عاصم)  
والخطى غرق

والمسافة بيني وبين بلادي وعرشي  
دمٌ وتماسيحُ النار !!

٦- أرى . .

خطوة الشمس أوسع من ملكوت الفجعة،  
أعمق من قشرة الصدا المتكثف فوق رغيف  
البسيطة،  
أبعد من آخر الظن، أقرب من نفس الرئتين.  
أرى خطوة الشمس . . والأرض مهمازها والرياح  
الطليقة مهرتها،



فاضربني يا شمس الكوايس في خشب العرشِ  
 وليسرح السوسُ فالأرضُ بوابةً والردى في  
 البلاد الطريقُ،  
 الحريقُ المفاجئُ دَوَّامةٌ تتمددُ في أفقِ الإحتمالاتِ ،  
 والشمسُ تُسرِعُ . . كانت تفرُّ الأقاليمُ من تحتها  
 تتداخلُ مخطوطةُ الرمل في أحرفِ الماءِ  
 والورقُ المتطايرُ يَلْتَمُّ في مصحفِ الخلقِ  
 والشمسُ تسرعُ أبعدَ منا وأقربَ  
 والوقتُ يرفعُ نيرانه الفوضويَّةَ، يحملُ آياتِ  
 غربتهِ وطنًا للولادات والإحتمالاتِ . .  
 والشمسُ تسرعُ أبعدَ منا وأقربَ . .

## - ٣ -

أهاربة أنت عريانة تحت قشر المسافة  
 أم أنت طالعة مثلما يطلع النهْدُ مستورة؟  
 أنت تاجٌ من القش يلبسه ملكُ الوقت منتظراً  
 لحظة البرق خطفَ الحريق المفاجي؟  
 أم أنت قافيةٌ تتوقّد نحت رماد الكلام؟

وهذي المسافاتُ سرّوَالك المتفتّق يُنْغَلُ من  
 تحته الخلقُ يكسو عظامَ دفائنه اللحمَ،  
 أم أنت عصفورةٌ تتنقّل جمرتها في غصون الخواس  
 وتفتح في خشب الإرث بابَ الغمام فتصهل خيل  
 الينابيع في جسد الأرض؟  
 واحدة أنت والكونُ أسماءُ وجهك أم أنت

جميزةٌ في فضاء الخليقة أوراقك الحُضْرُ طعمُ البلاد  
وظلُّك بيتُ الزواج المقدَّسِ ، في جذرك  
الحيُّ يزدهم الماءُ والطمي ؟ !

قومي سطوعَ القيامة ، واصبَّاعدي من دمي . . أنتِ يا  
شهقةَ الإحتمال المفاجيءِ يا فَرَحَ الأسئلةِ  
فهذي عصافيرُ جمركِ مكتوبةٌ  
(قفصُ كلِّ شيءٍ وأفقٌ يفتحُه الحلمُ)  
نائمةٌ أنتِ مصفودةٌ والصفائرُ معقودةٌ ،  
بين نديك يساقطُ النومُ ، والماءُ والطميُ فرشُك ،  
والريحُ مكتوبةٌ في صراخِ المواويل . .

قومي اصعدي من دمي . .  
أنتِ نائمةٌ حولِ حقْوَيْك يلتفُ  
عقدُ القوى والمدائن . . أنتِ ممدَّدةٌ

(كلُّ شيءٍ سريرٌ وعاصفةٌ تفرك العينَ بعد النعاس)  
ووجهُك أروقةٌ في خراب الممالك . .  
هذا أنا ملكُ الوقت . . تلتئمُ فوق بساطي الخليفةُ ،  
أدخل في كل بيت ، وفي كل بيت رعاياي ،  
أبس طمي القرى خائماً ولساناً لسطوة قلبي ومدرجةً  
لبلادي التي سوف تشهدُ :  
هذا هو الصولجانُ الذي  
يغزل الريحَ والبرَّ والبحر . .  
فلتأكلوا ما زرعتُم ،  
أقيموا ولائِمَ عهدي . . فهدي هي النارُ ترفضُ أثوابها  
وتمدُّ خطاها على فرح الأسئلة  
فتمنحها شكلها في مرايا البلاد . .

# فَرْحٌ بِالتَّرَابِ « قِصَائِدُ »

## مفتتح أول

طلقةُ الماء الزجاجة برصاصتها الشفافة  
سدّها البحرُ - بين النوم واليقظة -  
فاردتني عشقاً،  
وغُشيَ عليّ من وهج الظهيرة المبتعدة . .

أطرافي مهرةٌ والبحر ربيعٌ من ليونة الجسد الذي  
يمدُّ لي موائده بالجوع أطباقاً أطباقاً  
وأحلامي طيورٌ متوحشةٌ فاجأها الليلُ بالحيرةِ  
ونداء المسافة  
أربعون باباً هي مزوكةُ أعضائك المفتوحة على  
ينابيع الطعام والشراب  
أكلتُ وشربتُ،

نظرت إلى أقدامي فرأيتُ الخطوةَ ولم أر الطريق  
أربعون بابا أجيئُك منها بعدد السنين  
أكتسي دماً ولحماً وأتكلم ولا أولد .

شمسُ منتصف الليل وقمرُ الظهيرة :  
هل هذا هو اقترانُ الوطن بالنفي  
واللغة بفزع الكهوف ؟ !  
هل هو ميقاتُ استطالة الظل أم موعدُ  
لفطرة الينابيع أزقتُ تفجراته  
لتكتمل أعضائي وتنفرط فواصل ومسابع إيقاعات !  
أقولُ أنا المولود من أربعين امرأة  
هذه بطولةُ الانتظار وتعثراتُ الخصرة البطيئة . .

## مفتتحُ ثانٍ

أربعون بابا . . تشتبك منها الدوائرُ وتتواشجُ  
الدهاليزُ وتفرعُ أشجارُ الدَّرَجِ صعودًا وهبوطًا  
يفاجئني صديقي «زينون» الإيليُّ ويفتح المسافةَ  
بين السهم والأفق

ويملاً فراغ الأوراق بوحشية السباق بيني  
وبين سلحفاة البداية وكلمة الفتح  
ويفاجئني صديقي النَّفْريُّ بوردَةِ الماء المدمِّمِ ووهج  
البحرِ وطعم الهواءِ المالح  
فأشتهي الخبزَ وأنتظر الوقتَ وطفولةَ المسامرةِ  
والكشفَ وإيذانَ الدهولِ  
أنا المولود من أربعين امرأة



أترَبِّصُ لِهَذيَانِ التَّذْكَرِ وَجَمُوحِ الأشْكَالِ  
فَالْأَرْضِ مُحَدَّوْدَةٍ عَلَى حِصَادِ الْمَوْتِ وَقَوَارِيرِ  
الظُّمَأِ الْمَعْتَقِ

فَهَلِ أَنْتَ عَلَى أَهْبَةِ أَيِّهَا السَّاقِي  
لِتَفْتَضَّ أَخْتَامَ الطِّينِ وَتَمْدَّ الْمَائِدَةَ بِالْكُثُوسِ  
وَشَطَايَا الطَّعَامِ وَأَحْزَمَةَ الْعُشْبِ الْمَحْنَطِ وَالزَّيْتُونِ  
أَمْ تَتَلَقَّتْ كَمَا يَتَلَقَّتْ الرَّأْسُ السَّاقِطُ مِنْ شَجَرَةِ الْجَسَدِ  
وَهَلِ أَنْتَ - بَيْنَ مَنْ مَضَى وَمَنْ يَأْتِي - خَلِيفَةٌ  
عَلَى الْمَسَافَةِ بَيْنَ أَوَّلِ خَطَاكَ عَلَى حِصْبَاءِ الْمَوْتِ  
وَأَوَّلِ خَطَاكَ عَلَى عَتَبَةِ الزَّلْزَلَةِ

هَـا هُوَ نَهْرٌ يَجْلِسُ الْقَرْفِصَاءُ  
يَفْكُ سَيُورَ خُفْيَةِ الْمَجْدُولِينَ مِنَ الْبَرْنُوفِ  
وَلِيُونَةِ الْعُشْبِ

عباءته من هشاشة القشّ وضمائر السنابل  
تطرّزها أزهارُ القرطمِ والزَّعْلَنْتِ  
تتدلى من عُراها أربطةُ العليقِ وأزرارُ  
الرّمان الساقطةُ من وردة الدم السنوي  
ها هو يتجلى كائناً نباتياً مزدحمَ الأعضاء  
بالطحلب والبشّنين ورغوة الخضرة والرائحة الميتة  
والليل يساقط من أطراف الأيدي  
وبين الأصابع تتلاصق الأحجارُ بيوتاً مغلقةً  
النوافذ ومجهولة الدهاليز  
فهل أنتِ امرأةٌ لأنّ الملوك يزدهمون بين القميص  
وبين تضاريس الجسد؟  
أم أن الملوك يحاصرونك لأنك امرأة؟  
أم أنتِ امرأةٌ لأنّ نهديك وفخذيكِ مقاصيرُ

للشجر المكتوبِ على أكفِّ الليل والنهار ودوامات  
الريح؟

كشف الليل عن ساقيك وانتصبَ عمودُ الصبح  
بين نهديك أرضٌ ممدودةٌ ليومٍ موعود  
وهذا قرانُ العناصرِ  
تساقطُ عنك دَرِيئَةُ الحطب والشجر اليابسِ  
وتعلو شجرةُ الأفق  
والنحلُ البريُّ يبنِي سداسياته في صحنِ السرةِ الناضجة  
فيسلكون حولك مسالكَ الريحِ صفًا صفًا كأن  
على رءوسهم الطير  
ذلك أوانُ الفرح والموت  
وأنتِ من كل شيءٍ ينبوعٌ يتففض بالحُمَى  
وصرخةٌ تفرُّفُ في دمها

تلك آيةٌ لمنسئة الغضب وقيامه الأرض السابعة  
فانظري . .

ها هي الشمس مقطوفةٌ من براعمها  
نثرت من قطيفتها زغباً فوق بُرج الولادة  
تكتبين الألفَ خطوة ساقطة كالقذيفة  
على لحم الورق المستسلم  
وتكتبين الياءَ سريراً يترجرجُ على زئبق اللغة  
تتعلمين الأرقامَ والحساب :  
هذا هو الواحد . . ملفتٌ بالفردة ،  
منتشرٌ وكثير

ترسمين الأربعةَ بيتاً من طابقيْن مفتوحاً للرياح والمطر  
تجمعين فتحبّلُ الكائناتُ باحتفاليةِ الزَّواج  
تطرحين فينسلخُ النهارُ من الليل وينفلقُ النوى  
ويخرج الحيُّ من الميت

تقسمين فتمتلي السلالُ سمكًا وأرغفة  
تقفين على عتبة الألوان وإغراءات المساحة  
والأفلامُ شجرةً مقطوعةً من قوس قزح  
يسكنها النومُ المجنونُ بالصور  
وتعشش فيها طيورُ الحلم والرغبة  
تتقدمين خطوةً إلى أبهاء الشكل وأروقة العبارة  
فينقلبُ كلُّ شيءٍ  
ينقلبُ كلُّ شيءٍ ..

١٩٧٥

١٩٥

## مفتتح ثالث

هل قلتُ إن الأرض أقرب من دمي ،  
 إن الدم الفوار طميُّ من خرائطها  
 ومشويُّ من القرُميد يدفُّق بالسلاّلات القديمة  
 والرفات من الخرائب ؟ !  
 قلتُ صلصالٌ وفخارٌ هو الدمعُ المبادرُ والمقيم ؟ !

قلت البلادُ قريبةٌ ليست تمرُّ الشمس من دوني  
 ولا ترمي الرياحُ عباءةَ الغيم الرحيم  
 إلا وكنت تشقُّقُ الألوان في شفقٍ انهمارِ الفجرِ  
 والإيقاع في الأمطار ،  
 ليست موجاتُ النومِ في الرؤيا وليلِ الخلقِ  
 في صبحِ السديمِ

إلا خطايَ الباحثات عن البلاد المستكنة في البلاد . .  
 قلتُ البلادُ قريبةٌ . . فيدايَ مُنْسَرَبٌ لِمَحْضِ اللّمسِ  
 فوقَ خلائِقِ الملكوتِ فيها بين طلعِ شهوةٍ  
 متوقِّدِ الودقِ العميمِ  
 فالريحُ حُبلى والدمُ اللونيُّ معقودٌ سلاّلاتٍ  
 وأنساباً تُواشِجُ خنْفَةَ الطينِ المقدسِ  
 وانفجارِ الأرضِ بالميلادِ  
 - بين الماءِ والجذرِ القديمِ -  
 فالأرضُ أرختْ ظلّها المكدودَ من طمثٍ وخلقٍ واشتهاءٍ  
 ويدايَ مُنْسَرَبٌ لِمَحْضِ اللّمسِ . .  
 عشرٌ من نوافيرِ الخواصِ . .

هذي هي البطن التي استرخت قباباً ليس  
 يعرفوها سوى حمى يديّ، الريحُ إيقاعُ الزيارةِ  
 والخطى من لَفْحِ أنفاسي  
 ومشبوبُ الجنونِ نعمةٌ في سنبِلِ القمحِ

الحشونةُ في انحدار العشب والوديان مشوبُ الجنون  
وأنا أمد يديَّ

فبما بيننا بحرٌ وصحراءٌ ومشوبُ الجنون  
والأرض أقربُ من دمي . . فأنا اختيارُ الأرض  
والأرضُ اختياري ، والموائيقُ التي انعقدتْ  
بغيب الذرِّ في الأصلاب يشهد مغزَلُ  
الأفلاك والفجرُ المرفرفُ تحت عرش الله أن  
النطقُ بالإشهاد مختومٌ بوشم دمي وطنيني  
النطقُ يشهد أن رَقَّ الموثق المعقود ما  
بيني وبين الربِّ يفتح أضلعي في لوحه المحفوظ . .  
فانطق يا يقيني

وانفخ دمي في الصُّور ، ولتشهد يميني  
أن المدائن والمدافن تحت محضِّ اللمس يرْجفُ  
من رَواجفها انفجارُ المشهدِ البوميِّ بالرويا .



وقت ما

لوقت ما

للريح محلولُ العباءة أم لوجه الشمس ما  
ذرَّ الترابُ على جبينك من نحاس الفجر !!  
مهرُك اسنهلَ صهيلها ضَبْحاً  
صداه الغيمُ والظلُّ الخفيفُ  
على اتساع الأرض والفلوات ،  
تعلو خطوة الشمس التي تعلو كأن المهرة اشتبكتُ  
بمهماز الفضاء وأنت تعلو فوق صهوتها  
المطهَّمة الركابِ بنجمة الصبح الأخيرة  
ليس للشمس الوليدة في قماط الفجر أن  
تتشعَّع الحناء منها في ذؤابة شَعْرِكَ المرخى : لها مَسُّ  
الحوافر . . دونها وهجُ الركابِ بنجمة الصبح الأخيرة .  
ليس لليل المولِّي في سهوب الفجر أن

يَلْقَاكَ عَدُوًّا مِنْ بَرَارِيهِ الْقَدِيمَةِ : أَلْفَ  
 عَامٍ وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ يُتَسَخَّنُ وَجْهَكَ  
 لَا تَضِيءُ وَلَا تَذُوبُ وَلَا تَنَامُ وَلَا تَقُومُ  
 وَأَنْتَ فِي أَلْفِ الْأَرْقِ النَّوْمِ لَسْتَ تَسْمَعُ  
 غَيْرَ نَزْفِ الْأَرْضِ فِي وَدْقِ الرُّوَاعِدِ بِالْأَسِنَّةِ لَسْتَ  
 تَسْمَعُ أَوْ تَرَى إِلَّا تَرَابَ سَلَالَةِ النَّوْمِ الْمُورِقِ إِذْ  
 تُذَرِّيهِ السَّوَافِي الْعَاصِفَاتُ وَأَنْتَ تَعْقِدُ عُقْدَةَ  
 الثَّارِ الْكَظِيمِ وَتَصْطَلِي حُرْقَ التَّذْكِيرِ وَالْحَنِينِ  
 . . فَهَلْ لِلْحُلُولِ الْعِبَادَةِ هَذِهِ الرِّيحُ الْفَتِيَّةُ  
 أَمْ لَوْجْهَكَ مِنْ نَحَاسِ الْفَجْرِ مَا ذَرَّ التَّرَابُ !!

أَلْفٌ مِنَ السَّنَوَاتِ كَانَتْ أَلْفُ بَابٍ  
 يَا تَيْكَ مِنْهَا السَّيْلُ وَالطُّوفَانُ  
 يَجْرُفُ مَا انتَظَرْتَ مِنَ الْأَجَنَّةِ . .  
 أَلْفُ بَابٍ

تَفَتَّقُ الْآفَاقُ مِنْهَا بِالْهَزَائِمِ وَالْخِرَابِ  
تَجَلُّوْا بِعَظْمِكَ فَضَّةَ الْأَصْفَادِ  
عَلَّ بِجَوْهَرِ الْقَيْدِ الشَّكِيمَةِ وَالرَّكَابِ  
غَالَتْكَ فِي الْعَشَقِ النِّسَاءُ فَهِنَّ أَطْلَالُ مِنْ  
الْفَتَنِ الدَّوَائِرِ فِي نَشِيْجِ الْإِغْتِرَابِ  
طَلَعَتْ عَلَيْكَ جَمِيْلَةً فِرْعَاءُ فِي وَهْجِ الضَّحَى الْعَالِيِ  
وَأَنْتَ مُطَوِّحُ الْأَعْمَاقِ مَا بَيْنَ الْحُضُورِ الْبُورِ  
وَالْخَصْبِ الْغِيَابِ  
طَلَعَتْ وَخَلَفَكُمَا سِرَادِيْبُ الْمُلُوكِ الْأَقْدَمِينَ  
يَضِيءُ فِيهَا مِنْ شَبَابِ الصَّخْرِ عَشَقٌ بَازِغٌ  
قُلْتَ: اَنْتَهَى طَوْفَانُكَ السَّرِيُّ . . هَذَا مِنْ  
شَطَايَاكَ الْقَدِيْمَةِ قَدْ أَتَتْكَ حِمَامَةٌ بِيضَاءَ تَحْمَلُ مِنْ  
جَنَى فَوْضَاكَ مِنْ غَرَقِ الْقَصَائِدِ فِي وَحُولِ  
الْخَلْقِ وَالْإِلْهَامِ غَصْنًا مَثْمَرًا . .  
قُلْتَ: اتَّبِعْ أَهْوَاءَ رَقْصَتِهَا وَبِعَثْرُ مَا تَبَقَّى مِنْ

بكائك أو رماك في غوايات الضحى أو في  
 غوايات الصّواهل من حروف كلامها أو  
 لثغة الرّاء المهيّجة . . اتّبعْ بهو الملوك الأقدمين  
 إلى أوائل دهشة الإنسان للعالم وصوره ما  
 تجلّى من ضرام العشق للأرض الوسيعة  
 والسموات المضوّاة القباب  
 قلتَ: اتبعْ رقص الغزالة فهي تُغوي في  
 دمالك لهفة الشّعْر المزلزل والحنين الصعب . .  
 لا تدري أتغويك القنينة أم هي الصيادُ يرقبُ  
 بغتةً من غفلة الأنس الرحيم فتدريك بما  
 يشفُّ وتنشي ودماك تشخبُ  
 قلتَ: أثبّعها، . . وفي بهو الملوك سبّعد  
 السحر المرمّد في السرايب السحيقة عقدة  
 الفرح الخفي فتستجيشُ وأستجيشُ وننتهي للبدء . .  
 كانت لمسة الكفين فوق

برودة الأحجار ميثاقَ التَّداوُبِ في مشاهدِها :  
 الحَيَاةُ بفيضِها انفرطتْ على الجدرانِ ،  
 طعمُ النهرِ يَقْطُرُ في العناقيدِ ، الطيورُ بهيَّةُ الأسرابِ  
 في الأحرارِ ، في المستنقعاتِ الزهرُ والسَّمَكُ  
 الملونُ ،

والمجاذيفُ الرشيقةُ تضربُ الإيقاعَ  
 للموَالِ والرقصِ المجنَّحِ ،  
 والخلائقُ في زفافٍ من سَفَادِ الطيرِ والحيوانِ ،  
 جندٌ يلبسونَ رشاقةَ الموتِ الجليلِ ،  
 وكان قوسُ النصرِ فلاحينَ عصَّارينَ صيَّادينَ حفَّارينَ .  
 والملكُ استراحَ على أريكةٍ مُلكه يسقي مليكتَه  
 وتسقيه . .

العُقَابُ محوِّمٌ  
 بجناحه الذهبِ ، التماعَةُ عينه شمسٌ تضيءُ  
 المشهدَ الحجريَّ . .

كانت لهفَةُ الشَّعْرِ القَدِيمَةُ تشرئبُ  
 ويستفيضُ بها رمادُكَ  
 كنتَ تُجْهَشُ بالقصيدة وهي في أصفادها الحجرية،  
 التفتتُ جوارحُكَ . . النداءُ بكل جارحةٍ يغمغمُ،  
 والتفتَّ وقلتَ: ينبجسُ السرابُ  
 ماءً عميمَ الرُّوحِ والريحانِ، يطلع من شظايا  
 الموت والدمن الخرابُ  
 موألك المصفودُ في ألفية النوم المؤرق . .  
 يرجفُ الحجرُ، الحياةُ تعيد سيرتها:  
 ثغاءُ الطيرِ والحيوانِ يعلو، الزهرُ منفتحٌ لأسرابِ  
 الفراشِ وعاسلاتِ النحلِ، تبتلُّ الشواذيفُ،  
 المياهُ يقضنُ بالبشنينِ والسمكِ الملونِ،  
 والمراكبُ مُثقلاتٌ بالبواكير الجنود على  
 تغور الأرضِ والموتِ الجليلِ مرابطون،  
 الأرضُ في عرسٍ وقوسٍ النصرِ معقودُ الزخارف

والملوكُ الأقدمون على الأرائك لحظة التَّوَجِّجِ . .

ريحٌ من رُخاءِ السحر

طال بنا اغترابُكُ واغترابي في رميم الأرض والروحِ

استنفيقي من شظاياك انهضي منك

القصيدةُ في رماد القلب توشك أن تَبُلَّ عظامها

الإيقاعُ في ضَرْبِ المجاذيفِ استهلَّ فرفر في

لنكون في قلب الرعية وانفجار الماء

والشمسِ القديمة فوق أطلال الملوك

استنهضي الحلمَ المبدد في رماد العشق وانفرطي

معي لنكون فيضاً في

الحياة المستفيضة من جنون الصخر . .

كانت تستديرُ الشمسُ من أفق الضحى العالي

وتَجَنَّحُ للغيابُ

قلت: الضحى والليل يتسخان وجهك

فارتكضُ

خلفَ الغزالة وهي تُمعن في ملاعبها اليبابُ  
قلتُ: ارتكضُ واترك لهذا الصخر موعده المؤجلَ علَّها  
ابتدرتكَ بالعشق المؤجلُ . .

كان صمتُ الليل معقوداً بلاداً في البراح  
ومستضيئاً بالجراح وكان منكمشاً ببرد الريح  
ملتجئاً إلى صمت الملاحم والمواويل الجريحه  
والنعاسِ الرطبِ في خشب الربابِ  
حتى استفقتَ وقلتُ:

من أيِّ البلاد- وقد خلَّتْ من عاشقيها- جئتُ ،  
من أيِّ المواعيد أنفلتُ فأنتِ مطلقةُ السراح غوايةً  
للغابرين الهارين من القصائد وانتظار العشق !!  
قالتُ: أنتُ . . كفكف من مجازات الجنون الصعبِ

راودتَ القناعَ عن الملامحِ واللامحَ عن توارينِ  
المبددِ من رماد العشق



وامتدَّتْ يداها بالحنان المستريب . .  
 الليلُ والصحراءُ ينبسطانِ ،  
 والنهرُ المشرَّدُ في مخادع طينه ،  
 ريحٌ مبلَّلةُ الضفائر بالنَّدَى ، والكونُ أنثى من  
 أصابعها تَقَطَّرَتِ القصاصدُ أنجمًا تدنو بأوَّلِ ما  
 يُشير الشَّعرُ من سُجُنِ البداياتِ . .  
 الحرير تفتحت منه العُرى :  
 طَلَعُ يَفُوح بما استكنَّ من الروائح والفراشات الغويَّة ،  
 نجمتان على كشييين ،  
 ارتخاءُ الموجة الحرَّى ، العمودان الرخاميان  
 من رمل التَّشهُي ، وردتان أضواءتا غَمَّازَتَيْنِ فهل هو  
 الجسدُ المملَّمُ من شظايا كل فاتنة مضت أم هذه  
 حالُ التَّفْشُح في الخليقة لحظة التَّكوِينِ والخلقِ ؟ !  
 استرابَ حنائها القلقُ ابتدرتَ حنائها بالفيض من

دمع التلقّي المستشفّ لعارضِ الشعرِ الملوّحِ  
بالقصيدة، قلتُ: للخيلِ العِرابُ  
نَزَقُ الغيومِ وشهوةُ الرقصِ المِباغتِ في انفساحِ  
الأرضِ باللغةِ الجموحِ وشهقةِ الشبقِ المصلّصِ في  
الصهيلِ وفي الكتابِ  
قلتُ: انظري للغيمِ . . كوني مهرةً الملوكوت وهو  
يشكّلُ اللغةَ الحميمةَ في لسانكِ وامنحي لغتي المدوّبَ  
فيه من لغةٍ مُقَطَّرةِ القبائلِ والصهيلِ . .  
وكنتَ تجهشُ بالقصيدةِ وهي في  
رَتَقِ الغيومِ فلا تَفْتَقُ . .  
ليس يَنْهَلُ السرابُ  
إلا بومضٍ زجاجٍ عينيها ولفتها الفقيرة لانتصافِ  
الليلِ،  
كانت تستعيدُ رمادها وتعيدُ سيرتها إلى بددِ العناصرِ،  
من يديكِ تَفَلَّتَتْ:

لرمل ينسربُ الكشيان اللذان  
توهَّجا بيديك من وعدٍ تقدَّرَ للرضاعة،  
لاصطخاب البحر موجَّتها التي انعقدتْ بسرَّتها  
وحقوئها على برج التفتح للولادة،  
للرياح ولاهْتِراءات الغيوم حريزها،  
للهدم والشَّقَرَاتِ كان رخامُها يهوي  
ومن بين الرُّكام تهبُّ سافيةً التذكرِ:  
ها همو من كل حَذْبٍ يَنْسَلُونَ  
بكل مُشرَّعة القواضبِ والحرابِ  
قد أْحْدَقُوا بك،

لم تكن تدري أهذي من خواتيم القنيصة أم هو  
الفتحُ المزلزلُ باكتشاف حُبالة العشق المؤقتِ!  
فانفلتْ ونجْمةُ الصبح الأخيرةُ وحدها في الأفق،  
مهرتُكَ استهلَّ صهيلُها في غابر الشَّعرِ،  
ارتختْ في خطْفة الحلم الشكيمةُ، وانجلى من

## فضة القيد الركابُ

هذا هو السفر المقدَّرُ . . ليس من زمن له أو  
من بلادٍ غيرُ ما يعلو به الوجعُ العصيُّ ويتليك نداؤه  
الدمويُّ  
آخرُ هذه الفوضى وأولُ ما يقوم من السلالة :  
ذلك النسرُ المحاصرُ .

كنتَ تفتح من جراحك كلما اشتعلَ الدمُ الموتورُ  
واشتجرتُ سهامُ القنص في الآفاق واستعرتُ  
بأيدي الزاحفين غريزةَ القتل الجماعي ، الجراحُ  
تفتَّحتُ لحصاد ما يهوي من الصيد المجندك ،  
والجواءُ خلون من عنف الرشاقة وامتلاك  
الريح نسرًا بعد نسر . . ها هو النسرُ الأخيرُ  
محاصرٌ بين المخارم والسحاب  
والأرضُ - بالوجع العصيُّ وبالتزيفِ -

من النداءات المزلزلة -  
استعادت ذكريات الطَّلَقِ . .

مهرتُك استهلَّ صهيلُها في غابر  
العشق المكتَّم في القصيدة، أنت تَعْلُو خطوة الشمس  
التي تَعْلُو . . لها مسُّ الخوافِرِ . . دونها وهجُ  
الركاب بنجمة الصبح الأخيرة،  
ليس من زمن فلا وجهُ الضحى العالي ولا  
الليلُ المخاتِلُ من رعايا وجهك النضاح بالرويا،  
لك الملكوتُ والعرشُ المَنَمَّمُ  
والقصائدُ من نقيعِ سلالة النسر المرمد في دمايك  
والنداءاتُ العصياتُ، الطبولُ مدمدماتُ  
والسلالةُ من ملوك العشق طلقًا  
يستجيشُ به الترابُ . .

١٩٨٧/٥/١٥

## زيارة

طيناً من الطين أنجبتُ ففني دمي المركوزُ من  
طبعُ التراب الحيّ:

فورةٌ لازب، وتخمّرُ الخلق البطيء،  
ووقدةُ الفخار في وهج التحول، وانتشارُ الذرو في  
حرية الحلم، انفراطُ مسابح الفوضى حصي،  
وصلابةُ الفولاذ في حدق الحجارة واليوافيت..  
انخطفتُ بنشوة الحمى، الأوابدُ من وحوش  
الطير تحملني وتمرق..  
في حواصلها أعينُ محنة

الملكوت والأرض الفسيحة..  
خفقةٌ تعلو ورفرفةٌ تسف، وبابكَ الفلكُ  
المدورُ يا أبي ورتاجك الطيني والقفلُ الحباله  
والشراك،  
وهجعةُ الأطيّار إن حلَّ الظلامُ - على الشواهد -

فوق صبارات قبرك ، صوتهنَّ بكلِّ مُعتركِ الجِواءِ  
وَمُجْتَلَى الدَّمِ والمَنَامِ هو النداءاتُ الخَفِيَّةُ مِنْ  
ترايبكَ والمخاطبةُ العَصِيَّةُ مِنْ ترايبي .

صَحَوُ هو الفجرُ المَعْلُوقُ في ثُرَيَّاتِ القصيدةِ إذْ  
أحرَّكَ في ضرامِ الخَضرةِ الشَّمْسِ التي  
صدَّتْ على أَقْفالِ بابكَ يا أبي  
ناديتُ في طقسِ الزيارةِ : كيفَ أزمَنَةُ الترابِ  
وكيفَ تَنجَلُ السَّلالةُ مِنْ ترايبي  
ناديتُ والفجرُ المَشْعُشعُ نَحْتِ أَجنحةِ الغرابِ  
يستنْفِرُ الطيرَ الأَوْبَدَ - مِنْ مِجائِمِها البَلِيلَةِ بالتذكُرِ -  
للسياحاتِ العَلِيَّةِ في اجتِلاءِ الأَرْضِ والدَّمِ  
من بَدَايَةِ بابكَ الطِينِي حَتَّى  
مَتَّهى صَوْتِي المَجْلَجِلِ بِالخَطابِ . .

## صَبِيُّ الْفَرَحِ بِالْتُّرَابِ

«إلى ثوي»

بوجهك وهج دم يتكشف فيه النبيون  
 والخيلُ تصهل تحت انفلاق الوراثَةِ والسَّلفِ الصَّعبِ  
 عن وقده تتغيَّر فيها خطى الريح:  
 يعلو الكلامُ ويخلعُ أوزانه  
 يستعيدُ المراسيمَ والسَّجْعَ يَنْبُتُ من همهمات الكهانةِ  
 والنَّفثِ في عُقْدِ اللَّيْفِ والعشبِ  
 فالأرضُ مُحَضَّرَةٌ والسَّماءُ مِيَاهُ مَقْدَرَةٍ  
 والنبيون مستغرقون . .  
 بوجهك ألفُ دمٍ والدوارقُ شَفَافَةٌ وأنا  
 أَتَقَسَّمُ مِنْكَ بِلَادًا وَأَنْفِرُ طُرُقَ الرِّقْصِ والراقصين  
 أفيضُ وأعلو سيولاً من الخلف المتكثِّرِ . .  
 ها جسدي واحدٌ وكثيرٌ،



وها وحشةُ المتوحِّدِ أرضٌ تراحمُ فيها الخلائقُ،  
عهدٌ أو نُقْه

سفرٌ في التذكُّر، بيتُ الإقامة  
جلجلةُ العصف، مَضْغُ الجذورِ الطريَّةِ في الأرض  
فَتَحُ الكَلامَ مع الطيرِ والوحشِ  
خَصَفُ الفروعِ ومَشَبُّكَ الماءِ تحتَ لسانِي . .  
تَنْظَرْتُ:

يخشَوْنُ الصوتُ أو يسقطُ  
الزغبُ الأصفرُ العشقُ يعطيكِ شاراتِ أمجاده  
عُشْبًا لا ثَدًّا بالذراعين  
رائحةٌ يَتَفَقُّ منها خفيُّ النداءاتِ . .  
أسمعُ حمحمةً للذكورة والعشقُ في خَفَقِ نعليكِ  
أسمعُ في جسدي رعدةَ الملكوتِ وأسمعُ  
خَطْوَ الملايينِ ما بين خطوي وخطوكِ . .

نَذَرْتُكَ تَقْدِمَةً لاندلاعِ البراعمِ في خشبِ الوقتِ

فالشَّمْسُ ذَائِبَةٌ تَحْتَ خَضِرَةِ قِمَصَانِكَ الطَّلُ  
مَخْتَبِئٌ وَالْحَرِيقُ

املأ الأرضَ بِالْغَابِرِينَ مِنَ السَّلَفِ ، املأ  
بِوَجْهِهِ الْمَلُوحِ أَرْجَازَ بَادِيَةِ الْأَهْلِ  
وَاتَّبِعْ خُطَى الْمَاءِ بَيْنَ الْغُضَا وَالْأَرَكَ  
سَهِيلٌ دَلِيلُكَ وَالْفَتْحُ مِيقَاتُكَ . .  
اكتملَ الْعَرَسُ  
فَانْظُرْ دَمِي هَبْوَةً فِي فِضَاءَاتِ عَشَقِكَ :  
أَنْصَبْ بَيْنَكُمَا فِي مِيَاهِ الدُّوَارِقِ  
الْتَفُّ فِي نَكْهَةِ الْكَعْكَ . .

وَانْظُرْ دَمِي فِي لَوَاءٍ مِّنَ الطَّيْرِ يَسْكُنُ أَفْقَ الْمَمَالِكِ  
وَالْبَحْرِ :

أَسْكُنْ بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالصُّلُبِ ،  
أَغْدُو الْمَوَارِيثَ وَالْوَارِثِينَ . .

١٩٧٨/٣/٢٦

فَرَحٌ بِالْهَوَاءِ

هي المرة الواحدة

إلى أول البدء أو آخر المنتهى ، ينتهي كل شيء :  
هما جسدان على بقعة الدم : قَتْلٌ هو السحرُ  
مقتولةٌ وقتيلٌ  
فأيهما سدّد النصل  
أيهما ابتدرَ الفعلَ والإنفعالَ ؟ !

هي الطعنة الواحدة

فأيهما أشعلته من الجمرة الموقدة  
جوى قبلة نتلصّص حتى امتزاج الدم العنقواني  
أو صرخة النشوة المتواشجة الآه بالموت ؟ !  
أيهما تتشقق فيه الينايع . . هذا الأبُ  
المتواترُ بين الضلوع

أم الرحمة المستكنة في الرحم الواعدة !!  
وهذا المؤجّلُ حتى إذا انقصف العمرُ ،  
حتى إذا انحسر الوهُم . .

لا جسدُ المرأةِ المجهدة

يجيبُ الدمَ المتوقدَ أجوبةَ النارِ

أو يرحمَ العطشَ المتشعِّعَ في الكأسِ بالماءِ

والطينَ بالحلمِ

والنومَ بالطيرانِ إلى الشمسِ

واللقمةَ المستريبةَ في القمحِ بالشعرِ

والوطنَ الدائبَ الطعمِ في خطفةِ الريقِ بالسحرِ،

والجثةَ الهامدةَ

بآخرِ ما صفَّدتهُ الفجاءةُ في الروحِ من رقصةِ البرقِ؟

هذي هي الطعنةُ الواحدةُ

تراختُ بها لحظةَ الحسمِ، راوغها زمنٌ يتناولُ بالعشقِ

فاستترتُ - والشهودُ يمرون في الحافلاتِ

ويندلقون على حَجَرِ السعي - لا شاهدٌ يتملّى

- من الكحلِ والنمَّاتِ المضيئةِ

تحت النطاقينِ والرقصةِ البدوية -

بارقة النصل ، لا شاهدة

تُعَرِّي الخطى عن سياق الصعود إلى الموت بالعشق ،  
لا تتكشفُ وَقَدْ جنونِ المجازات في طينة الوجه وهي  
مُحيرةٌ بين صمتٍ بليغٍ وثرثرةٍ تتشظى إشاراتُها ،

كان صبحُ الشتاء المبكرُ يرمي

مناديلَه من رذاذٍ خفيفٍ  
ورفرقةٍ الغيم بين الغصون النواعس ،  
كانت بقايا الكرى

تحت دُرُو من الكحل والسهر المتفترِّ تومض  
ومضاً يتعتع منه الخطى فهو سكرانٌ يقظانُ ،

كان الصباح المبللُ بالطلُّ والغيم

يفتح في وحشة الأرض والروح نافذةً فالسماءُ البعيدةُ

شَقَافَةُ الطُّيُورِ الحَوَائِمُ تَبْدَعُ أَشْكَالَ بَهْجَتِهَا  
وَنَدَاءِ أَتَاهَا . .

تلك كانت صلاة الضحى :

اصْطَفَى فَيْضُ الْخَلَائِقِ مَتَعَشًا بِالْوُضُوءِ الْجَمَاعِيِّ ، ثُمَّ  
اسْتَوَى الْخَلْقُ تَحْتَ الْفَضَاءِ الْعَمِيقِ  
قِيَامًا تَحَاذَتْ خَطَاهُ وَقَامَاتُهُ  
بَيْنَ خَطَيْنِ :

بَيْتٌ جَمِيعٌ هُوَ الْأَرْضُ ، حَلِيمٌ جَمِيعٌ هُوَ الْأَفْقُ .

عَدْلٌ جَمِيعٌ هِيَ الْبَهْجَةُ الْمُسْتَثَارَةُ أَلْوَانُهَا فِي  
نَوَافِيرِ طَيْرٍ يَعِيدُ وَيُبْدِي نَسْجَ السَّمَوَاتِ وَالصَّحْوِ ،  
تَكْبِيرَةً مِنْ دَوِيِّ التَّنَازِيلِ وَالْوَحْيِ تَعْلُو بِهَا خَضْرَةُ الْحَيِّ ،  
سَانِحَةُ الْقَلْقُ الْمَشْرُوبَةُ تَحْتَ سَطُوحِ الْجَوَامِدِ ، إِيقَاعُ  
مَا يَتَوَجَّعُ مِنْ مَمَكَنَاتِ التَّمَاثِيلِ فِي الصَّخْرِ ، مَا يَتَحَلَّبُ مِنْ  
شَبَقِ الشَّعْرِ فِي عَقْدَةِ النِّهْدِ بَيْنَ التَّوَيُّجَاتِ ، مَا يَتَهَتَّكُ

من لذة النضج في الثمر المتهاوي إلى زغب العشب .  
يَتَلُّ وَجْدُ الخلائق في الركعة الحاشدة  
بدمع التأويل ، يعلو الدعاء بما يتنفسه الصبح والأرض  
يعلو دمي في دوي التراتيل ماءً مع الماء  
طيناً مع الطين شكلاً  
يئنُّ به الصخرُ زخرفةً تتشجرُ في بهجة الطير صمماً هو  
السعرُ والشهقةُ الساردة  
وعيناك من أرق الكحل والزئبق المتصدف صمتٌ بليغٌ  
وثرثرة تشظى إشاراتها وأنا الزفرة المحض . .

- :ممن ، ومن أين ؟!

- : لا أرض لا وقت . . إني أطرحتهما من ورائي

فلست سوى زفرة من هوى سوى قطرة من  
دم تشحط تحت يد الله وهو يقلبها ما يشاء على  
ظماً يستعر أو حسرة عاقدة .



- : فكيف ارتوى طميٌ وجهك بي فهو طميٌ بلادي !!

وأي يد

حَقَرْتُ في جبينك مسطوراً غنيتي في صبا العمر أو

بعثرت في لوامع شيتك الهمجية

ما ضاق عنه المدى من

خبول الجموحات واستبهمته الرؤى البائدة

من العشق والعري تحت يد الله ؟!

- : من أي جمرٍ مقيمٍ وعمرٍ هشيمٍ تقيمين هذا الصباحَ

على العرش فاتحةً في صلاة الخليفة والله ينفخ من

روح أسمائه الدهشة الراصدة !!

سماءُ المدينة مغسولةٌ تتدلَّى ثريا نهارٍ ومشكاةٌ صحوٍ

بليلٍ ،

تمدُّ شوارعُها من مُخلَعٍ كاشيِّها وحجارتها خطوةً

يتغاوى بها السعيُّ أو خطوةً تتدلَّه فيها البصيرةُ . .

تعلو خفيفًا خفيفًا فترجُفُ  
بين الرؤى والدم المتشَّتِ أرضٌ تغاوتُ بنا  
فهي تخطو خطانا  
وتفتح بهوَ الممالك :  
سجادةٌ تتقلبُ في متنها رجفةُ الروح ، نافورةُ  
الطير والورق الغض ، وهجُ الظهيرة والقنص ، جرحُ  
وسافيةُ في الدياميم ، هرجُ الغزالات ، خيلٌ وأروقةُ  
للملوك وصمتٌ يحفُ ستائرَ بيتِ الحريم  
وصمتٌ يلفُ المجازَ  
المؤدِّي إلى قاعة العرش  
كنا انتهينا إلى البهو لا أنا مني ولا أنت منك وقد  
أطلق «الواسطيُّ» نياقَ تصاويره تشربُ الماءَ من  
راحتيك وتبدأ ترجيعها بالحنين المزلزلِ  
- : هل هذه الرشفةُ الباردة  
تردُّ قطيع النياق إلى الواسطيِّ - المعمِّمِ بالشمس -

حلمًا وأصرةً بين فرشاته والسموات!

هل رشفةٌ تستعيد قطيعَ المواويلِ من ظمأ الأربعين!

- : استمعُ . . أنتَ ضيفٌ على رحمة الغيم . . فاستنزلِ

الريحَ واصمتُ . . فليس يُلَقَّى من الغيم رحمةً غيرُ من

يُبدع الصمتَ والانتظارَ . . استمعُ . . إن ريحًا ترتلُ

من ورْدِ أحوالها همهمات الولادات في الإرث طقسُ

ارتواء الخليقة بين السموات والأرض بالرهبة الخالدة

أمام انفساح الفضاءات والجمر في قلب من

يبدعون انتظاراتهم فيُلَقَّونَ من مدد السمع

كيف تخوض الخليقة أوجاعَ

بهجتها ومخاضاتها .

إنه العشقُ في مصحف الكون وهو

القصيدةُ في حمأ الخلق . . فاسمعُ .

تَقْضَى من الصمت ليلٌ طويلٌ

أَلْقَى به من عطايا الضيافة بشرايَ  
سيدتي : هل دمي في الدوارق أم شالك المزهدي  
بالسموات والأرض يمتدُّ للمائدة  
فيأتي رعاياك من كل زوجين فالأرضُ مُحَضَّرَةٌ في  
احتفالية العشق والوحي !

دَوَّبَنِي الدمعُ طمياً من الطمي  
:- أنتَ البلادُ التي اختمرت في الرؤى والتي  
لم يلدني سواها  
- : وأنتَ البلادُ التي عقدتني بأرحامها مضغّةً ، ثم  
أحييت مني الخليفة فأنفجرت دهشة من صباها  
- : دمٌ في دمٍ أم زلازلُ ماء تُدمِّمُ  
في طبقات التذكر والحلم !!  
رجعُ نياقٍ من الظمأ المتشقق أم صرخةٌ تتململ في  
دارس العمر بين الطلول !!

: أنا وتدُ السَّنْط . . كانت خيامُ العشيرة تبلى  
 ويكنسها العصفُ واحدةً واحدةً  
 وأبقى . . أَلَمْلَمُ في قامتي ما ترجّعه الريحُ من  
 ذكريات العقائل والحيل  
 - : شالي خباءٌ وخيمةٌ شَعْرٌ مرفرفٌ في يدبك  
 - : وأنت بلادٌ موطأةُ الماء والعشب  
 - : أنت سماءُ السكينة ، أنت المغني المشرّد  
 ما بين قطعان حبي . .

انقضت ليلةٌ من كلام التأويل والصمت  
 والفجرُ ينشرُ غُبُشته طاوياً أربعين بساطاً - هي العمرُ -  
 من دمنٍ وبقايا رمادِ المواقد حتى انكشفتُ وحيداً  
 وأطلّلتُ . . كانت براري العشيرة موحشةً . . وأنا  
 وتدُ السَّنْط تحت سمواتها أنكشَفُ هودجَ عشقٍ  
 يهلُ وخيمةٌ شَعْرٍ وباديةٌ يتفطّر فيها من العشبُ

جَمَرُ البراعم . .  
 قلتُ: اسمعي . . إن قطعانَ حبك طالعةٌ في  
 ندى الفجر ثاغيةٌ والمغني يلملم إيقاعَ مواله  
 من خطى الريح . .  
 قالتُ: له ليلةٌ سوف ينسى بها ما رأى . . فاستمع . . إن  
 شمساً تَخْلُلُ من سعف النخل  
 تمسح خلف الزجاج الستائر . .  
 موعدنا صمتٌ ليلٍ تُلقَى به خَطفَةُ الروح بين  
 السموات والأرض والشهقة الموصدة . .

يغني المغني . . وشهقةٌ مواله انشَرَحَتْ نَوْحَ باكيةٍ  
 وانخطافَ صَبَا جرَّرتْ ذيلها في خزامى العشيَّةِ  
 واستنطقتْ جَلَنار الضفائر والحبق المتفتح  
 في مفرق الشعر،  
 وابتردتْ في اندلاع الروح العفِيَّة بالخضرة الماردة

يغني أم الحلم أم أرضٌ مجدٍ من الدم والفقر  
أم صبرةٌ من سماء تَزَلُّ !!

فجرٌ يشعشع في لهفة القلب أم شبقٌ  
تستضيء التواريخُ تحت ارتباكاته أم دمٌ

يتشوّفٌ وهج مناراته !!

غربةٌ أم هو العطشُ الحجريُّ المفتتُ بيداً من الرمل  
تنأى امتداداتها أم ملاعبُ جنٍّ ووحشٍ تخطُّ  
الرياحُ مساراتها ومواجعها أم يغني المغني !!

أنا وتد السنط . . في قامتي كبرياءُ الترقُب في جسدي  
كبرياءُ الملوك الذين يُلَقَّوْنَ في جريان السلالة  
آيات عرقهمو بين صمت رمادٍ وريحٍ مبشرة . .  
في جلال اصطفاك إياي كانت بوادي العشيرة  
تعلو إلى ساطع الحلم ، قطعائك انتشرت والمواويلُ في  
مطلق الريح والصمت مرسلّة ،

قلتُ: من أين، أيَّان مُتَّجِهُ الخطو، أَيْةُ تفعيلة والده  
ستشرخ صوتي وتفتح في فيضان الرؤى وكثافة إيقاعها  
طلعة الرجوع والصَّدْع!!

لَيْلَتُنْذُ كنتِ نوريةً شَفَّ إِيحَاؤُها عن طلاسِمِ  
مجد قديمٍ من العشق أنسيته وبلاد وأعمدة من  
رخامٍ ورملٍ وأدعية كنتِ مكنونةً في اشتهايي  
وطالعةً من قوارير عطرٍ تعتَّق في أزل الشرق  
كانتِ كمائمٍ وردٍ حريرٍ تشفُّ وتبرِّقُ منها  
كنوز السلايب من أرقِ المصطفين  
يَدُ رعدتي واشتهايي يدٌ ومجازُ العشيرة تسقط  
عنه الغلائلُ تشرق لي من كنوز السلايب جوهرةً وامضة  
أحلُّ حرير طلاسَمك البكرُ ألفٌ في سحرها أتلَقُطُ  
منها عطايا غرائبها طيبةً طيبةً . . والإشاراتُ  
شَفَّتْ مجازاتها، أخذتني بروقٌ من الوجد والخوف،



وانقذحتْ أمهٌ تنزَلُ بالدهشةِ الراعدةِ  
وكفَّاكَ من رحمةِ الغيمِ تستبدلان دماً بدمٍ  
وسماءً بأخرى، تخطان فوق جيبني أرضاً هي  
المخوُّ للعمر والطلعُ في نخلةٍ للبدايات والفجرِ  
- كان الحنان ندى يتقطرُ في طيبتني - كان دفءُ  
يديك يلملمُ ما بعثرته ندوبُ الولادة  
والوَحْمِ المتكدِّسِ من  
أمهاتي القديمات، ينثر ما يتفكَّك من خرزِ الظَّهرِ،  
يوقد في العظم واللحم أخيلةَ الطيران الطليق . .  
أخفُّ تخفين، لا أنتِ منك ولا أنا مني،  
استويناً دماً واحداً . .

- : ميتٌ واحدٌ كيف ينقسم الموتُ فيه إلى جثتين؟

- : هي الجثَّةُ الواحدة

- : فكيف إذا اقتتل الأهلُ كي يملأوا حفرتين ترايين كانا

تراباً يَكُومُه العشقُ في ركعة الوجد؟  
- : لَيْنَةُ خُطوةُ الطينِ في الطينِ : تَلْتَمُ من  
تحتنا الأرضُ سَجادةً، يَرمي في الترابِ الترابُ وفي  
سجدة العشق لا ساجدٌ يَتَكشَّفُ في دمه عن  
دم تتجلى به الساجدة  
دمٌ واحدٌ يَتشَحَّطُ في ظلمة الأرض تحت يد الله،  
ثم تَقْلِبُه في يد القدرة الريحُ، يعلو خفيفاً  
ويأخذ مسراه في ساطعٍ من معارجهِ الغامضة  
وسيعاً كما تَقْتَضِي قامة الكون، أضيقَ من  
شهقة الروح في الروح  
بين السموات والأرض رِيحٌ تَغَاوَتْ بنا فهي  
تخطو خطانا ونخطو خطاها،  
الفضاءاتُ رُقُصٌ غواياتنا . فالماذنُ أوتادُ خيمتنا  
والقبابُ ارتخاءُ يدينا، الصحارى  
مخدَّةٌ قيلولَةٌ والمعابدُ شكلُ أصابعنا في

اشتباكاتُها لحظةَ الحلم . .  
نحن القميصُ المرقطُ بالأُنجمِ المزهراتِ وبالشجرِ الرطبِ  
والدورِ ، نحن الخلاءُ المقدَّرُ بين المجرَّاتِ  
والنغمِ المنتشي في مسير الكواكبِ  
نحن انفجار الحضارات في اللغة البكرِ  
أولنا الزفرةُ المحضُ  
آخرُنا محضُ تفعيلةِ والدَةِ . .

١٩٨٨/٢/١٢



أنتَ واحدُها  
وهي أعضاؤُك  
انتشرت

جراحة إهداء

إلى محمد

سيد الأوجه الطالعة  
وناية الطلائع مع كل جنس  
منفرد على اتناقه كل دمع  
ومفتوحة مماثلته للجائعين  
وإيقاع نعليه كلام الحياة في  
جسد العالم.

محمد

موت ما..

لوقت ما..

أعلّنتُ ميثاق الإقامة بالرحيل  
وتركتُ وقعَ خطايَ في سرِّ الشجر  
واسأقتُ ما بين عيني والبلاد  
زمرداتٌ من حجر  
فعرفتُ طعمَ الخبز مرتجفاً، وقلتُ،  
وقال لي الموتى، أطلتُ، استألفوني  
بالتذكر، وارتمى عني الرداءُ،  
الأرضُ رَوَّتْني،  
وبلّلتُ الرمالُ السافياتُ بريقَ عينيَّ  
المحدقتين في حَجَرِ الظلامِ.  
كفُّ تراختُ، والأصابعُ تفتحُ ينبوعَ،  
تنبجسُ السّحالي والثعابين،

الضبابُ تحيِّش من حولي أمانًا ناعمًا .  
لم يبق لي غيرُ الكلامِ  
معها وجذرِ النخلِ والطلعِ المكتَّمِ في  
مساربه العميقة ،  
ليس لي إلا سويغاتٌ من النومِ السخيِّ  
أمرُّ فيه على البلادِ وأستعيدُ الشمسَ  
والرعيَ الطليقَ ،  
أكلَّمُ الموتى وأسمع ما تُزَمِّزُهُ العظامُ  
وأشدُّ فيهم ما عقدتُ من العُرَى . .

في حضرة الليل استفاضتُ وقفةَ الإسهادِ ،  
في فصل الخطابِ استودعتُني سرُّها الرواغِ  
واستودعتُها نومي سويغاتِ .  
أقومُ ، أكلِّمُ الموتى  
وأنظر ما تصاهرَ من دمٍ تتقلبُ الأنسابُ



فيه بصبوة العشق المبرِّح،  
 أنظر الأكفانَ والعظمَ الرميمَ توشَّجتُ  
 منه القبيلةُ  
 أشهدُ الأمشاجَ أعراقًا وألويةً تذاوَبُ  
 والصنوجُ تدقُّ بالصدأ الكظيمُ.

هذا زواجُ الأرضِ بالموتى :  
 مسيلُ اللحمِ عن أغصانِ هيكله،  
 انفراطُ أجنةٍ معجونةِ الأسماءِ بالزَّرْدِ المَفْتَتِ  
 والهشيمِ الهشِّ من صُلْبِ الدروعِ  
 سنايكِ الخيلِ الصديثةِ.

قلتُ أمشي في عروقِ الأرضِ أشهدُ ساحةَ  
 البدءِ المجلجلِ والختامِ  
 كيف استتَمَّتْ نارَها ورمادَها في

الخطوة الأولى ، وكيف انشقَّ من مُهلِ الغَمَامِ  
برقٌ من الدم فاستضاءت تحته  
الأطلالُ والأجداتُ ،  
لا يومُ النشورِ  
يأتي ، ولا يَدْوِي على الوديان صُورُ  
فاستغرقتني بالهواجس هَجْعَةُ القيلولة السوداء :  
يا أمشاجَ ما في الأرض . .  
لا مُهلُ الغمامِ  
يَنْقُضُ بالسُّقْيَا ،  
ولا محرائهُ النَّاريُّ يفتح في شقوق  
الرَّغْوِ منك أهلةُ التكوين أو ماءَ السلاطات .

البلاغُ اسْتَغْلَقَتْ نيرانهُ ؟ !  
واسترَجَعَتْ قَدْحَ المغيرات الصخور ؟ !  
هذا رغيفُ العهد معقوداً على صَعْبِ النَّوَاصِي ؟ !

أم هو الموتُ استفاضتُ رغوهُ  
الإشهاد فيه بالكلام؟!

الشمسُ في حجرِ الظلام  
مخبوءةُ النيران تحت هياكل الأنصاب والأزلام،  
هل ذهبُ العبيد مكدسٌ فيها؟  
وهل ومضُ الآلئ - من عيون الميتين -  
من مائها المسجون؟!  
أم وجهُ البلاد زمرداتٌ من حجر  
يسقطن من عينيَّ ما بين الخليقة والكلام؟!

هذي سويعاتٌ من النوم السخي:  
أذيبُ أعضائي بصمت جلالها المكتوب،  
أقرأ ما تجلّى من دمي في سرّها الرواغ بين  
علوّه في المدّ أنساباً وفيضاً من سلاّات أنا

بدءُ البداية في أبوتها،  
وبين الوعد بالميقات في أمشاج ما في الأرضِ .

هذي من نواشي ظلمة الدهرِ .  
الكلامُ  
قولٌ نُقيلُ الوطءُ ، ساعاتٌ من النومِ البطيءِ  
يمر بالقيولة السوداء . .  
أسْكُنْهُ وأنظرُ :

بين عينيَّ السمواتُ العلى مسكوبةٌ ،  
ما بين كَفَيَّ الظلامُ حجارةً تتقادحُ الأوقاتُ فيها ،  
الأرضُ روَّتني وبللت الرمالُ السافياتُ بريقَ  
عينيَّ المحذقتين في شمسِ التذكرِ ،  
أسمع الموتى ، أكلّمهم ،  
وأخرج في سهوب النوم :  
عرشي قائمُ الأوتادِ في صمتِ البوادي والخلقة .

شمسُ التذكر في سُهوبِ النومِ داميةُ النزيفِ  
والريحُ تعلو في قبابِ الدهرِ والأعماقِ  
سافيةٌ فسافيةٌ  
وغيمٌ ينطوي من بعد غيمٍ ،  
يرقُّ البرقُ الأليفُ  
لا شيء إلا خبطُ أكفاني فأسلِكُهُ به  
ليطير في الريحِ الطليقة . .

١٩٨٠/٦/١٥



# مَدْخَلٌ فِي بَكَاءِ السَّلَاطَاتِ

١٩٧٨

## تائئة ليس تائئها

لغةٌ ليس لي أو لك الآن أن نستعيدَ  
اندفاعاتها بين موت الغزالة والسهم،  
ليست لنا لحظةٌ للكمون المفاجئ في العشب حتى  
تمرّ الغزالاتُ . .  
هانحن جئنا وقد فاتنا الوقتُ  
فاسمعُ صدى القوس ترسمه في الفراغ  
الأساورُ والوردُ:  
ساقٌ من اللبن المتفجر عن ناره ارتفعتُ  
بين موطنِ أقدامنا والشموس المقيمة في الأوجِ  
(والوقتُ كان الظهيرة)  
فاسمعُ:  
دفعٌ له زغبٌ، والمسافةُ بينهما فروةٌ  
للنعاس وللأهلِ (من خلفِ سلفِ)



في البدايات نارُ الخواتيم ، فاسمعُ :  
 لنا لغةٌ للتذكر . . فانظرهُ طمياً شوته  
 احتجاجاً ، البيتُ تهوي إليه وتأوي  
 القوافلُ والسابلةُ /  
 وليس دماً أو بلاداً . . بل المرأةُ استسلمتُ  
 للبخور الترابيِّ والماءِ واستسلمتُ للنخيل وللقابلةُ /  
 فهل كنتَ تعرفُ أن مشاعلك اتقَدَّتْ في الظلام  
 الرخاميُّ ،  
 والرقصُ يأتي يزواج بين الطبول وورد الخلاخيلِ  
 والشعرُ والقوسُ واللحظةُ الفاصلةُ /  
 فأعرفُ أنني ذكورةٌ عشقُ البداوةِ  
 أنك نارٌ وماءٌ وخيمةٌ شعرُ  
 وأني أفقٌ من النخل والطيرُ ،  
 أن المياهَ تُنْقِلُ خطواتها في السرابِ  
 السرابُ ينْقِلُ خطواته في المياهِ

المسافات معجونةٌ بالقرابين  
والأرضَ وردُ الدَّهان!!  
فأيَّانَ - أين استقامتْ لك الخطوةُ المثقلة/  
بمَشَّتْكَ من تنافي الأحاديث!!  
هل تَقْتَفِي خطوة امرأة غَمَزَتْ برشاقتها  
وبحنائها موجة البحر وانتظرتْ بُرءَها  
من تشكِّي الولاداتِ والعشقِ!!

ها أنتِ يا ابن النور القديمة  
يا ابن معلقة الشعراء ويا ابن الحواميم:  
هذا القلبُ البرودُ يُؤاخيكَ،  
ينفضُّ عنكَ رفاقُكَ لا أنتَ منهم ولا همُ.  
تَقَلَّبْتُ بين الجهات:  
السمواتُ أرسلنَ لي شمسهن المضيئةَ  
بالبفتح، والأرضُ تطوي صحائفَ أسلافها  
وأنا أوَّلُ الوارثين وآخرهمُ.

يا نساء المدينة فلتحتملن وجوهي الكثيرة أقنعتي  
وانقسامات قلبي عليكن  
أنتن آخر حرب وآخر أرغفة يتقاسمها  
أصدقائي الألداء  
والأرضُ بيني وبين الجماعة:  
لا الأرضُ تبقى ذكولاً مهاداً  
ولا الشعر يبقى دمًا ومياهاً تقاطعُ،  
بل فضةٌ ودمٌ لستَ تدري بأيهما اكتملَ  
الأفقُ وابتدأ الطيرانُ،  
بأيهما يبدأ القتلُ  
أو تبدأ الأسئلة . .



جسدان.. وثائقهما

خَشَبٌ يَكْشِفُ وَقْتَ الشَّمْسِ وَالْمَاءِ ،  
ونَهْدَانِ اسْتَفَاقَا ،  
زَمَنُ السَّيِّ بِعِيدٍ ، وَقْتَ عِشَاقِكَ  
فِي اللَّيْلِ بِعِيدٍ ، هَلْ تَرَيْنِ الْمَخْمَلَ الصَّوْفِيَّ وَالنَّقْشَ :

بِلَادٍ حَمْرَةٌ سَاطِعَةٌ ، خَضِرَةٌ  
نَخْلٌ وَنِسَاءٌ يَتَعَرَّيْنَ ، طَوَاوِيسُ دَمٍ ،  
شَمْسٌ دَنَانِيرٌ تَقَاطِرُنَ ، السَّمَوَاتُ  
تَهْدُ مِنْ اسْتِدَارَاتٍ عَلَى السَّرَةِ وَالْأَكْتَفِ ،  
لَيْلٌ طَالَعٌ فِي الْعَشْبِ وَالْخُلَفَاءِ ،  
وَالشَّهْقَةُ كَانَتْ حَجَرَ الشَّاهِدِ كَانَتْ حَجَرَ التَّقْدِمَةِ  
اللَّيْلُ اسْتِنَارَاتٌ تُشْظِيْنَ مِنَ الشَّفَرَةِ ،  
زَهُوُ الْقَتْلَةِ /  
وَاعْتَصَابٌ لِلْسَّلَالَاتِ ، وَهَذَا كَفَنُ الْوَيْةِ  
تَنْشُرُهُ الرِّيحُ . .

ونهدان استفاقا :

(كنا متقابلين تقابلُ الخيمة والعراء . .

وبيننا سهيل

ومتقابلين تقابلُ النَّيرَيْنِ وبيننا القراءاتُ السبعُ

وحجرُ الفلاسفة

وكنا رجلاً وامرأة . .

وبيننا لغةُ النبوة وقرابةُ الصعاليك

بيننا نصلُ وبرقُ خُلُسٍ يكشفُ بيتَ الأهلِ

والهودجَ في آخر أرض الله .

بيتُ في أوادي البحارِ السبعِ جمرُ ثاقبٍ وهجُ

عُقَابٍ من حريرِ الدم يعلو . .

بيننا من حجر البيت الأمومي شظايا قُبُل راعفة

بالرملِ سوسِ الخشبِ الدائرِ أسنانِ التعايشِ

الزجاجية .

بيتُ قُبلةٍ هائمةٍ بينَ فضاءَيْنِ منَ الدمعِ ،  
 ونهدانِ استفاقا بَغْتَةً الحليمِ وأفلتُهُمَا ،  
 الأرضُ مَدَى من شجرِ النقشِ وسجادُ من  
 الصوفِ التراثيِّ  
 خيولٌ وصهيلٌ غابرٌ منكتمٌ في وبرِ المخملِ ،  
 كنا رجلاً وامرأةً . .  
 كانتِ شراراتُ دمٍ يقطرُ من مرتكزِ المهمازِ تغدو  
 لُحمةً بين سروجِ الخيلِ والباديةِ الناصلةِ .  
 النخلُ تدلّى في فراغٍ باهتِ الزرقةُ ، عشبٌ ،  
 وغزالاتٌ تسايِلُنَ فراراً  
 والسهامُ انكسرتْ في الأفقِ .  
 كنا رجلاً وامرأةً نشخصُ للظلمةِ والريحِ ،  
 سهيلٌ بتدلّى من بروجِ الإرثِ والذاكرةِ ،  
 الليلُ بلادٌ طللٌ يسكنُ أصداءَ القوافيِ ،  
 واشترأبتُ من وميضِ الحجرِ الحيِّ وجوهٌ



أقفرْتُ منها المسافاتُ  
وكنا رجلاً وامرأةً من حجر الصرخةِ،  
كانت قامتانا هيكلاً البهو الذي يرقد في  
ذاكرة الوشمِ الخرابِ  
والدمُ النازفُ من مرتكز المهماز ميثاقَ  
الينابيعِ وبدء العتبة . .

## لا الرابية ولا النجم

الغزالاتُ للعشق أم للردى يتوالدن؟!

للصيد واحدة:

كانت الشمسُ قطرةً ماءٍ يُبارحُ

مكمنه الجسديّ، شمسٌ تحدّرُن فوق

رشاقتها المستخفة بالصحرَاء وبالوحش

كانت مسافاتُ رقصتها بين عنف الترقّب والسهم،

بين ملوك القبيلة والخنديق المتباعد،

بين القدور ورائحة اللحم والريح.

للعشق واحدة:

أرأيت التفافَ العباءة !!

تبغُ وجوعٌ يُصاوله، الكحلُ واللهبُ المتوقّدُ

تحت النطاقيْن يبتدران القراءة

والشاعرُ اقْتَعَدَ الأرضَ وهيَ على  
هوْدَجٍ خشبٍ يَكْشِفُ الشَّمْسَ والماءَ عن  
برعمٍ مَوْجَةٍ، وهي تنصتُ،  
ترمي السَّائِرُ ورْدًا من الظل والنور فوق  
الحوائط، والأرضُ مُشْتَبِكٌ من غصون  
الدوائر والورق الزخرفي،  
اشتباكٌ من الشجر المتوهم يستألف الطير،  
هَرَجَ الغزالات، أحصنة الرَجَزِ،  
العري تحت السماء الوسيعة.

جَمْرٌ ومسٌ دمٌ يتخبَّطُ والصِّلَيَانُ حريرٌ من الهذيان،  
تشقَّقَ طميُّ التذكَرِ واندلعتْ تحت أجنحة  
الجنِّ، والجوع كَرُمٌ من القُبْلِ العِنْيَةِ،  
أرضٌ تَفَجَّرُ عن شجر الإشتهاء،  
الغزاةُ مدَّتْ لُجَمِيْزَةَ المتقارب والرجفةِ النثرِ

كفَّ الندى ملمسَ الظل والغيمِ  
«هل أنت لي من قديمٍ؟»  
مزاوذةُ فاكهةٍ من قطاف البواكيرِ،  
شَفَّ، مناديلٌ تُلِّ،  
حريرٌ تَزَالُ من فوقه الشمسُ والنمنماتُ  
ولكنني حَجَرٌ شَعْلَةٌ  
من بروج القصيدة يهوي  
إلى الماء . .

## سألة

الطواويسُ، والريشةُ الذهبيةُ تلمع في  
شمس عاصفة تتقلب بين هدوء من الصحو  
والغابة المظلمة/

معى الماعز الجبلي المرنة في القوس،  
نسرُ السموات، والذهبُ المطرُ، العنبرُ  
المتورد بالدهشة اشتعلت فوق صفحته  
النارُ من شرر ونبال وريشُ الصقور . .  
ولكن أرضاً تراجعُ في ضيقها المستمرُ  
استمرت تراجعُ:

قد أهدق الغرباءُ بها  
سقطت من قبور القبيلة أغصانُ شاهدة،  
ورماحُ القرايات، شَحَّتْ نذورُ وأدعيةُ،  
غرِبتْ لغةُ الوشمِ وأساقطتْ في ذبولِ

الطواطم أغنيةُ الريح بين السهول

الوسيلة والأقرباء،

التمائم تُفَضِّحُهُنَّ المقاديرُ والغابةُ أنفرطتْ

ورقاً ليس منعقداً،

ونحاسُ الرشاقة والعومُ في الماء والطين يهجرُ

ألوانه وليالي الزفافِ القديمة . /

وأنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ

لم يستقم لي بكائي

فهم أكثرُونَ:

شئاً تكاشفه الشمسُ فالنمل يسعى،

الضحى كان صحوّاً، ويملاً وجهَ ممالكه القشُّ

والسَّقَطُ المتجمّع من كِسَرٍ وطحينٍ من الصخر

والقمح،

أنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ

لم يستقم لي بكائي

فقد غادرُوكَ إلى الموت أو غادرُوكَ إلى

الذُّوبَّانَ بلحم الخليفة :

عريُّ بدا بدعةً ، ونحاسٌ هو

الشهوةُ المستفزةُ ، ريشُ الصقور

استوى في القطيفة والنمنمات الحريية

اللونَ والملمسَ المحضَ

أنتَ استقام البكاءُ لصوتك . فابك كما شئتَ ،

لكنني أستمحُ دمي دمةً لا تبادرُ :

هم أكثرون ، البلادُ بهم تستفيضُ ،

فلا الشجرُ الرطبُ ييري الرماحَ ،

وليست معى الماعزِ الجبليُّ نذوراً مقدرةً للقسيِّ

وأعوادِ نبعِ القبيلةِ .

فابك كما شئتَ . .

لكنني أتلقَّتُ . . هم أكثرون ،

أَعْرِقْ هَمُّوْ أُم طِفَاوَةٌ زَهْوٍ وَرَغْوٍ مِنْ  
المجد تهوي السلاّلاتُ فيه؟!

وَأَنْظِرُهُمْ:

أَوْجُهُ هَضَمَتْهَا الْمَخَاوِفُ،  
وَالنِّسْوَةُ اكْتَنَزَتْ تَحْتَ أَرْدَانِهِنَّ الطَّلَاقُ،  
خَيْلٌ مَطْهَمَةٌ:

لَيْسَ مَاءُ السَّلَالَاتِ ، لَيْسَ  
الدَّمُ الْمُحَضَّضَ أَعْنِي،  
وَلَكِنِّي تَارِكٌ لَدَمِي فَسْحَةً مِنْ فِضَاءٍ لِيَنْهَمِرَ الدَّمْعُ  
فَابُكَ كَمَا شِئْتَ . .  
إِنْ بَكَائِي يَجِيءُ



## زَجَزَ الطَّيْرُ

صَحَتْ مِنْ غَاشِيَةِ الْإِشْرَاقِ وَجَلَالِ النَّوْمِ الْحَيِّ  
فَمَنْ تَذَكَّرُ شَطَايَا النَّارِ الْبَارِدَةِ وَعُرُوقِ  
الْمَاءِ الْمُتَوَهِّجِ وَمَلَامِسَةِ النُّجُومِ الْمُنْطَفِئَةِ إِذْ  
تَزْدَهَرُ أَلْوَانُهَا

هِيَ الرَّجْرَجَةُ عَلَى مَاءِ الْمَعْرِفَةِ  
وَيَقْظَةُ الطُّفُوِّ عَلَى جَرَيَانِ الْأَحْدَاثِ وَعِلْمِ النِّسْيَانِ  
يَنْقُشُ السَّدِيمُ وَتَنْحَسِرُ أَمْوَاجُ الذَّاكِرَةِ الْمَلِكِيَّةِ  
وَهِيَ تَطْفُو جَسَدًا لَحْمِيرَةً الْخَلَائِقِ  
تَنْكَمِشُ الصَّاعِقَةُ وَتَمُورُ وَتَعْلُو الْجِبَالُ الْعَالِيَةُ  
وَيَنْبَسِطُ مَا دُونَهَا

بَيْنَ الْمَهَادِ وَالرَّوَاسِي - يَتَغَوَّرُ الْبَحْرُ وَيَنْفَجِرُ  
نَهْرٌ هُنَا وَنَهْرٌ هُنَا  
يَلِينُ الْحَجَرُ بِالْعَيُونِ أَوْ تَنْتَشِرُ عَشَوَائِيَّةُ الْهَاجِرَةِ

بالرمل أو الغيوم الثقيلة  
فلما أخذتُ زيتها الأولى واتَّزرتُ بأبْهة  
الذبول وجلال الذهب  
واستسلمتُ بين أيدينا لغيوبة الأطراف  
وحيرة التلفت في الأفق  
نزلنا إلى واد ذي زرع ونهر  
فوجدنا قبراً محفوراً وماءً مسكوباً وكفننا  
وحنوطاً ومسكاً أذفرَ  
وأمرها في كامل شكته ممسكٌ بصولجان موته  
تسرح العناكبُ ودابةُ الأرض بين عشُونه  
وبهاء التاج  
فركزنا رماحنا وطوينَا الأعلام  
وتَنظَّرنا إلى يوم الفصلِ ميقاتنا أجمعين  
فلما كانت أشرطُ القيامة الثانية  
قال بعضنا لبعض :

لو نزلنا فوجدنا القبر والموتى!

فإذا لا قبر ولا أثر .

وبدأ الشاعرُ يزجرُ الطيرَ ويتلو صدحةَ المطر

يتقلب في الآفاق ويسيح في الأرض

ونسرُ الفضاء الشاسع يهْمُ بالطيران في

غموض الزرقة وكثافة الليل المثقَّب بالمصايح

فثقله قتامةُ الزنك وبرودةُ القصدير اللانهائي

والشاعرُ يستجلي حمأ الصرخة المضيفة ومقام

القصيدة بين الماء والطين

يحدق في أعلام ملكوته وانتماءات دمه

يخلع عنه الرهَبوتَ والطَّمَعوتَ . . إلخ

ويشاكسُ جبروتَ السيف بصدرة العاري

ويُجالدُ القبائلَ بالقصيدة

ويدخل المدن:

أوجهٌ ليست سوى ما يتركُ الذعرُ من الغفوة،

همسٌ يتمطى بين قوسين من التهمة والكبر  
 الدفاعي، فُواقٌ من نشيجٍ اعتراضيّ،  
 حوارٌ لافحٌ من نُوباء السير ما بين نعاسين،  
 وجوهٌ يتقرأ طينها أو نارها الرملية  
 الشاعرُ . .

يستجلي الوراثة وأشجار السلاات من  
 الطين إلى شاهدة القبر .  
 وجوهٌ سُبِكَتْ من معدن الأصفاد . .  
 أفواهٌ لها شكل القيود، القبلَةُ القُفْلُ،  
 رماديُّ العيون الصدا السائل من نافذة  
 السجن، المواويلُ خطى في باحة الجوع،  
 الصليلُ البهوّ، والأعمدةُ النهرُ الرخاميُّ،  
 وموجُ البحرِ إيقاعُ المراثي .

انتبه الشاعرُ :

للمأتم طقسٌ ومراسيمٌ بكاءٍ عائليٍّ،  
هذه رائحةُ الموتِ، وهذان هما السيدُ والسيدةُ

انسلاً من القبرِ، وقاما، انتشرا،

واستوطنا بيتاً من الريحِ،  
ومن تحتها تسأيلُ الأنهرِ.

أفقٌ من ذبولِ، وجلالُ الملائِ الموحشِ،  
عُثُونُ الخماسينِ، بهاءُ العنكبوتِ الذهبيِّ،

انتشرا واستوطنا بيتاً من الريحِ،

الرقابُ انكسرتْ تحتِ التواييتِ

وللمأتم طقسٌ ومراسيمٌ بكاءٍ عائليٍّ .

يصرخُ الشاعرُ:

أيها السيدُ المحمولُ على الرقابِ

وفوقِ الرءوسِ المنكَّسةِ

أيتها السيدةُ المثقلةُ بأبْهةِ الذبولِ

وجلالِ الذهبِ

انتشرا وتناصلا واملا الوادي  
بسلالة الموت  
هذا يوم الفصل ميقاؤنا أجمعين

١٩٢٨/٤/١٧

امراة تلبس الأخضر دائماً  
ورجل يلبس الأخضر أحياناً

لعشاقها ملكوتٌ من اللون :  
 لونٌ هو الخضرُ الغامضة  
 لأوّل حلفٍ مع الله إذ هم يقيمون في  
 هاجس الطين - في حمأ يتملكُ عمق الفضاء  
 وماءَ الينابيع والأرض يومئذٍ من رعيةٍ  
 أحلامه وانتظار المليء بأسمائه - ،  
 وهو لونٌ من الخضر الغامضة .

يقولُ: ابتدأنا ،  
 وحولهما من خطوط المحارِث في الأرض ،  
 والظميُّ شهوةُ ماءٍ مَفْتَتَةٍ ، في سخونته الرحمةِ  
 يَنْغُلُ خَلْقٌ من الدَّبَقِ الحَيِّ ،  
 تَلْتَفُ هَمَمةٌ من خشاشٍ رميمٍ تدبُّ به  
 الروحُ ، والغُلْمَةُ المستفيضةُ بين اليرابيعِ  
 والخنفسِ المتفحِّمِ ، والعلقِ الرطْبِ ،



يعلو صريرُ الجنادبِ ،  
كانا ضجيجي دَمٍ يَتَرَزُّ من أولِ  
الدهرِ أحواله ،  
تتشظى سنابله ، والسماءُ تَخَلُّلُ نَسْجَ العساليجِ ،  
تهوي نقوشاً مطرزةً .

وتقول : احتملُ من ملائني نصيبك ،  
وليفتح الله بالعشق ، والخضرة الغامضة .

هي الأحوالُ ومقاماتُ العذابِ ، محنةٌ يغلي  
دَمُ القلبِ بها وتُحترقُ اليدُ ،  
فالجراحاتُ يَتَفَتَّحْنَ قطوفاً دانيةً من مواهبِ النعمة  
وأعطياتِ الإرادة الطيبة والانتظارِ السَّمْحِ الرحيمِ  
والموتُ صديقٌ تتقادمُ بيني وبينه المواعيدُ تشتدُّ  
وشيجةُ الملاعبة وخيوطُ المرحِ المشاكسِ

ومغاضباتُ الضحك  
يرسل المطر تواقعَ على زجاج النافذة كي أنتبهَ  
أبتسمُ . . . فإني أعرف خطوته في ريح الليل  
وفحمة الظلمة ،  
وأثوقه زائراً كلما امتلأت قطوفُ المحنة بالعطايا  
وثقلَ على القلب الفرح  
أفتح النافذة ليحلَّ ضيفَ سهرٍ على طعامٍ وشرابٍ  
كلما نقصا فاضاً  
يجلسُ قبالي وأنا دمهٌ بذكرِ حصاده ومعنى الشمس والنهر  
«كلما مات منا سيدٌ قام سيدٌ»  
أضدادٌ في اللغة أم لغةٌ في الأضداد !  
وأنت واهبُ المعنى الجارفِ ومفتقُ الأكمام  
تشارك في كل حضور  
وتقتسم الصمتَ والكلامَ على كل شفة  
تقبض بيدك على زمامِ الفوضى فتشكلُ القوالبُ

وتفتح أبواب القوالب فتفيض الحياة  
 لك مُزْدَهَرُ الدَّوامِ ومجدُ الينابيع  
 ولي مجدُ الظل وبطولةُ البحث عن زاوية السقوط  
 ولحظة الزَّوال .

يقلِّبني بين كَفِّكَ مارجُ عشقٍ وصبوةُ نارٍ تُزْمِزِمُ،  
 ينفرط اسمي شظايا حليٍّ مبعثرةً تتنمُّنُ من  
 ذهب وشموس مكسرة تتهاوى فتُمسكها في  
 سلاسلها وعدةُ الخوفِ، تلتئمُ ما بين نهديكِ،  
 واسمي المكْدَسُ بين السلاسل والجسد  
 المتفصِّدِ بالعنبر الحيِّ يخطف وجهي،  
 ويطحنه ثم ينثره في الشظايا  
 فمن يفتديني وقد كوِّمتني سلاسلها،  
 من يخلِّص أسماءَ وجهي وينثرها حرةً كشموس  
 الينابيع في العنبر الحيِّ أو كالطيور الشريدة في  
 العشب والخضرة الغامضة!

مددتُ يدي . . لن يبعثني في تضاريسها غيرُ كفيٍّ  
وغيرُ انقراطي دماً تحت حنائها واحتشادي طيوراً  
مهاجرةً بين أحراشها ومعششةً في حواسِّ  
الدم الخمس عاليةً في القباب وهاجعة في  
الزوايا المضيئة بالخضرة الغامضة .

مددتُ يدي . . وابتدأتُ منادمةً تجدلُ الدمَ والماءَ  
بين العروق المليئة باللبن الحيِّ  
- : بيني وبينك فيضُ وجوه مقنعة تتصاول تحت  
اغترابات أسمائنا كي تجيء .  
- : وبينني وبين وجوهك هذي السلاسلُ ، فانظرُ  
لنفسك ، لو كان ما لم يكن لانتهينا إلى البحر  
واشتبكتُ من خطانا البداياتُ .  
- : لو كان ما لم يكن لاستفاضتُ بنا قوَّةُ البحر :  
أنتِ الكهوفُ العميقة والطينُ والخضرة الغامضة

ومن جسدي يبدأ الخلقُ، من جسدي يتقشّر كلُّسُ  
السرّاطين تلتفّ تحت الرخام القواقعُ، من  
شهقتي سمكٌ تتفجر ألوانه .

وقصائدُ من صدَفِ النارِ والفضة  
- : انظرْ لنفسك . . بيني وبين وجوهك هذي  
السلاسلُ، والأرضُ بيني وبينك مهرةٌ رملٍ  
وصرخةٌ ماءٍ تجاوبُ في الليل والريح . .  
فانظرْ لنفسك

- : يا امرأة الخُضرة الغامضة  
تكتبيني على التراب فتبعثره الريحُ، وأكتبُ الترابَ  
عليك وأدفنُ نفسي فيه حضارةٌ عشقٍ مطمورةٌ  
تتّظر الحفّارين وتنتظر ميقات الانكشافِ  
للشمس والريح وقراءة البشر  
أندلّي اسماً منقوشاً متكرراً تلاعبه زهرتا  
العسل على النهدين

وبين بعثرة الريح ورقص الرضاعة ولدٌ يصرخ  
صرخةً المجيء المؤجل أو المجيء المستحيل أو  
المجيء المحتم . . لا فرق

فَعَقَلِي عَلَيَّ أَنْتَ

- : «هناك أحلامُ الرقودِ أولى بها»

- : «هناك يقظةُ النومِ أولى بها»

وهناك حضورُ العينيِّ والوهمِ أولى به

وهناك مستحيلُ الدمِ أولى به

وهناك جنونُ نحنِ أولى به

فخذي مما تشائين لما تشائين

ولتكنْ مشيئةٌ واحدةٌ تعقدُها ملامسةُ

الأصابعِ أو وشيجةُ الدمعِ المطمئن .

تَقَسَّمْكِ العشاقُ وأنتِ واحدةٌ

أَمْ أَنْتِ الْعَشْقُ لِكُلِّ مَنْهُ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ

رِزْقٍ وَمَا يَقْدِرُ مِنْ احْتِمَالٍ !!

تَعَدَّدَتِ الأحوالُ والطريقُ واحدٌ  
وتكسَّرتِ الديمومةُ مواقفَ والقطيعةُ  
واحدةٌ وحصارُ السَّوى غُلبٌ .  
فهل نحن أضدادٌ في اللغة أم لغةٌ في الأضداد !  
وهل نحن المجازُ العلاقةُ أم نحن اكتمالُ  
العلاقة في المجاز والسُّرْبِيتنا غرغرةُ الشهادة !!

همو ضربوا موعداً وضربنا لهم موعداً  
وهو الخُصرةُ الغامضة  
تشكَّيتٍ من وجع الطلق أم مطرٌ جارحٌ  
يتخذُ وجهك !!

هذا توقُّدٌ وجهك بين الضلوع  
وهم عبروا واحداً واحداً وأنا آخرُ العاشقين  
وهذا رغيْفُ الموائيق بيني وبينك ،  
والعهدُ :

هذا البلاءُ الثقيلُ  
وهذا البكاءُ البديلُ  
وأرضُ البلادِ التي نسجتني خطي من دمٍ،  
والجيوشُ الغريبةُ تبرقُّ أحداقُها في  
المخادعِ والليلِ ينسلُّ خيطُ التذكرِ في الصحو  
والنومِ . .  
فالأفقُ من فلفِ الشجرِ المتشققِ في الدمعِ، وجهي  
عجينُ الملايين من أمهاتِ القرى . .  
أتخمرُ في الحلمِ . . ما من يد أنكسرَ فيها  
وأفتح رائحةَ الخبزِ غيرِ يمينك  
يا امرأةَ الخضرةِ الغامضةِ  
وكلُّ دمٍ آيةٌ،  
جسدٌ عنبرٌ وأقاليمُ ماءٍ، وطفلٌ عصيُّ الولادةِ  
يكتبُ أسماءَهُ بين حجري وحجرِكَ،  
والأرضُ ناقةٌ هودَجنا المستحيلُ.



والأرضُ ناقةٌ هودَجنا المستحيلُ .  
وطائفُ برقٍ يكلمني وأكلَّمُ وقَدَّتَه  
وانفراطُك بين يديَّ الدليلُ  
وقد ضربوا موعداً وضربنا لهم موعداً . .

للثُخومِ خطاها . . تضيق وتتسعُ الأرضُ ،  
هَرَوَلَةٌ للأقاليمِ يمتلئُ الحلم فيها بما يشتهي  
مرةً ملكوتُ  
وأخرى سديمٌ يناوشهُ العصفُ  
والليلُ ينسلُ خيطَ التذكرِ ، تنحلُّ مني العُرى ،  
الفجرُ ينسجُه عنكبوتُ الترقُّبِ . .  
لأصدقاءٍ يجيئون ،

صوتُ الخطي أتعرفُ فيه على صاحبي الموتِ أو  
عَسَسِ الظلماتِ وهممةِ المخبرين وراءَ النوافذِ ،  
نارُ القبيلةِ في القلبِ . . تعلو فيأوي إليَّ من

الوحش أنس أنيس وتأوي القوافي  
 ويزأوج الطير، من محكم لأي تعلق التراتيل ينبجس  
 الماء والدمع، رائحة الخبز تصعد من جسدي ..  
 أتكسر بين فصاع الثريد  
 وأنحل في الخضرة الغامضة .  
 وهم ضربوا موعداً وضربنا لهم موعداً . .

- : لك الوقت . . فابدأ زواج العشيرة بالطقس  
 ولتحتمل من ملائي نصيبك ولأحتمل من بلانك  
 نخذ من صواني أحزمة للرصاص، خرائط للوقت،  
 قائمة الحريين، أوسمة الخضرة الغامضة  
 لك الوقت . . فابدأ زمان القبيلة . .

- : هل عقدت بين أعضائنا رجفة العهد؟  
 هل موثق أفنديه وهل موثق يفتديني؟  
 -: استمع . . إنهم في الشوارع . . فاخرج

- : وهل يَتَّبِجْسُ وجهيَ من بين نهديك، تلتئم  
من غنمات الشظايا ورقص السلاسلِ أربعةَ الأحرفِ ؟  
- : اخرج .

هو الليل . . صَحَوْ الإِرَادَاتِ فِي الكونِ ، سَجَادَةٌ  
يَتَنَفَسُ فِيهَا اشْتَبَاكَ الخُطُوطُ مشَاجرَ اللونِ فِي  
اللون . . كان الرصاصُ يُشَجِّرُهُ بِالزخارفِ  
والأَرْضُ تُتَبَضُّ مُخلوَعَةً فِي الإِضَاءَاتِ  
وهي مَوْرَقَةٌ الخُضْرَةِ الغَامِضَةِ  
تُهَاجِسُهَا الخُطُوطُ ، تَصَادَى النَّدَاءَاتُ ،  
تَسْتَرِقُ السَّمْعَ . . أَيُّ دَمٍ يَسْتَغِيثُ  
وَأَيُّ دَمٍ يَسْتَفِيزُ وَأَيُّ اخْتِدَاعٍ حَبَائِلُهُ  
انْعَقَدَتْ عَقْدَةُ الصَيْدِ !!  
تَسْتَرِقُ السَّمْعَ . . أَيُّ صَرَاحٍ يُمَسِّحُ أَطْرَافَهُ الهَالِكَاتِ  
عَلَى جُدُرِ الدَّوْرِ !!

والأرضُ تعلو وتسقط بين الإضاءات  
والنارُ تأكل أطرافها وهي تنصتُ .  
«نقرٌ خفيفٌ على الباب»

- : مَنْ ؟ !

كلُّ شيءٍ يعودُ إلى حاله . . وأنا قد تكلّفتُ حَمَلَ  
وَصِيَّتِهِ وَأَمَانَاتِهِ

- : لا أصدقُ

- : هذي ملابسه تُقَبِّتها الرصاصاتُ وانتشرتُ

فوق خضرتها بقع الدم، أحزمةُ الجلد،  
أوسمةٌ، وتعاويدٌ وجهك

- : هذي رصاصاته في اكتمالِ عناقيدها،

والرصاصاتُ تُقَبِّنُ قمصانه من وراء فهل . .

- : لا تقولي . . فقد كان يرحمه الله من أصدقائي

يكاشفُني وأُنادمه وعقدنا المواثيق . . لكنه . .

لست أدري لماذا وكيف . .

لقد مرَّ ما مرَّ . . قولي . . ألسنا نرى مَوْلَدَ  
 الملكوت بأشكاله من سديم الموائيق ؟ !  
 فانتظري . . سوف أنشئُ من ملكوتك ما  
 شئت . .

- : ما اسمُك ؟ !  
 - : أسماؤنا الحركية واحدة  
 فاسمعي أول الشعر فيك :  
 أنا آخرُ العاشقين . . إلخ .  
 دمٌ نافرٌ يتوامضُ من ظمأ  
 ويسيلُ مسيلَ الغزالات في العشب  
 يعلو ويرفع منديله فوق أعمدة الصبح ،  
 تمشي به الريحُ ، يأخذ بيتَ الإقامة في لهجة الفاصلة .

دمٌ نافرٌ والكتابُ يكفكفه ويخيط به سرجَ الخيل  
 ينفضه في القراصة يعقده ثمراً وعناقيد

مخبوءة في كلام النعاس .

دمٌ نافرٌ في الكتابُ  
وأنت تناديه وتؤاخيهِ بعد انقضاءِ الصَّحَابِ  
وبعد فرار رعيّته رهباً  
وامتلاء فرائصها رغباً  
والبلادُ مدي للعسدي  
وأنت تناديه . . مرةً بالتحامك مشتبكاً فيه  
بالغضب الجلف أو صارخاً بين أصدائه  
عله يتكشف عن وجهه في المادي  
اللغوي ويفتح ذبح القصبة .  
تناديه أنت . . وهو يهز بأعمدة الصبح منديله  
اللهبيّ، وتظر . .  
هل جسدٌ حطبٌ هذه الأرض!!  
ها أنت تزورُ عنهم وتبدأ :

قمصائك انفتحت عن عراها  
فلاذ بك النخلُ والطمي،  
وهي اشتكت وجعَ الطلق وانهمرت  
فوق خضرتها الغامضة  
سحائبٌ مثقلةٌ، واستجاشت دماءُ السلالة . .

١٩٧٩/٣/٢٣





# غنائية حجر الولاة والعهد

- ١ -

من يرحم الحجرَ المقدَّرَ للغواياتِ انهمازِ العصفِ  
 أسنانِ الرياحِ مباردِ البحرِ الدءوبِ؟  
 أقوى خطى الحجرِ الوقوفُ  
 تنأى الحوادثُ عنه ملموماً . .  
 فهل تنأى الحوادثُ؟  
 ها هو الحجرُ الموطأً للمطر  
 تتخذدُ الشمسُ الثقيلةُ وجهه وَيَشِيعُ من  
 عجلاتها طحنُ الصرِّيفِ  
 ومسيرةُ الحجرِ استقامتُ وجهةً مفتوحةً للطحلبِ  
 البريِّ والكيمياءِ والملحِ المقطرَّ  
 والتحولِ في الأصابعِ . .  
 ها هو الحجرُ المملَّكُ للبشرِ  
 نارُ تَبَجَّسُ أو مياهُ تنفجرُ

من يرحمُ الحجرَ المحبَّباً تحتَ ذاكرةِ الطفولةِ صهوةً  
أو في قراباتِ الصَّبِّ البيتِ الأليفِ  
غيرُ القصيدةِ ؟ !  
مَنْ سواها  
حينَ يدخلها الحجرُ  
متكشِّفاً عن وجهه الحجريِّ ثم يقيم فيها !!

- ٢ -

دَوَّرْتُ وَجَهَ حَصَاتِكَ الصُّوَّانَ أَعْلَكُهَا  
 - وَشَمْسُ التِّيهِ وَالظَّمَا الرِّفْقَانِ -  
 ارْتَمَيْتُ عَلَى وَجْهِكَ فِي الْفَلَاةِ، تَفْتَحْتُ  
 طَرَقُ التَّحْيِيرِ، نَبَاةٌ سَرِيَّةٌ تَخْفَى وَتُسْفَرُ  
 حِينَمَا سَمَيْتُكَ الْحَجَرَ الْأَمِينَ  
 يَا شَعْرُ، وَاسْتَدْبَرْتُ أَحْلَامَ الصَّبَا وَرَوَاهُ،  
 وَانْكَشَفْتُ عَنِ الْيَاسِ الرِّصِينَ  
 لَمَعَ الشَّظَايَا مِنْ مِيَاهِ الْعَمْرِ، وَاسْتَرَوْحْتُ  
 رَائِحَةَ التَّرَابِ يَفْضُهَا مَطَرُ التَّذْكَرِ  
 حِينَمَا سَمَيْتُكَ الْحَجَرَ الدَّفِينِ  
 وَلَفَقْتُ حَوْلَكَ مِنْ جَرَاحَاتِ الْقَطِيفَةِ، وَانْفَطَرْتُ،  
 أَشَعْتُ بَيْنَ أَصَابِعِي وَالْكَاعْدِ الْمَخْطُوطِ وَشَمِّ دَمِي،  
 وَلَمَلَمْتُ الرَّمَادَ . . طَعَمْتُهُ كِسْرًا وَلَذْتُ بِهِ،

وسميتُ الإقامة فيه هرولة التشكُّلِ  
كانت الفوضى المليةً بالكلام

صمتاً ثقيلاً

قلتُ للحجر الذي استسلمتُ فيه :

أعِنْ دمي ، وافتح عليَّ بوجهك

المسكون بالقول الثقيل

وحين سميتُ الفواصل في الكلام

حجراً ، وأعلنتُ الإقامة فيه سميتُ الظلام

لجماً نحاسياً وفوهةً بندقيةً مُخبرٍ ،

وتحصَّنتُ تفعيلةُ الرَّجَزِ المراهقِ بانتشار

الوجه في جوع الزحام

وأقمت فيه .

وحين سميتُ البلادَ خريطةً لعناكب الألوان

تنسج كلَّ لون لقمةً للطاعمين وكلَّ

خيط رايةً تعلو فتتقسم البلادُ وتستحيلُ

الأرضُ أسواراً تتناسلُ،  
حين سميتُ الولاءَ وحين سميتُ العدوَّ رأيتُ  
موتاً ناشباً بين الجذور يقضُّ من عقدِ  
الحموضة والمياه وشائجِ النسبِ الصريحِ  
ويستقيمُ على محجَّته قتالُ الأهلِ،  
نارٌ تجرفُ الحرثَ،  
استفاضتُ من علوِّ المدِّ أجناسُ من الوحشِ  
الطيورِ المعدنيَّةِ والخفافيشِ انهياراتِ السمواتِ  
العلا، والعصفُ أجنحةُ دمٍ  
والريحُ تغلي بالغيومِ.  
قلتُ: استمع. . هذي إضاءاتُ البكاءِ كتابةً  
وقراءةً في الدمعِ . .  
فاقرأ واستمع . .  
هذي غواياتُ الحجرِ . .  
بعثرتُ نفسك أم همو نثروك في عصفِ الولاية . .

لا الولاؤ يفجّر الخبزَ الأموميَّ الجميعَ ولا  
الدُّحُولُ تمدُّ أطرافَ الرماح صريعةً  
فأقمتَ في الحديّين  
فاقرأ واستمع:

هذا الحجرُ

تَتَخَرَّمُ الأمطارُ صفحته ويذروه الظلامُ  
يعلو ، ويفتح في شقوق البرق صلصال الكلام  
ويعيدُ مجدّ الحلم للشعراء  
يضفرُ من فتوق الصمت آيته  
ويخطو خطوه الكونيّ في النجوى ويُعلن عن  
مجيء الشعب في أعقابه . .

قلتُ: استفاقتُ من كراها هذه الزنجيةُ الحُبلى ،  
فألْبَسَهَا نزيّفُ قصيدتي عُقْدًا من الجمرِ  
المؤرّث في دمي

- الرَّجْزُ المبلّل في خشونة ليفه يعدو

وراءَ الهودج - استرختُ على حجرِ البلادِ  
وكدستُ أعضاءَها الزنجيةُ الجبلى  
وغابتُ في نعاسِ الطلُقِ والتجأتُ إلى  
أرفاعها كسَفُ النيازكِ ،  
لاذُ بالإبطينِ صوتُ الديكِ من كلِ القرى ،  
وتَفَتَّرْتُ ، لا الطلُقُ يضربُ وقْدَةَ الملكوتِ تحتِ  
حزامِها الكونيِّ ، لا انفتحتُ عُرَى اللينِ الحبيسِ  
بِقُبَّتَيْهَا في المشارقِ والمغاربِ ، وانسَلَلْتُ ،  
وَضَعْتُ رَأْسِي فوقَ ركبَتِها وثَقَبْتُ الفضاءَ  
بنظرةِ الحلمِ ، ارتقبتُ تَفْتِيحَ الملكوتِ ما بيني  
وبين حجارةِ الفحمِ المَقْبَبِ ،  
قلتُ : ألويةُ الكلامِ  
منقوشةٌ . . حجرُ الظلامِ كتابُها المكتومُ . .  
فاقرأ واستمع :



- ٣ -

للقلب آيته المضيئة . .

أهْلُكَ انتشروا انتشارَ النمل ،

صاحتُ صيحةً : يأيها النملُ ادخلوا السَّرَبَ الأَمِينُ

- فما على وجه البسيطة من أحد -

والأرضُ تنغل بالعراك وغُلْمة القتلِ ،

الحجرُ

مشبوبةً خطواته من تحت ذاكرة الطفولة ،

لا يكفُّ عن التخلُّع من مقالعه ،

وليس يكفُّ عن حرث البسيطة والقصيدة ،

ليس من حيٍّ يجلجلُ صوته بمراسم الهدمِ

المباغت للقبيلة غيره ،

لا صوت يُرْعِدُ بالبكاء وقد ترحلت الحبيبة أو

تَقَوَّضُ مَضْرِبُ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ غَيْرُ بَكَائِهِ ،  
 لَا حَيٍّ يَحْمِلُ فِي مَرَايَا صَوْتِهِ سَرْبَ الظُّلْبَاءِ وَهَبُوءَ  
 الْكَحْلِ الْمَضْيِءِ وَفِي الْحَصَى الْمَشْوِيِّ طَعْمَ الْأَمْهَاتِ  
 ثَرِيدَةَ الْأَعْرَاسِ إِلَّاهُ ،  
 وَفَوْقَ جَبِينِهِ الْمَطْحُونِ صَوْتُ الْهَامَةِ الظَّمْأَى  
 يُولُولُ بِالْقِتَالِ  
 وَهُمُ تَبَدَّدَتِ الرِّيَّاحُ بِهِمْ وَلَمْلَمَ عَنْهُمْ الْمَوْتُ الْحَوَادِثُ  
 فَالْبَوَادِي تَحْتَ سُلْطَانِ الْحَجَرِ  
 وَهُوَ الْمَكَابِدُ لِلْحَوَادِثِ وَحَدَّةٌ .

قَدَسْتُ بَيْعَتَهُ أَقَمْتُ الْخُلْفَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ  
 حَضُورِهِ السِّيَالِ .  
 عَرُوتُهُ الْوَثِيقَةُ خَاتَمُ الْإِرْثِ الْأُخُوَّةِ وَالْوِلَايَةِ ،  
 وَهُوَ عَاصِمَتِي أَزَاجُ فِيهِ بَيْنَ الصَّمْتِ  
 وَالشَّعْرِ الْكَظِيمِ . .

# أَوَّلُ الْحَلَمِ آخِرُ الْحَلَمِ

## امراة ليس وقتها الآن

خضرةٌ تحت جلدك مشربةٌ بالدمِ الطمي جوٌّ  
 النحاس الصقيل وسمرةٌ مرمرٌ اللامع  
 العشبُ يترك لهوَ الطفولة منسحباً لجروف الينابيع ،  
 يندى بدفء الأخوة والظل بين الذراعين والجذع ،  
 هبت من الريح طيبةٌ يتكدّسُ من مسّها رملُك  
 الرخو مرمرُك الأسمرُ، الرعدةُ الملكيةُ  
 نارٌ تماوجُ بين الصلابة واللين . .  
 واندلعتُ في القباب المليئة بالزهو شمسٌ من  
 العنبر اشتعلتُ في الزبيب مفاجأة الماء  
 والرحمة الرطبة .

اصدعُ بما تحلمُ، الوقتُ أوسعهُ مرّ  
 أضيقةً مرّ، أنتَ تخطّيتها :

أربعون من العمر ولَّتْ بلادُ توَلَّتْ  
فليتك تُملِي ولاءك للحلم  
هذا تجلِّي ولادتكَ الجامعة/

وأسحب صيفاً من الصوف فوقِي  
معِي الشمسُ أبعدُها أقربُ المسُّ بينِي  
وبين القميص ، استَفَقْتُ ذهولاً ، وغمْتُ ،  
الصحارى تقاطِرُنْ لي بالغضا والشقائق للمُنْ  
ظلَّ النُصور المُطيفة  
قَدَّمْنِ لي ورُسَهْنٍ وطعمَ الأراكِ  
وأدعيةً من عرارِ المحيينِ .  
هل باخعُ نفسك المستهامةً في زَجَلِ النَّيبِ والطللِ  
المتهوِّسِ بالراحلينِ  
- عليهم - تفيضُ عيونُكَ . . تبيضُ . . يا أسفا !!  
أخرجوك من الأرض ، كانت حواراتُهم

لغة لستَ منها  
الشوارعُ أو سَعُها أضيقُ الصرخاتِ بقلبكِ  
وحشيةُ الجوعِ آنسها يتفصّدُ بالرعبِ  
لا تعدّ عيناكِ عنهم إذا دخلوا الحلم أو خرجوا  
اصدّعْ بحلمك  
هلُ مخرجُوكِ همو من خُطاكِ أم الأرضُ  
واللغةُ امرأتانِ تقاسمتا قلبكِ الغصنُ أم  
هذه امرأة جارحة/  
ورأسي على ركبتيكِ وعيناي كأسا دمٍ  
يتخثّرُ من تحت شمسِيكِ  
أسقط ما بين شمسِيكِ  
أنزف ماءً وثلجاً وأدخل أروقة الله،  
شمسان:  
مصهورةٌ تتشظى بجفنيّ واحدةٍ،  
تتكلم أخرى عن الكائنات المذابة

تجلس في حضرة الدهشة المشرّبة تحت  
الظلام، وأدخل أروقة الله،

زملّني الصيفُ والصوفُ تحت فضاء السموات،  
نمتُ، استنفتُ ذهولاً، ونمتُ،  
تدثّرني جمرةُ الليل

تفرطُ فوق عناقيدها اللهيّة  
بيني وبين القميص الخيول الصّواهلُ،  
ألفافُ غاب من الشجر المعتم المتهدّل،  
هذي غزاةٌ خوفي مطاردةٌ حرةٌ،  
أثقلّبُ

واديك يهبطُ  
ريحانك ابتلّ والعشبُ  
رأسي على ركبتين هما الخبزُ والماءُ،  
هذي غزاةٌ خوفي وخوفي:

هما امرأتان أم امرأةٌ يتقلبُ بين يديها دمي؟  
الطبقتان المثلثتان،

شمسان من عنبر وزبيب،  
وأرضٌ رخاميةٌ الليلَ بيضاءُ  
فاصدعْ بحلمك . .

ناشئةُ الليلِ مثقلةٌ والكلامُ الثقيلُ الأباريقُ  
تزيدُ بالماء والخضرة اللافحة/  
على كتفيَّ اليمامُ المطوقُ باللهب الأخضر،  
الخاتمُ العائليُّ مضيءُ

وهذي هي امرأتي:

مرطها نَشَرَّتْهُ الرياحُ فلاذَّ به الغيمُ  
والأنجمُ انتشرتْ والسُموَاتُ كُشِفْنَ لي زمنَ الفتحِ،  
خيلُ، وجوهٌ تعرَّفتُ فيها عشيرتي الأقربين لهم  
صولَةُ الريحِ وأدَّرَعُوا الفقرَ  
والتحموا جسدًا للأخوةِ



فاصدع بحلمك

هذي عشيرتك الأقربون دمٌ يكتب السعفَ

الحيَّ والأغصنَ المثمراتِ ،

دمٌ يتناسل فيه النبواتُ والشهداءُ

الكتاباتُ والصرخةُ الفاتحةُ/

وهم يكتبون ولا يقرءون

انتبه،

غيرهم تحت سبِّي القراءاتِ مغتصبون

فبشِّرْهمو:

أنتَ نسلُ الكتابةِ:

في أمة أنتَ واحدُها

وهي تحت السمواتِ

أعضاؤك

انتشرت:

وحداك

تقرأ

تخرجُ

تُقتلُ

تبعثُ

فانتبه

والقراءة بُشْرَاكَ  
أولّها موتك الآية الواضحة/  
وآخرها أمة تقرأ السعف الحيّ  
والأغصن الثمرات  
انتبه

لست وحدك  
فاهجرهمو - حان وقتك - هجرًا جميلًا  
فكلّ بما عنده فرح،  
وتلّفتُ:

جندٌ، عيونٌ مدجّجة  
والدروعُ السّوابغُ، والزّرّدُ الأدميّ ارتخاءُ الهلام...  
تخبّطُ بينهمو

والحصارُ يضيقُ  
استفقتُ من الرعب:  
كلُّ الجوارح تعدو وتلهثُ،

تَلَقَّفُ وَجْهِي - يَدُ عِنْدَمَ وَحَرِيرُ :  
 هي امرأتي . . يتكسَّرُ في وجهها الطميُّ أَقْنَعَةً  
 سبعةً يتكشَّفُ أَقْنَعَةً سبعةً ،  
 والعروق على ظاهر الجفن نابضةً زرقاءٌ يستريح  
 بها أرقُّ العشقِ ،  
 ما بيتنا يرقدُ النهرُ دمعاً طرياً  
 ويفتح بيني وبين الصَّبَا خطوةً

- : نحن في أولِّ الوقتِ ؟!
- : بل نحن آخرُهُ .
- : تمكثين إلى مطلع الشمسِ ؟!
- : هل أفقٌ آخرٌ تطلع الشمس فيه فأمكثُ ؟
- : لم أتعرفْ عليكِ دماً راعفاً بالطفولة ،  
 فلتمكثي .
- : جسدي يتفرَّطُ دمعاً عليكِ ويخضرُ ،

أنتَ بخضرةِ أعضائي السنبلاتُ المليةُ،  
أحملُ وجهكَ تحتَ قناعي وأرحلُ،  
فاصدعْ بحلمكَ.

-: هل نحن في آخرِ الوقتِ؟

-: بل نحن أوَّلُه.

-: والبريدُ المسافرُ بيني وبينك هل

تحملُ الريحُ أمطاره؟

-: أستهيكُ كما قد قضى الطميُّ بالعشق.

-: هذا انهيارُ دمٍ في دمٍ وانفجارُ السمواتِ بالماءِ،

هل ترحلين

أراحلةً أنتِ؟!

-: ما همَّ والوقتُ ليس لنا الآن!!

-: ناشئةُ الليلِ مثقلةٌ بالظلامِ الثقيلِ

النجومِ الخفيفةِ والغيمُ يعدو

- : الوداعَ

- : الوداعَ

استفقتنا ذهولاً :

من الرعب لم التفتُ

وهيَ لم تلتفتُ

١٩٧٧/٥/٣٠

## هل الانتظار هو

فهل أملي لك وأمهلكِ الرّويدَ من شبق البحر  
واستنامة الأرض للأجساد الذائبة!  
صدوعٌ هي الأرحامُ المولّهة  
ورجرجةُ الماء فعلُ الذكورة  
فأمهلكِ .. أسمع فوراً أنساب  
وتلافح الاختيارات  
وأملي لك ..

أسمع نُضجَ الدم:  
أيد تنبت أصابعها  
أقدامٌ تأخذ شكلَ السعي والطريق  
وأصلاّبٌ بين مطرق الطبيعة الحرة وسندانٍ  
اشتقاق الأسماء على غير قاعدة  
وأنت ترقب الأرض ذات الصّدع والسماء

ذاتَ الرَّجْعِ

وترقبُ الجبالَ تمرُّ مرَّ السحابِ

لا تدخلُ الحلمَ ولا تخرجِ

فإذا أفقتَ فامسحِ النومَ من عينيكِ

وتفقدِ على قافيةِ الرأسِ العُقْدَ المعقودةَ

فبأيِ ناصيةٍ عَقَدْتَ ذُوَابَةَ الولادةِ

وألويةُ البحرِ والأرضِ !!

لا أنتَ تدخلُ الحلمَ ولا تخرجِ :

للمتوسطِ زاوية قائمة ،

في الشرقِ والجنوبِ هندسةُ الإغراءاتِ

والأحمرُ عِلْقَةٌ لا تكتسي ، له شكلُ

الزّواحفِ ولا يسعى

فقيرٌ أنتَ من العائلةِ فقيرٌ للعائلةِ

لا تدخل الحلم ولا تخرج، ولموتها كل سبب إلا  
الموت.

طال بك حال الرباط  
لقدميك ظلٌ منحتَه قداسةُ الشغور وأمانةُ البلاغ  
جسدك تهليلُ السموات والأرض  
وما بينهن لائذُ بك، يدخل الأسواق،  
يأكل الطعام، يتخفى  
فبالعشائر أنتَ والأمهات  
هل يكيّدون ويكيّدُ الفقراءُ كيّداً؟  
بل يمكرون ويمكرُ الفقراءُ:

خيّلهمو مجنّحةً  
ممالكهم لها أسماؤهم ووجوههم أفقُ اللّواءِ  
يتراقدون عباءةَ الرّقعِ القديمةِ والقديدِ  
ونكهةَ الخبزِ المشمسِ وامتلاءِ النومِ



بالأشجار والصحو ، امتلاءً الوقت بالطير  
 المحوّم والبكاء  
 والحيلُ بين الصحو والأشجار تَعْتَلِكُ الصهيلَ  
 وتشربُ على اتساع الرمل في شَجْوِ الحُداءِ  
 وتمرُّ بين النوم والأشجار .  
 لا تُغري ولا تُغري

وليس لها بمعمور ثواء  
 ديمومةُ الريحِ العصفِ لجامُها المرخى ،  
 وأمداءُ من الكرّ الفسيح  
 فلا تراوِغُ لا تُراوِغُ ،  
 ترتوي عرقاً وتسهل بين أشفار المناجلِ والسنابلِ  
 تضربُ الأرضَ المقيمةَ في نُعاسِ الحملِ ،  
 تغفو غفوة الرقصِ المفاجئِ في البراري ،  
 يستجيشُ بها علوُ المدِّ والموجِ

المزاحم تحت مجروح الغناء  
هل أنت تعرفهم وهل هم يعرفون؟!  
هم يعرفون وأنت تعرف:  
أنتمو وطن يُسبِّلُه الدم السري.  
عهد قائم أم قد تفصم،  
بيننا جبل من القسم المغلظ بالمجيء..  
أم قد تصرم؟!  
فلتقل يا أيها العكن الخبيء..

أجتمع في نفسي على البكاء وكلام الأنهار والشجر  
بيننا وبين العشيرة الأقربين منازلُ العشقِ  
وسقر الحمية  
وكرامة الأعراق  
بيننا ماءً للكتابة وجمرة للعناق.

بيننا ماءً للكتابة :

لكَ الجيينُ المغسولُ بلبنِ الأمِّ،  
سقطَ الزَّغْبُ الأصفرُ وتجلَّى وجهُكَ بلونِ الخبزِ  
تخرج تحت فضاء الليل وتغدو شجرةً هائلةً  
يلفُّها الظلامُ المرقَّطُ  
كلما اختفتْ نجمةٌ غادرَ عضوٌ من أعضائك الليلَ حتى  
تتكاملَ على فراشك الحشن  
للحصير والليف غابةٌ من تألفاتِ اللمسِ والأحلامِ  
للسمواتِ ذاكرةٌ في عينيكِ  
تعرفُ كم دائرةٌ تطيرُها الصقورُ والحدآتُ العالبةُ  
حتى نصير الشمس في مركز الأقواس  
وكم مرةً تلدُّ الأبقارُ حتى تشعَّ منها قداسةُ الأمهاتِ،  
وتعرف لون المهرة من رائحة السرج أو حموضة  
العرق

للثيران والإبل تائمُ الصداقةِ وذكرياتُ الأخوةِ  
 والموتُ يرسمُ خطوطَ الجوارِ الأليفِ بين  
 دفءِ البيتِ وفطائرِ الرحمةِ للموتى  
 يتكلمُ الحصى في يديك  
 يحكى دخوله في أعتاب الأهلِ وأضرحةِ  
 الأولياءِ وعَرَصاتِ الخبزِ  
 ومدارَ انفلاته من المقلاعِ إلى وحشِ الطيرِ  
 والثمارِ البعيدةِ  
 مسكونةٌ هي الخطى بقراءةِ الخميرةِ للأرغفةِ  
 وقراءةِ القبقابِ الخشبيِّ لأُفرعِ الجميزِ  
 وقراءةِ الجلبابِ للعصافيرِ  
 زيارةٌ هي الشحاذون يفتحون أبوابَ الفجرِ  
 حضورُ الكونِ وكبرياءُ التكاملِ هو أذانُ العشاءِ  
 وكلُّ الطرقِ دعوةٌ لضيافةٍ مفتوحةٍ .

تعرف كم مرة تدورُ الساقيةُ فترتوي آخرُ سنبلة  
وتحلم بخرق العادة وتنتظر العجائبي واجتراح  
المعجزات

فتمتدّ من يديك الينابيع  
وتهاجرُ الطيورُ بأفاتها إلى صوتك السريّ  
حنجرةُ هي الطباقُ السبعُ  
وتنمّ القراءات هي الأرض  
والخليقة مطوية تتقلّبُ بين نهارات المتحرك وغسق  
الساكن

أمّ تقوم وتهوي هو جسدُ الإيقاع  
المكتوب في رياضيات الحلم .

بيننا جمرةٌ للعناق :

أحلُّ عُراها وأفتح أكمامها،

ورقٌ مخمليٌ تقرأه ماءُ الأصابع ، كفُّ تكابده ،  
 كلما سقطت ورقةٌ نَفَرَتْ في منابتها فورةٌ  
 للطلوع المفاجئِ وازدحمت . .  
 ليس تهوي الوريقاتُ في ملأ من حرير النعومة  
 والدفع إلا اقتراباً يباعد بيني وبين مزارات  
 خضرتها ، والخطى نحوها أوبةٌ . . ليس في الكفُّ  
 من طلعها رجفةُ المسِّ بل رعدةُ الأسئلة/  
 وجوعٌ تقادَمَ واحتشدتُ في مفازاته الروحُ .  
 أَلَقْتُ عباءَتها المهملة/  
 وأرختُ نطاقَيْنِ قَلْعَيْنِ فهي السفينةُ  
 أعضائي البحرُ والريحُ صاريةُ المزنِ .  
 قلتُ لها : قد أقمتُ مقامي من الوحشة الآهلة/  
 نديمي دمي ، قلتُ : وحدي . . وهمُ كثرةُ غالبون  
 فقالتُ : هي المحنةُ النعمةُ الكاملةُ/

وهذا اصطفاؤك ، هم صولجاناؤك الخضرُ ،  
هم في مسير الرياح قصيدتك المقبلة /  
«فكن سماء وحي وأرض ينبوع وجبل تسكين ،  
وإذا تحرّكت فلتكن حركة إحياء»  
كرمة أنت . . فانظر :  
أي سلطان لك فتنفذ من  
أفطار السموات والأرض !!  
لك ممالك الجنّ الفسيحة وقلق الإنسان  
ومستقبل الحلم :  
جولان النوم في المدن المهجورة وشواهد  
القلاع أو يقظة الجلوس على العرش .  
تستبدُّ بك فوضى الغيوم والأرجوان المدّم في  
مملكة الريح

فهل هم الموتى يعيدون أديارهم في  
صمتك المسكون بجاء التذكر . . فترى كل  
شيء شبحاً يهيم بين مرأتين؟  
كرمة أنت . . فانظر:  
لك الأرض، نقش من الضوء والعنمة  
الرطبة، الشمس تسقط من بين أفرع الشبكية

ضوء: لعلّ بلاداً تخامرُها النارُ فهي نَوَقْدُ في السر  
ظل: لعلّ بلاداً تنام على فزع الصور.  
ماءٌ وطين: لعلك نهرُ البكاء المجلجل،  
علّك تعقد في إصبعيك العصائب والنهر،  
تمشي فيتبعك الشجرُ الرخّص،  
تمشي على خطوك الزلزلة/

هُمُ انسربوا سَرَبَ الدَّرِّ وانتشروا:



لا السمواتُ تبقى كما كنَّ،  
والأرضُ تطوى كما طُوِيَتْ خِيمةُ الظَّعنِ . .  
فاهبطْ إليهم كما يهبط السيل . .

١٩٧٧/١٢/٢٥

## امراة.. إشكاليات علاقة

تَهَدَّتْ نَاقَةُ اللَّيْلِ ، اسْتَطَفَّ لَهَا مِنْ

الرَّيْحِ الْمَلِيئَةِ بِالظَّلَامِ الْكَثَرُ ،

فِي اللَّحْيَيْنِ مِنْ جَرَشِ اللَّغَامِ الرَّعْدُ ،

وَانْتَثَرَتْ مِنَ الرَّغْوِ النُّجُومُ الْفَضَّةُ الْمَاءُ الْمَدَّمُ

وَالْغَبَارُ الزَّعْفَرَانِيُّ ، الرُّغَاءُ وَشَيْجَةُ

الْإِيْقَاعِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ .

وَامْرَأَةٌ تُسَاقِطُ عَنْ خَوَاصِرِهَا النِّصِيفَ تَقُومُ

مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ نَافِذَةً مَعْشَقَّةَ الْجَوَارِحِ

بِالطُّيُورِ وَهَمِّهِمَاتِ الْغَابِ وَالنَّهْرِ الْمَشَاكِسِ .

وَالْبِلَادُ بِأَسْرِهَا انْكَشَفَتْ .

مددتُ يديَّ:

كنتُ سوايَ، ليس النهرُ ما كنا عبرناهُ  
 عراةً نلبس القمحَ الصبيَّ، الغابُ غيرُ الغابِ،  
 والطيرُ المراوِغُ غير ما كنا سرقناهُ  
 صغاراً من عشاش القشِّ،  
 والأشجارُ ليست ما زرعناهُ  
 أبي وأنا،

ولا رَحِمُ تشدُّ خطايَ للأرض  
 المطيفةِ خلفَ نافذةِ الجوارحِ،  
 هذه امرأةٌ تقوم مقامها بيني وبين الحلم  
 (معتصمٌ بوجه الحلم معتصمٌ بطوفان القصيدةِ)  
 هذه امرأةٌ تدبُّ النارُ تحت قناعها الطينيَّ،  
 يطلع وجهُها السريُّ:

يخطو فوق بلّور النوافذِ  
 والرياحُ بنفسجُ الصبحِ، الدمُ المخفورُ من  
 عهد الطفولة رائقٌ كالماءِ،  
 والأفقُ الزجاجةُ، والزجاجةُ كوكبُ  
 والقرطمُ الشوكيُ مُشتبكٌ بأخرِ ظلمةٍ تعدو . .  
 الضحى يعلو بأطراف المآذن والقبابِ يَفُضُّ  
 سنبلةَ المرقشِ في عقود الطير والسعفِ . .  
 الضحى يعلو . . وأنتَ قضيتَ ليلتكَ الثقيلةَ عارياً  
 تعدو تخوض بين بارقةِ النعاسِ وخطفةِ  
 الحلم المكاشفِ، أنتَ قد قضيتَ ليلةَ عمركَ،  
 انكشفَ المدى ما بين بارحةٍ وسانحةٍ  
 وأنتَ تُصاولُ الوحشَ الكلاميَّ  
 المدججَ:

هل هولٌ أوسعُ مدىً من صمتِ الناريين  
غلافِ الكتابِ وغلافه الآخر؟!  
والأرضُ: كتابُ المسافة وكتابةُ الأفق.  
والوحشُ الكلاميُّ المدججُ بالكوفيِّ والنسخيِّ  
مندلعٌ في خروم المخطوطات  
يُخفي وجهه السريَّ في خشخشة الكاغدِ  
ورائحة الرقوق وكثافة الرشاقة في موت  
الظباء ونكهة الجلودِ القديمة  
ويعلنُ حضوره في طعمِ الحبر والماء والصمغ  
ويسافرُ في صوتِ الريحِ المقيمِ في قَصَبِ الأقلام.  
أتذكرُ مخلاةَ العَبَكِ والمقلمةَ النحاسيةَ  
ومجمرةَ الرملِ وريشةَ النَّسرِ؟!  
أتذكرُ شجرَ الزَّنجارِ الأخضرِ ورائحةَ

التراب ومخطوطة شرح القطب على الشمسية  
ونحو الأشموني وسلم السّاوي وإيقاع  
الرجز في الألفية ١١

أتذكر حُمْرَةَ الألفِ والياءِ في خطبة جدك  
عامر للجمعة اليتيمة وزخرفته الباهتة  
لهبوب الريح من تلقاء كاظمة وإيماضة  
البرق في الظلماء من إضْم !!

تلك كانت آخر العهد بوجه أمك وجميزة  
البكاء وموتى العشيرة  
وآخر العهد بتواطؤات السمع والبصر والفؤاد  
«وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»  
ذلك أول العهد بأولياء نعمتي

لسانك مختومٌ بعسل العشق واللّهجة الصادقة  
 ودمك أول الضحى في الكلام الصعب  
 فَلَيْسَكُن النِيلُ أَعْضَاكَ وَالْفِرَاتَانِ  
 وَلَيَنْبُتَ فِي جَسَدِكَ الْقَصْبُ وَتَخْضَرُ فِي  
 صَوْتِكَ أَهْوَارُ الْقَصِيدَةِ  
 وَلَيَمْتَلِئْ حَزْنُكَ بِالْكَشْمِشِ الْمُوصِلِيِّ  
 فَقَدْ مَنَحْتُكَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ الْأَعْرَابِ صُغْرَاهُنَّ  
 وَوَشَمْتُ وَجْهَكَ بِشَمْسِ الطَّابُوقِ  
 وَمَسَامِيرِ الْكِتَابَةِ فِي الْمَرمرِ .

أنتَ فِي عَرَسِ الْقَبَائِلِ :

هَآ هِيَ انْتَشَرَتْ مَقَاصِيرُ الْحِجَارَةِ  
 وَالرَّخَامُ تَوَهَّجَتْ مِنْهُ الْهِيَآكِلُ وَالْدُّمَى

امتدتُ صفوفُ الخيلِ والفرسانُ مدَّرعون  
 حولِ الساحةِ  
 الشمسُ النفيرُ وزرقةُ الأفقِ الصدى والصوتُ  
 شمسٌ جَنَّتْ أَلْفًا من العرباتِ واندلعتُ  
 تطيرُ وأفقُها وهجُ الدروعِ .  
 المرمرُ انفكَّتْ طلاسُمُه وبارَحَتِ الكتابةُ  
 والنقوشُ زمانُها الحجريُّ  
 والأُمُّ الشعوبُ تكأكاتُ فوضى من الأعشاب  
 والماءِ ، القبائلُ تستعيدُ حرارةَ الأسجاعِ  
 بين الهمز واللمز ، الملوكُ أتوا :  
 تقسَّمتِ القبائلُ تحتَ أعلامِ الطواطمِ  
 هاهي الأعلامُ خاتَمُ خطبةٍ لبسته أعمدةُ الرياحِ  
 الشمسُ نفعُ الخيلِ طَمَطَمَةُ الجموعِ ،



ومهرتان تشابكت بيني وبينهما الخيوطُ،  
رأيتُ في خيطين تَقْطُرُ منهما الحنأُ في الكعبين  
دائرتين واسعتين :

عشقُ بازغُ أم دارةٌ للموت ؟ !  
كحلُ زُرْقَةٍ عَسَلِيَّةٌ : خيطانُ تَنْفَتِحُ السماءُ عليهما  
أَفَقًا من البرُحيِّ والرُطبِ الخيامُ تَخَلَّلَتْها  
الريحُ بالغزلِ القصائدِ وانتحابِ الوشمِ بالذكرى .

الدمُ الفِضِّيُّ في المهماز ، شمسُ قطرةٍ  
عَلَقَتْ بِحَدِّ السيفِ :  
هذا البحرُ مجتَمعاً تشيرُ إليه عاصمتان من برقٍ ؟  
سرابٌ ؟ صفحةٌ مكتوبةٌ فيها اقترانُ دمي  
بماءِ المعدنِ الخلاقِ ؟ !

حَمَمَتَانِ تَشْتَبِكَانِ :

مَهْرُتُهَا اغْتَلَامٌ طَافِرٌ مَا بَيْنَ

هَمِّهِمَةِ الشَّكِيمَةِ وَانْدِلَاعِ الْمَاءِ وَالنِّيرَانِ فِي

الْكَفَلِ الْمَدْمَلَجِ ،

بَيْنَ أَرْبَعَةِ الْحَوَافِرِ يُولَدُ الْإِيْقَاعُ قَافِيَةً فِقَافِيَةً

حِصَانِي - وَهُوَ عَاصِفَةُ الرُّبَاعِيَّاتِ - مِنْكُمْ

تَجَمَّعُ فِيهِ مِنْ حَقَبِ الذِّكُورَةِ وَالْجُمُوحِ رَشَاقَةٌ سَرِيَّةٌ .

هَلْ كَانَ بَيْنَهُمَا الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ حُضُورِهَا الْمَلِكِيَّةُ ؟ !

فِي كَتْفِيَّ كَانَتْ كِبْرِيَاءُ الْفَقْرِ حَشْدًا مِنْ نَبَوَاتِ الدَّمِ

الشَّهْدَاءِ وَالثُّرَوَاتِ أَعْتَابِ الصَّبَاحَاتِ الْمَلِيئَةِ

بِالْغُيُومِ الْعَشْبِ أَشْجَارِ الْخَلِيقَةِ وَالْبِرَاحِ الطَّمِي

وَالْقَطْعَانِ .

وَالْأَسْلَافُ يُحْتَشِدُونَ بَيْنَ أَصَابِعِي النِّسْلِ

المقارمُ بالمحارِثِ السِّيوفِ قصيدةِ الغزلِ  
الصريحةِ مستكنٌ حولِ مقبضِ سيفي،  
انطلقتُ بمهرتها تَخَطُّرُ ..

دورة .. ثنتين

قبلي فتيةٌ سقطوا .. الأخيرُ أنا  
وهففتُ العباءةُ والمطارفُ قد سترنَ كَشَفْنَ  
هل هذا الزواجُ الصعبُ آخرُ بدعةٍ  
كتب الملوكُ طقوسَهَا  
أم هذه نُذُرُ احتفالياتِ موتي تحت أسيافِ العشيرةِ ١٩  
دورة .. ثنتين

أرقصُ والمياهُ تَفْطَرَتْ فوقَ الجبينِ بسرَّها  
الجبليُّ رائحةِ المراهقةِ العريقةِ .  
عَطَّقَتْ نحوي الشكيمةَ واشراَّبَتْ نجمةَ المِهمازِ

وانفجرت على السيفين شمسٌ . .

ضربةٌ . . ثتان . . ثالثةٌ . .

تكسرت الشموسُ وهمهمَ البرقُ

استنضأتْ عُدُوَّةُ ما بين بحر الروم والظلمات

رابعةٌ وخامسةٌ . .

تَقَلَّتْ بَيْنَنَا وَمَضِ الْقَرْيُ وَالنَهْرُ وَالْأَرْضُ الْأَسِيرَةُ . .

والمدى اتسعتْ دوائرهُ ، استراحتْ سَوْرَةُ الْحَبَبِ ،

استدارتْ فوق مهرتها تَخَطَّرُ واستدرتْ لها ،

البدايةُ صعبةٌ ،

عَطَفْتُ نَحْوَ صَهِيلِ مَهْرَتِهَا الشَّكِيمَةِ

ثم أَلْقَيْتُ الدَّرِيئَةَ مَا أَدْرَعْتُ ، رَمَيْتُ هُلْهَلَةَ الزُّرُودِ

وبيضة الرأسِ ، انكشفتْ كما أريدُ ،

لعبتُ بالسيف المراهق مثلما أتذكر الصقرَ

استمالاتِ النخيلِ ومثلما اذكّر الريحَ الصبيّة،  
كنتُ مفتوحُ القميصِ غوايةً، شاغلُتها،  
العجبُ العجائبُ يطيرُ من تحتِ القميصِ،  
الوشمُ وضاحُ الخرائطِ:  
يطلعُ النخلُ الحروبُ الألفُ  
بحرُ الرومِ يعلو فوق أطرافِ الحرابِ  
شواهدُ الأسلافِ تبرقُّ بالأهلةِ والبكاءِ الصعبِ  
أرضُ شققَتها شهوةُ المطرِ  
الخيولُ طليقةٌ في النسيمِ.  
أفتحُ رقصتي يتيّاً والعبُ  
سيفُها يعلو ويهوي ثم يطعن  
مرةً.. ثنتين.. عشرين..  
وانفَلَتُ، دوائرُ الموتِ القريبةُ والبعيدةُ كنتُ

أَعْبَرُهَا وَأَرْقِصُ بَيْنَ حَدِّ السِّيفِ وَالْمَوْتِ التَّقَاءِ  
 السِّيفِ بِالسِّيفِ انْهَمَارِ الْكَشْفِ وَالْأَسْرَارِ  
 دُرْتُ وَدَارَتْ اشْتَبَكْتُ دَوَائِرُنَا،  
 فَمَعْرِفَةُ الْمَعْرِفَةِ وَأَرْبَعُ أَعْيُنٍ تَتَفَتَّحُ  
 الْآفَاقُ تَحْتَ عَرَكَهَا السَّرِيِّ  
 - لَمَحَ الْبَرْقُ - كُنْتُ أَطِيحُ مِنْ يَدِهَا بِمَقْبُضِ  
 سَيْفِهَا ارْتَكُضَ الْحِصَانُ وَرَاءَ مَهْرَتِهَا  
 جُمُوعُ الصَّرَاخَةِ انْعَقَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْقَبَائِلِ وَالْمُلُوكِ  
 وَنَحْنُ فِي الصَّبَبِ الرَّبَاعِيِّ انْطَلَقْنَا مِنْ وَرَاءِ  
 السَّوْرِ وَانْفَتَحَ الْبَرَاخُ لَنَا.  
 هُمَا فِي الظِّلِّ يَخْتَضِمَانِ عَشْبَ الْأَرْضِ  
 مَعْرِفَةُ الْمَعْرِفَةِ وَحَمْحَمَةُ الْحَمْحَمَةِ  
 وَنَحْنُ نَرَاوُدُ الْخَلْقَ الْمَوْحَّدَ.

- : تَمَّتِ النُّعْمَةُ/

لَكَ الْعُرُوشُ الْعَلِيَّةُ وَأَعْمَدَةُ النُّهْرِ  
وَحُمَيْرَةُ الْيَابِسَةِ

«وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ»

اسْتَدَارَ الزَّمَانُ عَلَى أَوَّلِهِ كَيَوْمٍ بَدَأَ الْخَلْقُ،  
فَهَلْ تَلْدِينِ النَّهْرِ وَأَرْفَعُ لَكَ قُبَّةَ الْفَضَاءِ  
وَأَذْهَبُ كُرَةَ الْأَرْضِ؟

- : فَلْتَبْتَدِئْ زَمَنَكَ وَمَعْجَزَةَ يَدَيْكَ وَآيَةَ

وَضَعْ الْأَسْئَلَةَ فِي السَّنَةِ الْأَحْيَاءِ وَالْمَوْتِ  
وَعَسَلِ الْخَيْرِ وَالتِّفَاتِ الْمَعْرِفَةِ .

- : أَنْخَسَّنِي الْجِرَاحُ كَمَا قَدْ شَهِدْتَ وَأَثْقَلَنِي  
الْوَشْمُ بِالْمِيرَاثِ وَالْوَلَايَةِ

- : حَذَارِ . . فَإِنَّ الْأَفَقَ تَعْلُوهُ غَبْرَةٌ عَالِيَةٌ . .

وقبلَ تَلَفْتُني كانَ العَجاجُ وكانت اللُغةُ المَفْتَتَةُ  
القبائلُ والملوكُ يزاحمون الأفقَ بالغضبِ  
المجانيقِ الصهيلِ ورغوةِ الزهو المخاتِلِ . .

كان رعبُ الوحشِ شوكةً طالعا تحت  
الأظافر والدم  
الأرضُ البراحُ تفرَّتْ تحت حوافر الوحشين  
ليلٌ أرقطٌ يلتفُ أشجاراً تكاثفُ عوسجاً  
عشباً من الأشفار والخوفِ المجنحِ  
تطلع الهُولاتُ  
- : كم شمساً تقلَّبت السماءُ بها ونحن  
نشقُّ هذا الليلَ ؟ !

«صمتٌ مثقلٌ بالرَّعدِ والصرخاتِ ينطقُ بيننا»



شمسٌ مفاجئةٌ تفتّحُ بابها والأرضُ هادئةٌ الولادة،

ليس من أحدٍ سوايَ .

«الموتُ أخطأني وأخطئه؟!»

الغيومُ ثقيلةٌ والهوةُ اتَّسعتْ وقام بها عمودُ الصبح

«موتاً تستريحُ به . . الملوكُ قَضَوْا

وَبُعِثَتْ القبائلُ تحتَ أعلامِ الطَّوَاطِمِ والطوائفِ

فوق وجهي يسقط الطابوقُ والظميُّ المفتتُ،

مرمرُ الأبهاءِ يُوصدُ لحظةَ الخلقِ اشتباكٍ

الحلمِ بالوحشِ الكلاميِّ،

الرخامُ يُعيدُ سيرته:

الملوكُ على عروشِ الحفرِ، صمتُ قبائلِ

الأحجارِ منتشرٌ وأفقٌ من ملاءِ الصخرِ

والأنصابِ والأزلامِ .

## ثلاث نهايات مقترحة:

- ١ -

الرُّخام يُعيد سيرته:

الملكُ على عروش الحفر، صمتُ قبائلِ  
الأحجارِ منتشرٌ وأفقٌ من ملاء الصخر  
والأنصاب والأزلام،  
يا امرأة تنام على محفَّتها الفقيرة  
أيُّ حرثٍ أنتِ ؟  
هل من أيّما موت طلعت ؟  
الريحُ تلبس خاتمَ الطير المحوّم والكتابُ  
تقلّبتُ صفحاته من تحت دواّماتها  
الوجهُ المحيرُ في سموات الضحى والليل .

يا امرأة أموتُ على محفَّتها الفقيرة  
 أيُّ نومٍ نَشَرَّتْهُ عليَّ سِغْلَاةُ الكلامِ  
 وحوشُه النسخيَّةُ الكوفيَّةُ ؟ !  
 اعتصمي بوجه الحلم  
 واعتصمي بطوفان القصيدة  
 قلَّبي عَيْنُكَ ما بين الضحى والليل :  
 هل هذا البنفسجُ والدمُ المخفُورُ من  
 عهد الطفولة راعفٌ في الأفقِ ؟ !  
 منشورٌ تقلِّبه الرياحُ على زجاجِ الصحو ؟ !  
 أمْ فَرَعٌ مقيمٌ تحت فرشتنا سيكتبُ بَيْننا  
 عقْدَ القرانِ ولَايَةَ النسخيِّ والكوفيِّ طعمَ  
 الصمغِ والجلدِ القديمِ خلافةَ الإيقاعِ في  
 فَرَحِ الطفولة بالضحى والليل ؟ !

-٢-

الرُّخَامُ يُعِيدُ سِيرَتَهُ :

الملوكُ على عروش الحَفْرِ ،  
صمّتُ قبائلِ الأحجارِ منتشِرٌ وأفقٌ من  
مَلَأَ الصخرِ والأنصابِ والأزلامِ ،  
يا امرأةُ تهدَلْ شعْرُها والتفَّ حَناءُ  
وخَشَخَشَ دَفْؤُه الليفيُّ والتفتُ على  
عينيَّ غيمتُهُ ، اشتهاؤك رجفةُ الطمي المبللِ ،  
والمسافةُ بيننا أدنى وأبعدُ من  
دمِ الصرخاتِ في الحِقْوِينِ

« طلبتُك كما اشتَهتُ نفسي وأشرقت

الحدوسُ بينَ الإمكانِ والموتِ .  
العشائرُ أبدعتْ من موتها الحجريَّ إيلافًا ،  
لإيلافِ العشائرِ رحلتان :

الصيفَ : مُهرُ دمٍ وقافلةٌ من  
الغيمِ الخفيفِ الأفقِ شَطِيةٌ مارجٍ يعلو  
الرمالُ استَفَّها العصفُ الجزيرةُ صفصفُ ،  
دشداشةُ الزَّهوِ الجهولِ ، السَّبيِ يأتي ،  
والحرائرُ والإماءُ يجثنِ والخصيانُ ،  
فقرُ مزهرُ ، والجوعُ شمسُ فرفرتُ  
كالذَّبْحِ في دمها .

الشتاءَ : القهوةُ التبغُ المرايا البحرُ يُزِيدُ  
في الزجاجةِ والزجاجةُ كيمياءُ للتلافيقِ  
القديمةِ والجديدةِ -

ها هو شعبٌ أغلقتْ دونه مَرَحْمَةُ الحلم ،  
له الدمعُ العريقُ ولكتبُ الصُّفْرُ  
له رائحةُ الصمغِ واحتماءُ الوشمِ بالكوفيِّ والنسخيِّ  
ومن تحت جلده تندلعُ المخطوطاتُ وروائعُ  
الزَّنجارِ الأخضرِ وشجرُ الأفلامِ

وَأنتِ بيني وبين الجميع  
ساعةٌ للزَّلْزلةِ والعصفِ المأكولِ  
ولقمةِ المؤاخاةِ بين النارِ ونكهةِ الجلودِ القديمةِ  
وقيامةِ الإيقاعِ وأهويةِ المحارِبِ والأفُقِ . .

- ٣ -

الملكُ على عروشِ الحفرِ ،  
صمتُ قبائلِ الأحجارِ منتشرٌ  
وأفقٌ من ملاءِ الصخرِ والأنصابِ والأزلامِ .  
يا امرأةَ العشائرِ عرَّشَ النخلِ  
الرخاميُّ الطيورُ وشمْنُ طابوقِ السماءِ أهلةٌ  
والتَّمتَّ الصرَخاتُ ساكنةٌ على جِصِّ الشِّفاءِ  
بكِيتُ ، والشَّعْرُ الغلاميُّ استراحتُ تحتَ ملمسه  
الأصابعُ والمسافةُ بيننا اتَّقدتُ  
زجاجُ الصحو يَبْرِقُ بالبنفسجِ والدمِ  
المخفور من عهدِ الطفولة  
هيئي طقسَ المقايضةِ المراهنةِ :

البنفسجُ . . كلُّ واحدةٍ بصقِرِ دمٍ يفرُّ من  
الضلوعِ ويكتبُ الأفقَ الأهلَّةَ  
والغيومُ . . بكلِّ واحدةٍ صراخُ مُشرَّبٍ في  
الجوارحِ للمسافاتِ  
الخيولُ . . بكلِّ ضربةٍ حافرٍ ملكٍ،  
بحممةِ السِّفادِ قبيلةً،  
بطراوةِ الدمعِ العشائرُ،  
بالندى وروائحِ الطميِ المبَّلِّ . . كلُّ ما  
ولدتُ نساءُ السَّيِّ .

فارتعدي . . الضحى يعلو، البنفسجُ في  
صراخِ الريحِ والأفقُ الزجاجةُ  
والزجاجةُ بيننا أتقدتُ بصمتِ زواجنا



السريُّ صمتِ عراكننا السريُّ  
فانتبهي - . . البلادُ بأسرها انكشفتُ . .

١٩٧٧/٨/١٩

## محنة هي القصيدة

«ولقد نرى تقلب وجهك في السماء»

غيمة من رقع الماء الفضاء الدخنة الباهتة  
التفت على مغزل شمس ورياح .  
ورمادي نسيج فككت عروته حذوة طير ليس  
ينقص ولا يعلو ،  
اهتراءات رقيقات تبعثرن وفي هدايهن  
اشتبك الشوك المضيء القنفذ الساطع يرعى ،  
عنكبوت ذهب يقطر منه الأرجوان .  
الليل في آخره السهل عسافير ينقصن عن  
الريش بقايا القطر أضغاث النباتات

هباءَ الذُّرِّ والغُبْشَةِ ، يُسَلِّمَنَّ المناقيرَ  
إلى دَفءِ الجناحين .  
النهارُ التَّمَّ في أَعْضائِهِ واصْأَعَدَتْ شَيْئُهُ من  
تَحْتِ حِنَاءِ الذُّرَى ،  
الصخرةُ تَأْوِي للنَّعاسِ الرُّطْبِ والهَوَّةُ تَنَّابُ  
والقريةُ جَرَوْ مَرَحٌ لآذَ بهِ النُّومُ البعيدُ .

رجلٌ ، وامرأةٌ تَفْتَحُ في عُرْوَةِ ثوبَيْهَا الشَّفِيفَيْنِ  
بِخَوْراً ولُبَّاناً زَاكِياً ، تَفْتَحُ في الطُّوقِ هَلالاً  
خَفَقَ نَهْدَيْنِ ، حَفِيفَ المَخْمَلِ الناعمِ بِالْحُلْمَةِ ،  
والمرأةُ تَمْشِي خَضِرَةً مَعْتَمَةً في  
هُودَجِ اللَّيْلِ ويمشي الرجلُ النَّائِمُ يَقْظَانِ ،

يدان انفتحت بينهما عَشْرُ عيونٍ يتواشجن مياهاً  
 وارْتعاشاً ودماً تصهل فيه الحضرة الدافئة  
 القمحُ رباً للركبتين، اخضرت الطينة،  
 أوراقُ السُفاه اصْأعدتْ عُلْيَقَةً عطشى،  
 اقترابٌ، قُبلةٌ توشكُ . .  
 عَقْدُ الكَهْرَمَانِ اسْأَقَطَتْ حَبَّاتُهُ وانثرتْ  
 تومضُ ما بين النَّجِيلِ الغضُّ تهوي  
 ظلّمةٌ لامعةٌ بين الشقوقِ .  
 انفتحت ذاكرةُ الطير، جناحٌ دافى يُنبِتُ ما  
 بين الخواصِّ الخمسِ، عشٌّ لجُثُومِ الهدأةِ  
 الخالقة الأرضُ وإغراءُ الشقوقِ السنبِلِ،  
 الذاكرة انصَبَّتْ بما تحمل من إرثٍ وليلِ  
 ذَوْبَانِ الخلقِ في الخلقِ انشطارِ الخلقِ

في أعضائه .

أقعت وأقعى

عَيْثَا يَلْتَقِطَانِ الْكَهْرْمَانَ

اشْتَبَكَ الْمَاءُ بِلَحْمِ الْأَرْضِ فِي

عَشْرِ لُغَاتِ حَيَّةِ الْعُنَابِ

قَمْحٌ تَنْطَوِي أَعْوَادُهُ الْهَشَّةُ، قَشٌّ، وَبَشَاشَاتُ

تَكْسَرْنَ، وَعَرْشًا يُنْسَحُ الْهَيْشُ،

اشْرَأَبْتُ بِهِجَةً الْجَوْقَةَ بِالْعَشْبِ

الْأَنَاشِيدُ تَنَاوَشْنَ

السَّمَاءُ اتَّسَعَتْ

وَالْأَنْجَمُ أَزْدَانَتْ بِمَا يَرْسُمُهُ الْكَحْلُ عَلَيْهَا

ازْدَهَرَتْ عَلَيَّ قَةُ الْقَبْلَةِ،

صَلَّالٌ - لَهُ النِّعْمَةُ وَالْمَجْدُ - ارْتَوَى،

تحت اللسان احتشد الطيرُ وكعكُ الأقرباءِ  
السُّكَّرُ الذائبُ في ماء الشعيرِ ،  
احتشدتُ في نكهةُ الحلم حروفُ المدِّ والقصرِ  
وصلصالٌ - له النعمةُ والمجدُ - على يابسة  
العرشِ وقوس الأفقِ والماءِ استوى

(يفتحُ جَبَرُوتُ الصخرِ مسالكه  
والحجارةُ تخرُ صَعَقَةً  
فهل لامستَها شفايةُ اكتساءِ العظامِ باللحمِ  
أم تنزلُ الدهشةُ من سمواتها العلى  
في صيحة كالصاعقة المرسلة !!  
الجسدان ينبعان وتتسعُ بهما حدودُ الأرضِ  
ويزحزحُ الأفقُ

حنانٌ كأنه الخوف  
ورحمةٌ كأنها جيوشُ الشجر وخيولُ  
القراية الصاهلة في ذاكرة المسافر .

جسدان هما الأرضُ بما رحبتُ  
وأرضُ هي المسافةُ المقدسةُ بين  
العبارة والعبارة  
إقامةٌ في القول هي السَّقرُ على  
أطوافِ الذاكرة العالقة بجريان النهر  
ودوران الريح  
والمندفعة بين جزر الرغبة القاسية في  
أن يُكتشفَ المكتشف  
وفي الامتلاء بالجرأة المتوهجة على قولٍ

ما قيلَ مجدِّداً  
وضربَ الخيمةِ في متردِّمِ القصيدةِ  
وياديةِ الحداءِ . . )

نَجْمَةُ الصَّبْحِ عَلَى وَشْكِ الطَّلُوعِ / بَيْنَ مَاءَيْنِ ،  
السَّحَابُ الْأَصْهَبُ الْأَشْهَبُ أَقْدَامُ مَنْ  
السَّعْيِ الْهَيُولِيِّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ / خُطْوَةٌ  
هَائِلَةٌ الْوَجْهَةِ  
مَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ  
كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مَاءً ،  
جَسَدُ الْأَرْضِ فَتَوْقُ رُخْوَةٍ يَنْهَمِرُ السَّعْيُ  
الْهَيُولِيُّ عَلَيْهَا بِالسَّحَابِ الْأَشْهَبِ الْأَصْهَبِ ،  
قَطْعَانُ تَوَالِي سِيرَهَا الْمُحْتَشِدَ الذَّائِبَ فِي



غَرِينَهَا الرِّيحُ عَلَى وَجْهِ الْمِاءِ / وَجْهَةٌ هَائِلَةٌ الْخُطْوَةُ :

كَانَتْ رَقِصَةُ الرِّيحِ دُورًا قُلْبًا يَرِيطُ

بَيْنَ الْأَفْقِ وَالطِّينِ ،

فَضَاءَاتُ الرَّمَادِيِّ النَّسِيجِ انْفَسَحَتْ

يَعْبُرُهَا وَهْجُ الْإِضَاءَاتِ ،

أَنَارُ أَفْرَعٍ ؟ !

أَمْ غَابَةٌ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ؟ !

وَهَلْ هَذَا الْفَضَاءُ / سِيرَةٌ لِلشَّجَرِ الْمُقْبِلِ ،

مَرْمَى لِرَشَاقَاتِ النَّبَالِ ، الصَّبِيحَةُ الْمُرْسَلَةُ

الرَّجْعُ وَإِذَانُ بَوَاقِ الْفَتْحِ ؟ ! هَلْ

هَذَا الْفَضَاءُ / قُبَّةُ الرَّحْمَةِ بِالْخَلْقِ أَمْ

الْأُمَةُ قَوْسٌ وَدَمٌ يَنْزِفُ مِنْ

أَجْوَازِهِ مَدَا وَجَزْرًا ، شَهَقَةٌ

سوف تكون الشهداءُ

أمةٌ مستورةٌ هذا الفضاءُ القبةُ ؟!

الأرضُ الخلاءُ / خطوةٌ في الفلكِ

الدائرِ والنارُ المواقيتُ ؟!

كلامٌ تحته تَدَّأوبُ الأُنجمُ والشمسُ

وأمداءُ الجلاميدِ ولا يحمله غيرُ القصيدةِ ؟

رجلٌ، وامرأةٌ تفتح في الطُّوقِ هلالَ الوجعِ

الأخضر، في عُرْوَةِ ثوبَيْها الشفيفين الرضا عارِ

بَخُورِ اللبنِ الحيِّ حفيفِ المِخْمَلِ الناعمِ بالإرثِ

وبالوارثِ

تمشي خضرةٌ مثقلةُ الخطوةِ بالوقتِ وتَنأى

وهو يمشي مثقلُ الوقتِ بفوضىِ الاحتمالاتِ

اشتباك الموت بالقافية الصعبة والماء  
وينأى

والمدى بينهما متسع الفقر اكتمالاتُ التواريخ

المدى أسئلةُ الأهل الذين ابتدءوا

ثم انتهوا كي يبدءوا

هل أحدٌ يعرفهم فيه وهل من أحدٍ يعرفه فيهم

وهل من أحدٍ يسمع ماءً نازلاً في

طبقات الذاكرة

ليس ماءً كلُّ شيء

كلُّ شيءٍ نبيحُ ماءً ..

١٩٧٧/١٠/١٤

## أَوَّلُ الْحَلَمِ آخِرُ الْحَلَمِ

زُرْقَةُ الشَّمْسِ، احْمِرَارُ الْأَفْقِ الْأَخْضَرِ، بَحْرُ

مِنْ زَجَاجِ اللَّيْلِ

- : مِنْ أَنْتَ، وَمَاذَا يَكْتُبُ الْبَرْقُ عَلَى

وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ! ! انتظر.

حَجَرٌ يَفْتَحُ بَيْتًا وَدَمٌ تَأْخُذُهُ الرُّعْدَةُ

أَهْدَابِي عَلَيْهَا مِنْ رَمَادِ الْمَطَرِ الْغَامِضِ

نُلْجُ مِنْ يَدَيِ اسَاقَطَ.

- : هَلْ يَزْحَزِحُ الْأَفْقُ إِذَا أَنْطَقَتِ الرُّعْدَةُ

أَحْجَارَكَ، هَلْ مِنْ قَدَمِيكَ امْتَدَّ نَسْلٌ وَسَيْلٌ؟ !

حَجَرٌ يُصْنِي.

وَفِي الصَّمْتِ الثَّقِيلِ

يكتب البرقُ على هام النخيلُ.

حجرٌ يُصغي . .

وريحٌ صرَّ صرَّ تَقْلُبُ جفنَ الأفقِ،

هذي صرَّةُ الأسماءِ ملأى باستبائك

الشَّبَقِ الخالقِ بالموتِ،

صريرُ الدَّبَقِ الدافئِ يعلو،

غَلَيَانٌ طالعٌ

تُنعقدُ الغيمةُ.

بحرٌ من زجاجِ الليلِ ينشقُّ وبابُ السفرِ

الصعبِ النبيلِ

تفتحُ الرعدةُ مصراعيه

- : ثلجٌ أم دمٌ يغلي !!

انتظرُ

شهقةً للموت تعلو أم صهيل

أم هما ضربةُ برقٍ طائرٍ !!

فلتستظر.

(يَمرُجُ ماءُ الظلمةِ الحي

فما سؤالكُ عن ثلجِ الجَمَدِ وأنتَ مقيمٌ

في عرشِ الجَمرةِ الحَيَّةِ،

وما سؤالكُ عن النارِ وأنتَ يَقْظانُ

النومِ في إجاباتِ الجَمَدِ !!

وأوقفني،

أقرّاني أني أجمعُ بينهما والخروجَ منهما

ثم أقرّاني أني علمُ أسئلةِ النومِ .)

حجرٌ يسكنه البحرُ وبحرٌ من زجاج الليل

كانا يُصغيان

.. : هل بلادُ هذه الخطوةُ في البحر ، كتابٌ

هذه الريحُ ، الحجرُ /

أمةٌ من أم الماء الذي يمرُّ في القاعِ !!

انتظرُ.

حمأ رخوٌ ودفءٌ يابسٌ هذا الغراءُ اللَّزجُ السائلُ

كالدهنِ المخاطيِّ وهذا العفنُ المزهرُ لحمٌ ناغلٌ

رجرجةُ الدفءِ الظلاميِّ أنزلاقٌ مرعبٌ المسِّ

ملاساتٌ صديدٍ رغوةٌ معتمَةٌ في جنةٍ تحت

جحيمِ الشمسِ هذي غابةٌ من عطنِ الجيفة لحمٌ

زنخُ الزُّهْمَةِ هل هذا سِفَادٌ من طقوس الأرض

والبحرِ سفاذٌ في زجاجِ الليلِ إذ يسكنهُ البحرُ !!

انتظرُ،

واقراْ خبوطَ العَلَقِ الدافئِ واسمعُ.

لستُ بالقارئِ، أغفو في كوايسِ الكتاباتِ.

انتظرُ. . واحملُ على كَفِّكَ شمساً للقراءة.

( تغسلُ الشمسُ أقدامها في عينِ حَمِئةٍ

هذا وضوؤها قبل قراءة الفضاءِ والبسيطةِ

والقراءةُ نارها الدائمة . )

حجرٌ يفتح لي بيتَ الفضاءِ

رعدتى تسكنه دفئاً ونجماً لقرى الضيفِ،

دمي يكسرُ أغلالَ الحواسِ الخمسِ

يعطيها خطى العشبِ وقاماتِ الشجرِ



فوق أهْدَابِي الطَوِيلَاتِ رَمَادُ المَطَرِ الغَامِضِ يَحْوِ  
رُؤْيَاً يَكْتُبُ نَهْرًا مِنْ مَرَاثِي الأَرْضِ وَالبَحْرِ،  
صَرَخَ أَخْضَرُ يُطْلَعُ مِنْ قَلْبِي هَدِوَةً رَحْمَةً عَالِيَةً  
يَلْبِسُهَا الطَيْرُ،  
السَّمَوَاتُ تَبَاعِذُنْ نَكْشَفُنْ . الكَلَامُ/  
أَنْتِ مِنْ صُرَّةِ الأَسْمَاءِ وَالأَسْمَاءُ مَلَأَى  
بِاشْتَبَاكِ الشَّبَقِ الخَالِقِ بِالمَوْتِ . الكَلَامُ/  
أَرَأَيْتَ الْفُقَرَاءَ الْمُقْبِلِينَ  
مِنْ دَمِ البَحْرِ وَطُمُثِ العَلَقِ الدَافِي؟ ١٩

واقترَبُ

إنه الطبقاتُ من الورقِ  
الإنحناءُ المفاجئُ في النقشِ .  
مُغْنِمَةٌ ليس تَكَرَّارُها غيرَ أنَّ  
القبائل تزرع أنسابها الملكية  
في الوشم ، أنَّ الذي  
جاءَ يأتي . .

اقترَبُ . .

والتقِ دلائك  
لا تُلقِها بين أيِّ الدلائِ ،  
اقترَبُ سفرًا ، إنها  
الطبقاتُ من الورقِ  
انكسرَ النقشُ منتشرًا  
في فضاءِ اكتمالائه .

فاسجدُ

ترابُ الينابيع يحمل  
تاريخها وصليل مجازاتها ،  
مُدُنٌ تركتُ صوتها وهي  
تُولدُ ، والريحُ كانت قِماطَ  
البدايةِ رفرفةِ الحلم في  
راية الكلمات المضيئة ،  
يحملُ ما تركته استعاراتها  
فسحةً لاندھاش القراءات  
والفتحِ مملوءةً بالقباب  
البريدِ المسافرِ . .  
فاسجدُ

لوجهك غربةُ هذا الترابِ ،  
 لعينيك برقُ البساتين في  
 آخر الأفق والأرضِ .  
 هل أمةٌ تتنفس ما بين  
 وجهك والأرضِ ؟ !  
 هذا ترابُ الينابيع . .  
 هذا سهيلُ مجازاته  
 مدنٌ تفتحُ فيها القراءاتُ  
 تعلو السمواتُ  
 بيتُ الفضاءِ انفساحُ القراءةِ  
 للشمس والشمسُ تكتب  
 وقتاً وتمحو وتثبتُ

طبقاتُ من الورق  
 انكسرتُ والعيونُ تفتَّحُ ،  
 ألقى دلاءك بين الدلاءِ ،  
 اغتسلُ ، لم يحاصركَ غيرُكُ ،  
 فاخرجُ عليهم لتدخل أحلامهم  
 فالقبائلُ وقتُك .  
 هذي هي الطبقاتُ من  
 الورقِ انكسرتُ والعيونُ  
 تفجَّرُنْ تحت قراءةِ قلبك .

تهوي وتعلو المدائنُ ما      وقتٌ هو السَّلمُ الدائريُّ  
 بين وقتٍ ووقتٍ      المربطُ بين الكلام  
 وتهوي وتعلو .      وبين الكلام الخطي يَتَفَتَّحْنَ ،  
    قل ،  
    واقترب .  
    لوجهك هذا الترابُ  
    المباغتُ .  
    ما بين وجهك والأرضِ  
    حلمٌ لوجهك والأرضِ  
    فاسجدُ  
 هل تراهم يسجدون الآن في رقصة عشق دموي ؟  
 إنهم يقتربون  
 فاقراً الماء انتماء الشجر الأخضر للفقير الصريح  
 وانتسب للشجر الأخضر والفقير الصريح  
 إنهم يقتربون الآن . . .  
 فاسجد واقترب . .

١٩٧٧/٥/٧

# فاصلة إيقاعات النمل



## تعاشيق

شمسٌ تميلُ،

وسرب الطير منقرطٌ ومنعقدُ،

والقمحُ من ذهبِ الأضواءِ يتقدُّ

يأيها الولدُ

في عنكبوتِ الشمسِ - رآدٌ ضحى -

عيناك من قَبَسِ القلبِ يُنْقِذُ

فاتركِ لنخلتكِ الفرعاء ما تجدُ

من خُضرةٍ معجونةٍ بالطلعِ لا تلدُ

أو غيمةٍ قد بددَ الزجاجُ غُرَّتَها

ما بين أقواسِ الزجاجِ الصلبِ لا ماءٌ ولا زبدُ

والعشبُ بعضُ سوافٍ من دُرُورِ اللونِ ينثرُها

عصفٌ وأزمنةٌ،

والوجهُ مشتعلٌ، والطينُ لا يعدُّ

والخيلُ صافنةُ الأشكالِ ضائعةٌ،

والدراcon هباءُ الذرِّ،



لا رَمَحٌ وَلَا زَرْدٌ  
 اخْلَعْ خَطَاكَ . . فهذي لوحَةٌ تعشيقُها جَمَدٌ  
 خمسونَ من زَنُكٍ وقَصْدِيرِ  
 أمِ العمرِ الذي وَلَّى  
 أمِ البَدَدُ !!  
 خمسونَ أمِ سَعَفٍ يَدْوِي  
 أمِ الجَسَدُ  
 أمِ رَمَّةٍ بالشَّيْبِ ترتعدُ !!  
 اهبطْ شظايا صرخة شُطْبِ  
 واخطفْ فتاتَكَ من بين الشخوصِ  
 ولا تَحُلْ جَدِيلَتَهَا . .  
 حنّاؤها الرّصدُ  
 والسحرُ نفثٌ من يد الزّجاجِ طُلُسمه  
 في نقطة من عنبرِ  
 -والفنُّ أَرَجَها-

فاحلّل بعشقتك ما بالسحر ينعقدُ  
واركض بها في الأرض، أضرم في خرائبها  
الأشعار، وأكبر،  
وابلغا الخمسين في عشيقته  
زجاجها خمسونك الأبد..

١٩٩١/٢/١١

## اصطلاح التشيد

رشفةٌ من قهوةِ الفجرِ ،  
ورمحٌ من ضرامِ البرقِ في مرشَفِ فنجانِ ،  
وجمرٌ زفرةٌ تخبو يُغَطِّيها الرمادُ  
غفوةٌ بارقةٌ الخطُفةُ ترمي الرأسَ بين الكتفين .

رشفةٌ أخرى . .  
ووجهُ الفجرِ ينحلُّ :  
غرابٌ من دخانِ الكحلِ يعلو  
ثم يهوي من مدى الشرقِ إلى الغربِ ،  
بأطرافِ جناحيه الدمُ الساطعُ  
والنارُ وعهنُ الذهبِ المصفورِ بالزرقةِ والفضةِ ،  
مهمازُ صديءٍ وبقايا زردٍ منهدلٍ في صمتهِ ،  
سرجٌ وأوتادٌ ونصلٌ ضائعٌ المقبضِ ،  
جمرٌ زفرةٌ تخبو يغطيها الرمادُ .

رشفةُ أخرى . .

وريقُ البنِّ منسوجٌ بأنفاسِ أبي

المدلجِ في النومِ الأخيرِ

وهو في إشراقِ الحيرة . .

ألقى جسدَ السعي،

ارتختُ أعضاؤه فوق سريرِ السَّنطِ والجُمَيْرِ،

ألقى من يدين ارتختا مفتاحَ أهراءِ من

الرغبة والخوف، التوتَ في قدميه سبلُ الوحشة

والركضِ المدمى، ارتعشتُ في ركبتيه سكرةُ النزغِ

وأهواءُ دمٍ يخبو وطينٌ يُستعادُ.

آه من آخر ما يرْجُفُ في الروح من العشق،

اغتسالِ النصل ما بين لحاءِ الشجر الرطْبِ،

أنينِ البلطة الصلبِ بأصلاّبِ الجدوعِ،

الشهقة الأولى،

ووجهِ امرأةٍ يفتح في القلب مغاليقَ البلادِ !!

(أشدُّ على مهرة النشيد سرج المطالع

والافتتاحيات :

غَزَلٌ هو القطيفةُ والحريرُ المنمنمُ وَوَشْيٌ  
الدرهمُ الذهبيُّ وورودُ الصباحاتِ الساطعة .  
صيدٌ وطرادٌ للغزالات والنسورِ هما ليونةُ  
العراكِ الشبقيِّ مع الأوزان وقوافي  
الطبولِ البعيدة .

وإحكامُ المجاز والفاصلة

وإتمامُ النعمة بالحكمة وسيار المثل .

مراثٍ هي زحامُ الآفاق بمواكبِ الدم وبطائحِ  
الشهداء ودائرِ الثارات المؤرَّثة

بكاءُ أطلالٍ هو وشمُ الدمع على هول  
التدوير وانفراط المكان المنشور

مدائحُ نساجين لم يتركوا خيطاً من الغيم  
والأفلاك وعروق السلاطات والمصائر إلا

نسجوه في مُخَرَّمَاتِ الغامضِ المنكشفِ  
وسجَّاداتِ الحمى والحمية .  
أهاجِ كطعم السمِّ . . مُرٌّ صدورها  
وأعجازُها الخُطبانِ بين الغلاصمِ . )

مهرةٌ من قَصَبِ النياتِ والحلمِ ،  
وغيمٌ أشعلتْ أطرافه هالةُ شمسٍ من  
وراء الأفقِ  
والريحُ عزيفٌ فائرٌ من طينة الكونِ ،  
الرباباتُ امتدادُ الرملِ . .

تعلو هالةُ الشمسِ فتعلو في الرباباتِ  
مواويلُ المغنينِ القدامى  
وأبى يلتفُ بالكتانِ بعد الغُسلِ والطَّيبِ وحناءِ الحُنوطِ ،  
الجوقةُ اصطفتْ . . وللمهرةِ ترجيع الصهيلِ  
أيها الشعر الذي يَقْطُرُ بالطلِّ وبالدمعِ . . تَهَيَّأ

أيها الشاعرُ في الموتِ الجليلِ  
 شدَّ أوتاركَ وانفخَ دَمَكَ الملهمَ في الناي،  
 اتَّقَدْ، واعصفْ بأبواقك عصفِ الماءِ في الطوفانِ،  
 جَلَجَلْ بسلاّاتِ قوافٍ من رميمِ الأهلِ،  
 ها أهْلُكَ في الموتِ يَخْبُونُ،  
 أبوكَ انكشفتْ عن نومه أقمطَةُ الفجرِ  
 وعن خطوته البوابةُ انشَفَّتْ،  
 وللخطوةِ إيقاعُ الطبولِ

آه ياوجه أبي الميت !!  
 هذي مهرةٌ صافنةُ الإنشادِ في الغيبِ . .  
 فلا تَعْلِكُ إلا صَبْوةَ الشعرِ ومصْفودَ الغناءِ  
 قمْ إلى صهوتها وابدأ غيابك  
 ياأبي . . والبسْ على أكفانك الخضرَ حديدَ  
 الزَّرْدِ الذاهلِ والبسْ  
 شَكَّةَ الصيدِ الإلهيِّ



اتكى في لحظة الدفن على رمحك واخرج  
بين صفين من الموتى ويعثر من هدايا عرسك  
الفضة والكعك  
اضطجع في سرج أعراسك واسمع  
من تلاقين الصهيل

أه يا وجه أبي الميت !!  
صبح في احتفاليات موت كلما انقضت أعيدت  
مسرّداً حياً؟ أم «الضربة»  
امتدت فجميز وسنط يستعيدان الفصول  
فهما من خشب اللحظة إغوال مواويل يطول؟  
أم هما من رجفة القافية المفتحة الهائم في قول  
الدهول؟!

كان وجه الفجر ينحل ويدأوب في هالة شمس أو شكت  
وارقضى معراج شرارات

وكانت مهرةُ الإنشادِ تعلو  
وأبي يعلو على صهوتها  
ظَلَّيْنِ فِي مَسْرَى فضاءِ الروحِ  
كانتُ نجمةُ الصبحِ على وشكِ الأفولِ  
وأنا من خطفةِ الرؤيةِ والرؤيا تَلَقَّفتُ حصيَ  
الروحِ وَقَلَّبْتُ دمي  
زفرةً وجدِ جمرَةٍ تخبو  
يغطيها الرمادُ . .

رملة الأنجب

١٩٩١/١٠/٣١

# تَحَاَلُات

خالٌ على الخدِّ مكحولٌ، بومضٍ شطايا الروحِ يَنْتَفِضُ  
نَجْمًا بأفقِ دمٍ صَحْوٍ  
يُرَاعِفُهُ عَشْقٌ سَحَابُهُ  
- بين التذكر والنسيان -

تفتح ماءَ العمر من لَجَجِ الإيقاعِ،  
تحت وجيبِ القلبِ تَنْقَبِضُ  
والموجُ عينُ فلاةٍ رَقَرَّتْ ظمأً،  
والبيدُ بين ضلوعي سببُ  
بسرَّابِ الرِّيِّ تُتَبَضُّ  
ما قُبلةٌ نَطَقَتْ إلا بجمرةٍ وجدٍ،  
ليس من ظُلُلٍ تحت الضفائرِ إلا لَفْحَةٌ  
بشواظِ الشعرِ تُرْتَمَضُ  
بين الجوارحِ والعُرَى المقدسِ .

هل هذا الرخامُ دمٌ تغلى هواجسهُ  
أم هذه دَمَنٌ تَلَّتْ تحت يدِ النحاتِ في حُرْقِ التكوينِ

أَمْ مَدَنُ أَخَفْتُ سَلَابَ مَوْتَاهَا إِلَى زَمَنِ  
 مَرْمُوزِهِ الْجَسَدُ الْعَرِيَانُ  
 أَمْ نَدَمُ تَعْوِي خَوَالِجُ عَارٍ فِي نَعُومَتِهِ  
 أَمْ رَعْدَةُ بَاجِنُونَ الْكَشْفِ وَالشَّبَقِ الْمَوْتُورِ  
 عَاصِفَةٌ تَرْنُو وَتَغْتَمِضُ !!

كَانَتْ بِمَشْتَبَكِ الْأَنْفَاسِ حَمَامَةٌ،  
 كَانَتْ غَزَالَةُ شَكٍّ فَاتِنٌ وَمَضَتْ بَيْنَ  
 الْخُرَائِبِ تَخْفَى ثُمَّ تَعْتَرِضُ  
 قَدْ أَثْلَعَتْ وَرَمَتْ وَهَمَ الْخَبَالِ بِصِيَادِ الظُّنُونِ  
 فَلَا يَنْسَلُ مِنْ شَرِّكَ إِلَّا إِلَى شَرِّكَ :

شَمْسٌ تَبْعَثُ وَمَضَى الْكَحْلُ أَمْ دِيمٌ تَقْتَرُ فِي  
 صَخْبِ الْإِيْقَاعِ أَمْ زَهْرٌ يَكْتُمُ فِي  
 عَنَبِ النَّهْدَيْنِ أَمْ جَسَدٌ هَذَا الْمَتَاهَةُ !!

كان السرُّ مُخْتَلَاً يَلْتَمُّ فِي عُقَدِ الْأَهْوَاءِ نَسِجَ دَمٍ  
 بِاللَّمْسِ يُنْتَقِضُ  
 وَالْخَلْقُ - أَوَّلَ خَفَقِ الطِّينِ فِي ظُلَمِ التَّكْوِينِ - مُرْتَجِعٌ  
 يَنْقُدُّ مِنْ فَلَدِ الْأَشْعَارِ قَافِيَةً مِنْ بَعْدِ قَافِيَةٍ حَتَّى  
 امْتَلَأَ ظِلَامُ الْغَمْرِ بِالنَّظَرِ الْمَحْضِ الْمَحْدَقِ فِي  
 مَحْضِ الْقَصِيدَةِ .

كَانَ الصَّوْفُ وَالزَّعْبُ الْمَكْنُونُ ذَارِيَةً تَذُرُو  
 - مِنَ الشَّبَقِ الْمَوْتُورِ -

وَقَدْ دَمَ يَنْحَلُّ مَحْضُ رُغَاءٍ مِنْ حَنِينِ لَبُونٍ  
 فِي مَدَى الظَّمَا الْوَحْشِيِّ تَرْتَكِضُ  
 وَالْإِثْمُ أَنْتَثَرَتْ بَيْنَ الْجَفُونِ مَرَايَا فَحْمِهِ  
 أَفْقًا يَمْتَدُّ فَوْقَ شَطَايَا قَبْلَةٍ رَوِيَتْ  
 فَانْحَلَّ مِنْ عَسَلِ الْأَهْوَاءِ فَيَضُ رُؤْيٍ  
 تَهْوِيلُهَا بِمِرَاقِي الرُّوحِ قَافِلَةٌ

- بعد الفتوح وبعد الحج - ضائعة بين  
المفاوز تعلو ثم تنخفض  
حتى إذا اتسعت بالرمل ذاكرة الفوضى وهب  
رفات الأهل وانتشرت نؤي المضارب  
والتم الشتات رعاة يشحدون ردينياتهم غضباً -  
أهوى الكئيب على الكفين رجرجة  
واستوفز العنب المنسوس في الشفة الظمأى  
وفاح عرار الرقيق  
والتمعت بين السبابس أسراب الأطباء .  
وكان السرُّ مختلاً في شهقة المطر الكوني يتفص .

القاهرة

١٩٩٢/١/٢٦





اكتُمِلْ ذَبِيحًا

كَسَفُ الظلمة والعصفُ كتابٌ من دم الشاهد  
إِذْ تَسْفِي به الريحُ وتعلو في سماء القول  
والصرخة قبل الأبجدياتِ ،  
وتذرو شجرَ الأقلام بين الأبحر السبعة من  
حبر الظلامِ  
هكذا مرَّتْجَعُ الطين إلى مقدوره قبل الكلامِ  
هكذا مرتجع الحرف إلى ظلمته الأولى  
فلا الشاهد يُسْتَبْقَى ولا يَبْقَى شهيدٌ ،  
كان ما كان احتمالاً ، لم يكن إلا ظلامٌ صَبُوءٌ ،  
كانت بغايا القول في الأسواقِ ،  
فاستبدل قراءاتك في ذاكرة المحو ،  
استمع - يا أيها الراوي - إلى  
زلزلة الرجيع وتأويل الكلام :

-١-

وقف الشاهدُ في أبهة السوق وحيداً،  
 كان طفلاً فرَّ من قافلة البدو التي تضرب في  
 ذاكرة الرمل المفقَّى وأنبجاس الدم والثَّار وفوضى  
 الرَّجَزِ الهائم في هَيْئَةِ اللهجة والخوف،  
 وحيداً كان في أبهة الخنل وطقس الحلفِ الكاذب

مايين

خئون يعرض الصيدَ ولصٍّ يشتري بالرعب،  
 شحاذون في الساحة، أضواء دُمٍ من سالف القتل،  
 سبايا، جوهرٌ من أعين الموتى، عظامٌ بَلَّيتْ في  
 قبضة النخاس، هَرْجٌ، ودخانٌ قَسْطَلَانِيٌّ على  
 صفحته يشتبك البرقُ وتهوي كسفُ الظلمة  
 والعصف، ومداحون يَحْثُونُ على وَقْعِ الدفوفِ  
 حاصباً من مَرَثِيَاتِ المَدَنِ المخلوعةِ الأبوابِ والمرمرِ،

طيرٌ من شظايا الجمر والفولاذ يَهْوِي من تعايشق  
السقوفُ

ينزوي الشاهدُ ما بين فتوق الرجز المضغّة (هل  
مُسْتَفْعِلُنْ

كامنةٌ بين قلبِ الروح والآفاق أم يكمنُ  
في مستفعلن ماءُ السلاّات ومجدُ الفتح -  
والوقتُ فضاءٌ دامسٌ بين جحيمين :  
رفات الأهل - صيد الغرباءُ  
للقطا والنوّقِ والآرامِ !!)

قلْبُ أيها الشاهدُ عينيكَ :  
بهذا الصيدِ من قايضَ مَنْ !!  
لا ذهبُ التجارِ أو قِيءُ المرايين ولا  
سحرُ الأرقاءِ بفيضِ الخرز اللامع يكفي ثمنًا  
يَعْدِلُ تسبيحَ القطا . .

للخيـل والطير وللنوق مَراحٌ واسعٌ في سجعِ كهانك  
 أو في الرجزِ البازغِ والنَّفثِ الهَيوليِّ بترجيـعِ الحُداءِ  
 أنتَ في ظلمةِ عَمَرٍ مُستعادٍ، فابتدئْ، قد أذِفَ الشـعرُ،  
 وأرجعْ بصرَ الحيرةِ ما بينَ الجحيمينِ،  
 وأطلقْ فزعَ الصرخةِ من وشمِ بلادِ ورمادٍ  
 يَتَّبِعُكَ الصيـدُ من طيرٍ ووحشٍ وقوافٍ،  
 هَيِّجِ المعجـمَ وارصُدْ وترصدْ مُرسَلِ الغيمةِ والقطرِ،  
 دَياميمُ العراءِ  
 جسدُ منكنمِ الصبوةِ، قاعُ حَقِّهِ من غُلـمةِ الخلقِ أراكُ  
 وغضاً يَلْتَفُّ بالأعشابِ والسِّدْرِ، غُرُودُ نَاهِدٍ،  
 أنصبابُ صخرٍ ونتوءاتُ دَمٍ من حـجرِ الشهوةِ،  
 هذا شبقُ الكونِ تَعَرَّى، فاحدُ قطعانِ اشتـهائِـاتِكِ  
 واخرجْ من فتوقِ الرجزِ العُفـلِ،  
 وخذْ من إرثِكِ الدائرِ قَتْلَ اللـيفِ واعقُدْ  
 من حبالِـاتِكِ أشراكَ الغواياتِ وثَبِّتْ وتدَ

الخيمة ، وافتح للصبا باب النشيد

واستمع :

أيُّكُما الشاهد، من كان الشهيد !

هل تُرى كنتَ وحيداً أم دمُ الأسلاف معقودٌ على

نُظفته في عُقدة الليف

وهل كان الغناء

أمةٌ سيقَّتْ أمام العصف حتى احتشَدَتْ في صرخة

المشهد؟!

أم أنتَ احتملائيكَ :

موقوتٌ وبدءٌ خالدُ الرهبة !

أم أنتَ اكتملائيكَ :

في الرمل وجودُ الرمل . .

صِرْفٌ من صريح الفقر لا يُشرى ولا يُبتاعُ ،

ساف . . ليس تستعبده في بددَ الريح يدُ الرغبة ،

دَوَامٌ عَصُوفٌ . . حرَّةٌ حباته بين المدارات ،

جميعٌ مكتفٍ، فردٌ ذرُوريٌّ، قديمٌ قدمُ الدهرِ،  
 ومن أحواله يَنجدلُ الفجرُ الجديدُ!!  
 فابتعدْ- لا هرباً في كذبِ الظنِّ-  
 انقطعْ.. أضعفَ ما كنتَ وأضوى بدؤُكَ  
 المكتملُ الخطوة واللّهجة،  
 أقوى ما يكونُ القتلُ والقاتلُ عوداً أبديُّ  
 لاشتِهاء الأرض- ما بين المحيطين  
 وبحر الروم- للمذبحة البكرِ،  
 وقَلْبُ- أيها الشاهدُ- عينيكَ، وزَحْزَحِ لغةَ الرملِ  
 وثَبَّتْ وتدَ الخيمة في رملِ الكلامِ..

كَفَّ ظِلٌّ كَانَتْ النخلةُ،  
 مَوْمَةٌ سَرَابٌ فِي أَبِيضَاضِ الشَّمْسِ،  
 رَحْلٌ، وَرَحَى تَسْتَفُّ وَحْشَ الظَّمَا المنْقُضِ بِالطَّيْرِ،  
 جَرَادٌ مِنْ شَطَايَا الذَّهَبِ الشَّفَافِ،  
 هَا أَنْتَ، وَهَذَا حُلْمٌ يَسْتَرْجِعُ الْمَوْتَى  
 أَمْ الْمَوْتَى حَصَى مِنْ حَسْرَةِ الظَّنِّ وَحَشْدٌ سَيَقُومُ؟  
 كَيْفَ وَالْأَهْلُ غِبَارٌ لَمْ يَكُنْ - لَمَلَمْتُ مِنْ  
 شَاهِدَةِ الْمَقْبَرَةِ الْكُبْرَى خُطُوطَ الْمَرَمَرِ الْمَغْسُولِ بِالدَّمْعِ  
 وَأَسْمَاءَ بُجُوعٍ وَقَرَى؟  
 أَمْ أَنْتَ فِي سَاحَةِ غَيْبٍ ذَاهِلٍ بِالْقَيْظِ تَسْتَقْبِلُ تَجَارَ  
 الْأَقَالِيمِ:  
 قَبَاطِيٌّ، حَرِيرُ الْمَوْصِلِ، التَّفَاحُ وَالْفَلْفَلُ، أَجْنَسُ  
 جَوَارِ،



ميرةٌ من كل زوجين ، سلاحٌ مرهفٌ ،  
فيضُ كتاباتٍ على الكاغدِ والرقِّ . .  
مقامُ الظلِّ في الخيمةِ هذا أم غواياتُ التخومِ  
برقتُ في خطفةِ الحلم بما كانَ  
أم الخيمةُ ميثاقُ دمٍ محتشدِ الصبوةِ  
منذورٍ لما سوف يدومُ ؟ !

- ٣ -

كائنٌ هذا الذي تنظرُ؟ أم هذا الذي تُبصرُ في النارِ،

وماءٌ من يقينِ اللمسِ هذي المجرمة؟!

وترابٌ قائمٌ منتظرٌ في زعفرانِ السحرةِ

أم هبوبُ الريحِ في طلعِ الكتاباتِ؟!

أهذا كائنٌ؟!!

فانظرْ - إذنْ - وامسحْ بِشِقِّ الليلِ وجهَ

الفجرِ، أشعلْ في رمادِ الأنجمِ المنكدرِ

شمسَ قطعانِكَ - هلْ غادرتْ من مُتردِّمِ الأهوالِ؟!

واخرجْ للندى والعشبِ،

أضيائكُ في ضخوةِ هذا الصبحِ يأتونَ،

ومنذورٌ لسانُ السطوةِ الفُصحى لثملي خطبةَ العيدِ

فهييْ من ثريدِ الضأنِ وامزجْ لِنِ الناقةِ بالتمرِ المصقَّى،

واملا الرَكوةَ بالجمرِ، اتكى، وانظرْ،

أهَذَا كَائِنٌ أ !

فأفرشُ - إذنُ - أبسطة الرمل  
وقسَّمُ ظلَّ بيتِ الشَّعرِ ساحاتِ :  
هنا يصطفُ كهانُ وعَرَافونُ ،

في ميمنة الظل النبيون وفي ميسرة الحشد مقامُ الشُّهداءِ  
ثمَّ يصطفُ ملوكُ الأرضِ مذُ كانت ومن خلفهمُ  
الحراسُ والحاشيةُ - الحُجَّابُ - أخلاطُ قيان ومغنين  
العييدُ الشعراءُ

خلفك الأهلون من أسلافك الموتى نسيجٌ في فضاء  
الشجرة

أغصنُ في كتب النَّسابة امتدَّتْ شباكًا  
لاصطياد الغيب والأفلاك ،  
فَدَّامَكَ أسلابُ ذوي الشوكَةِ والشُّكَّةِ مُدَّ  
سَالِدٌ دَمٌ فوق أديم الأرض ، قُودٌ ،  
غَطَّاريفُ قِلاعٍ ورباطات ، سلاحٌ ليس يُحصى ،

مَدَدٌ مِنْ سَاقَةٍ ..

هل كائنٌ هذا !!

فَقُمُ فِي مَلَأِ الْحَشْدِ - إِذْنُ - وَابْدَأْ بِلَاغِ الرَّمْلِ مِنْ  
قَلْبِكَ ، أَضْيَافُكَ يَلْتَفُونَ فِي ضَحْوَةِ هَذَا الْيَوْمِ أَسْمَاعًا  
وَأَبْصَارًا ، لَهُمْ مِمَّا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ - بَعْدَ جَلَالِ الْمَوْتِ

هَذِي الْأَوْجُهُ الرُّوَّاعَةُ الْمُنْبَهَرَةُ

فَابْتَدِئْ بِالْقَهْوَةِ الْمَرَّةِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ  
وَلِيَكُنْ إِشْرَاقُ عَيْنِكَ مَدِيحًا رَائِقَ النَّبَرَةِ لِلْأَرْضِ  
الَّتِي كَانَتْ وَلِلْمَوْتِ الَّذِي كَانَ  
وَلِلْخِيْمَةِ وَالْقَفْرِ الْجَلِيلِ

- ٤ -

ها أنا . . لا درع لي إلا الوليمة  
 ليس من مُلك سوى ما خَلَّفَ الرَّحَالَةُ الماضون من  
 آثار خيل وقصاع وثريد حَجَرَتِهِ الرِّيحُ،  
 ما من وجهة - بعدُ - فقد جثتم ضيوفاً  
 والهدايا مُنَجَزُ الماضي الذي ولَّى  
 وما من خطوة إلا الإقامة  
 بينكم

أسمعُ ما يُلقِي الملوِكُ - الوزراءُ - السفراءُ  
 ورجالُ الحرب والتجارُ من كل الأقاليم عن الأرض  
 التي كانت رخاماً لِنَّا تنقشهُ المهرَةُ بالرقصِ  
 وعن أزمنة طالت بها الأذهرُ  
 كانت خطوتي ميزانَ إيقاعاتها، شالُ العمامة  
 ظلَّلَ الأصقاعَ واستنَّسجَ من رَفَّتِهِ الأعلامَ فوق

المدن الكبرى وآخى بين جوف البحر والمحراب ،  
أهدابُ الغمامة  
ريشةُ الله على أروقة الممر ، سرجٌ من سُرَى الليلِ ،  
جوادٌ باذخُ الزينة بالكوفيِّ والنسخيِّ يعدو في  
براح الكتب المخطوطة ،  
الآفاقُ والأرضُ على ميزان ما كنتُ به  
أوصيتُ من عقْدِ نكاحاتِ شعوبِ  
وانصهاراتِ دمٍ في أولِ البهجة بالإنسانِ ،  
كانتُ عقْدَةُ الأمشاجِ تَسْتَفْتَحُ معيارَ الأقاليمِ ،  
أما كنتُ ؟  
وهل هذا الثرى في هدأةِ الوديانِ إلا  
خطوتي في الموتِ أحقابا ،  
وهذي الريحُ في أشرعة البحر سوى نفخة أرغولي ،  
وهذا الصخرُ إلا أعظمي ؟ !

ما أجملَ الأرضَ  
 وأبهى دَمَنَ الروحِ  
 وجَلَّتْ هذه اللحظةُ في  
 مُشَتِّبِكَ الأعرافِ بالبشرى !!  
 لكمُ مجدُ الإغاراتِ وأَسْلابُ التواريخِ . .  
 وَوَحْدِي . . ليس لي درعٌ ولا مجدٌ  
 سوى عُرْيِ الوليمةِ  
 في عَرَاءِ الرملِ والفَصْحَى . . وهل غيرُ العَرَاءِ  
 منبراً في ضَحْوَةِ العيدِ وأَسْماطَ بلاغٍ وثريدٍ !!  
 أضرموا النارَ - إذن - في رَكْوَةِ البهجة . .  
 وَلْيَعْلُ الدُّخَانُ  
 ربما يأوي إلى خيمتي الطيرُ ووحشُ الصحراءِ  
 ربما يلتفتُ السابِلَةُ الموتى إلى موعدنا المضروب في يومِ  
 القيامةِ

وأنا آخرُ حراسِ الرِّباطاتِ على بابِ النشيدِ

أو كُنتُ الآن؟!

فَلْتَشْتَعلِ النيرانُ في مِجْمرةِ الدمعِ - إذن - وليتكلمْ

صاحبُ الحكمةِ أو فصلِ الخطابِ . .



-0-

عند باب الخان أرخيتُ اللِّجامُ  
وتركتُ السَّرجَ، ألقيتُ عن الوجه اللِّثامُ  
قلتُ: فَلْيَعْرِفْنِي... ولأَمْشِ... لا سيفٌ ولا  
رمحٌ ولا دُرَّاعَةٌ من وبرِّ النوقِ،  
وقلتُ: اخطُبْ إلى أيِّ ملكٍ بنته  
تَسْتَكْمِلُ الأَرْبَعَ زِيَّجَاتِ،  
وسُقَّتْ الأهلُ من خلفي قبيلًا فقبيلاً  
ثم قدَّمْتُهُمُو، فاستعرض الأعمامُ والأخوالُ  
ما شاءوا من المحتدِّ والملِكِ .  
.. فَمَنْ تَطْلُبُ؟  
.. صُغْرَاهُنَّ .  
.. فلتَبْقَ زَمَانًا بَيْنَنَا  
فانصرفَ الأهلُ .

وفي الليل أحاطَ الجندُ والأصهارُ بي،  
 شدُّوا إلى أعمدة القصر وثاقي  
 ثم دارَ الطقسُ من حولي، فهم أُنْعَمَةٌ تسقطُ،  
 في كل يد كأسٌ من الرُّبِّ وطاسٌ مُلِئَتْ من عسل  
 الموسِمِ،  
 طافوا، ثم صَبُّوا ما بأيديهم على رأسي وأعضائي،  
 وخلَّوْا بين عينيَّ وبين الشمس حتى لا أنامَ  
 فتَدَاعَتْ حشراتُ الأرضِ:  
 نملٌ مُرْسَلٌ الزَّحَفُ قبيلاً فقيلاً،  
 العِظاءاتُ، طرودُ النحل، جردانٌ، وطيرٌ لَاحِمٌ،  
 أبناء آوى، البوم، دودٌ، عُمِّي حَيَاتٍ، هَوَامٌ  
 أخرجتْ أثقالها الأرضُ فهل من صرخةٍ تُسْمَعُ!!  
 أبصرتُ العظامَ  
 تتعرَّى من فتوق اللحم، تبيضُ قليلاً، ثم تَجَلُّوْها  
 يَدُ الشمسِ فيصنِّفُو عَاجُها، فهي رخامٌ من رخامٍ.

-٦-

أنتَ لَمْ تَسْتَكْمِلِ الْبَيْعَةَ فِي أَوَّلِ مَسْرَاكَ،  
 وَكُنْتَ اسْتَعْجَلْتَكَ الرِّيحُ وَالْغَيْمَةُ بِالْبُشْرَى فَلَمْ  
 تُحْكَمْ مِجَازَ الصَّوْلَجَانِ  
 كَمْ كِتَابًا مِنْ مَتُونِ الرَّمْلِ لَمْ تَقْرَأْ !!  
 فَلَمْ تَسْتَأَلِ الْمَرْحَفَ وَالْمَكْمَنَ وَالْمَجْتَمَ وَالْمَرْبِضَ،  
 لَمْ تَعْقُدْ مَوَاقِفَ الْمَوَاحَاةِ مَعَ الشَّرْخِ أَوْ الشَّدِخِ  
 أَوْ الشَّقِّ أَوْ الْهَوَةِ،  
 لَمْ تَقْرَأْ كِتَابَ الْكُونِ إِلَّا لِمَحَةٍ؟  
 فَاقْعُدْ، أَقِمْ بَيْتَكَ فِي خُطُوتِكَ الْأُولَى وَلَا عِبْ فِي  
 فُضَاءِ الْخَيْمَةِ الْبَثْرِ وَمَا يَرْجُفُ وَالصَّلِّ وَمَا يَزْحَفُ  
 وَالْجُرُزْدِ وَمَا يَكْمُنُ وَالطَّيْرِ وَمَا يَجْتُمُّ وَالْوَحْشِ  
 وَمَا  
 يَرِيضُ وَاقْرَأْ لُغَةَ الْجِنِّ وَمَا يُيْلِسُ وَالْإِنْسِ وَمَا

يَأْنَسُ أَوْ يُؤْنَسُ، واقْرَأْ مَا بِهِ تَنْتَفِضُ الْأَرْضُ  
وَيَعْلُو الْفَيْضَانُ .

أَنْتَ فِي بَيْتِكَ . . فاقْعَدْ مَقْعَدَ الرُّوْيَةِ والرُّوْيَا،  
أَزِجْ فِي رَكْنِكَ الْمُعْتَادَ شَقَّ الْوَبْرِ الْفَوَاحِ بِالْخُثْرِ  
وَالْبَوْلِ وَرَوْتِ الشَّاءِ وَالنُّوقِ،  
اتَكَيْ، هَذَا زِقَاقُ الْمَاءِ، خَبِزْ مِنْ شَعِيرِ الْقَفْرِ،  
مَنْ تَحْتِكَ يَمْتَدُّ ثَقَالُ لِرَحَى الصَّوَّانِ أَوْ لِلدَّرْعِ،  
حَدِّقْ وَاكْتَمِلْ فِي الصَّمْتِ، رَتَّقْ مِنْ سَفِينِ الذَّاكِرَةِ  
- بصريح الحسِّ والرُّوْيَةِ - مَاهَرَّاتِ الْأَجْيَالِ،  
قَدْ كَانَ وَيَبْقَى الْفَيْضُ مِنْ نَبْعِ الْمَكَانِ  
هَكَذَا دِرْعُكَ مَسْرُودُ رَمِيمٍ أُمِّ جَاءَتْ وَرَاحَتْ،  
فَاقْمِ بَيْتَكَ فِي خُطُوتِكَ الْأُولَى  
وَأَعْلَنْ زِينَةَ الْعِيدِ عَلَى ضَحْوَةِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ

-٧-

هكذا - يا أيها السادة - لا أملك من  
 ذاكرة الحرب سوى شَعْشَعَةِ الأنواء :  
 شمسٌ ترسم الوردَةَ في صلصالها الكونى  
 أقواساً وكرمٌ من عناقيد النجوم  
 لألآتُ أسماءَ موتي في التواريخ ،  
 أضاءتُ سككَ الأوبة من كَدَحِ التجاراتِ  
 وإبداعِ الدمِ الراصدِ للبحرِ وأضواءِ المناراتِ  
 وخاناتِ التخومِ  
 قلتُ فَلَا عَصِرَ لَكُمْ من عنبِ الذكرى . .  
 فهل أملكُ إلا أَدَمَ الرِّقِّ وسجَعِ الأقدمين !!  
 هل سوى جلدِ الذبيحة  
 - بعد أن ينصرفَ الجزارُ - زَقاً وخرائطُ  
 للسموات وللأرض !!

إِذْنٌ . . فَلْتَكْتَمِلْ بَعْدَ تَمَامِ الذَّبْحِ . .  
لَا أَوْسَعَ مِنْ جِلْدِ الذَّبِيحَةِ  
لَا وَلَا أَبْلَغَ مِنْ صَمْتِ الذَّبِيحِ

القاهرة - فاس - رملة الأنجب

١٩٩٢/٣/١١

# طردية

بِمُسْتَبَكٍ مِنْ بَدَاهَاتِ دَهْشَتِهِ كَانَ يَطْلُعُ  
 مِنْ طِينِهِ نَيْئًا بِاحْتِشَادِ غَرَائِزِهِ ،  
 عَتَمَةُ اللَّيْلِ كَانَتْ مَشِيمَتَهُ ،  
 بَيْنَ أَسْنَانِهِ هَبْلَةٌ مِنْ دِمَاءِ الْبَهِيمَةِ  
 وَالْفَجْرُ يَدْنُو بِرَقَشِ النَّدَى وَالْغُصُونُ  
 مَشَتْ آيَةُ اللَّيْلِ حَافِيَةً فِي ذَرَى الْمَوْجِ ، وَانْتَثَرَتْ  
 فَوْقَ حَصْبَاءٍ مِنْ صَدْفٍ وَمَحَارٍ وَرَمْلِ بَلَا آخِرٍ ،  
 وَجْهَهُ اخْضَلَّ بِالظُّلُمَاتِ الشَّفِيفَةِ ،  
 بَرْقٌ بَعِيدٌ يَشْقُ الْخَطَى فِي مَتُونِ الْخَلِيقَةِ ،  
 عَيْنَاهُ مِنْ عَشْيَةِ الْحَيَوَانِ مُفْتَحَةً فِي الْعِمَائَاتِ وَالرَّهْبَةِ ،  
 الْبَحْرُ دَمْدَمَةٌ لِلْغَوَايَاتِ مَبْهَمَةٌ ،  
 وَهُوَ يَمْسَحُ دُهْنَ الْفَرِيسَةِ عَنْ شَفَتَيْهِ  
 وَيَرْصُدُ مَا تُرْسِلُ الرِّيحُ مِنْ شَارَةِ الصَّوْتِ وَالصَّيْدِ ،  
 تَمْتَدُّ شَطَّانُ رَمْلِ بَلَا آخِرٍ ، صَدْفٌ وَمَحَارٌ بَلَا عَدَدٍ ،



وعظامُ الهياكل والدَّرَقِ المتعَقِّنِ بين الجماجمِ ،  
 والبحرُ يُلقِي رميمَ أوابدهِ موجةً موجةً  
 كان فجرٌ يرُفِرُ في شُهْبَةِ الغيمِ والأرجوانِ  
 وينقشُ خطوتهِ واتَّساعَ ملامحهِ بالطيورِ الأوابدِ في  
 الأفقِ ،  
 عصفُ غناءٍ وصيحةُ كونٍ يُفَيِّقُ من الظلماتِ إلى  
 أوَّلِ الخوفِ والصرخةِ البِكرِ فاندلعتْ شهوةُ  
 الصيدِ واندفقتْ من بداياتِ دهشتهِ ألفةُ  
 الوحشِ والطيرِ فابتدأ الرُكْضَ عريانَ مستوحداً  
 خلفَ أسرارِها واندفاعاتِ قطعانها ومسابعِها  
 فاستضاءتْ مع الشمسِ صبيحتهُ وخطاهُ ،  
 وشقَّتْ مرآتي الخليقةَ ..  
 أسماؤها انكشفتْ  
 واستباكاتُ إيقاعها انفضحتْ ..

ليس يدري من الصيد ما يشتهي . . أيَّ أحبولةٍ أو فخاخٍ  
وأيَّ الطرائد :

هذي التي تتقلبُ بين  
السموات والأرض . . أمْ مَحْضَ أسمائها  
وأنفلاتِ رشاقاتها !!  
خطوةً . . والصبح يقلبُ كَفِّه بين الندى والغصونِ  
وينشر في بُحْجِ الموج والرمل والملح عُريَ خطاهُ  
الوسيلة . .

كل النفايات مكشوفةٌ فوق رملِ الشواطئ . .  
والبحرُ من أزل الدهر يعلو ويرتدُّ،  
والكائنُ المنتشي بالضجيجِ ورجْرجةِ العُنُقِوان يحدِّقُ:  
هذا الحصانُ من الموج . . أيُّ الفخاخِ تُخاتلهُ  
وهو يعصف فوق الذرى صَبَّاً وصهيلًا!  
وهذا المدى أيُّ رَمَحٍ يشكُّ أَضالعهُ !

والسّمواتُ والشمسُ في أيّ شصٍّ وأيّ  
شباكٍ سترُجفُ نازفةً بين كفيّ!!  
يعلو ضبابُ حوارٍ تفتّحُ بين جدالاته الروحُ،  
ينجرفُ الكونُ من راهنِ الحسِّ حتى  
أقاصي التذكيرِ والحلمِ ..

- ١ -

مرتُ رِيَّاحٌ وهبتُ بِلَادُ وَأَرْوَقَةٌ بُنِيتُ وَهَوَتْ  
والمَدَائِنُ مُصْفُودَةٌ فِي مَقَاوِدِ أَشْكَالِهَا  
وَالْخِرَابُ زَاهِيَةٌ . .

أَنْتِ - يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُنْتَشِي بِالْخِرَابِ وَالذِّكْرِيَّاتِ -  
وَحِيدٌ وَجُمُجُمَةُ الْبَحْرِ قَدْ فَغَرَّتْهَا الرِّيحُ عَلَى  
الرَّمْلِ وَانْتَشَرَتْ طَمَظِمَاتُ الدَّهْوَرِ مُقْتَنَّةٌ

فِي اهْتِرَاءِ الْمَحَارَاتِ  
تَعْقِدُ أَحْبُولَةً مِنْ مَجَازَاتِ فُصْحَاكَ  
تَنْصَبُ أَفْخَاخَ شَعْرِكَ عَلَى الطَّرَائِدِ تَأْتِيكَ طَبِيعَةٌ مِنْ  
فَجَاجِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ انْتِظَارٍ وَصَمْتٍ .  
قَصِيدُكَ مُحْتَدِمٌ فِي حَطَامِ الْمَنَارَاتِ وَالسُّفُنِ  
الْمُتَفَكِّكَةِ ، الْوِزْنُ تَفْعِيلَةٌ مِنْ جَنُونِ الدَّمِ الْمُسْتَبَاحِ  
وَصِلْصَالِ أَشْكَالِهِ مِنْ رُغَامِ الْهَزَائِمِ . .

فاشحذُ أسنَّةَ صميتكَ حتى تمرَّ الطرائدُ  
واقعدْ على مرصدٍ من متون مقدسة يكتبُ  
البرقُ آياتها بالصواعق والنارِ يرسمُها  
سمكاً وهياكلَ أحصنة ووعولٍ  
وأخطابك انتشرتْ والجُذاذاتُ من خشب الروح تقدمُ  
للقرايين والصيدُ منفلتٌ في براح القصيد .

- ٢ -

تأملُ دمي . . أيُّ هذا النشيدُ  
تأملُ حطام الخرابِ المَقْنَى البهيَّ الجديدُ  
ورمِّم قوافيكَ بي وانتظرْ في مداخلِ شيطانك المبهمةِ  
وأمواجك المرسلاتِ  
وذهبْ موازينَ صينك . .  
بحرٌ وشاطئٌ رملٌ تكْدَسُ بينهما جثثٌ وحصادُ شعوبِ  
ومجد قواقعٍ من ذهبٍ  
وصخورٌ مُنْمَشَةٌ بالمعادنِ والعشبِ ،  
جِبرُ المحاراتِ مخضوضٍ يَتَحَلَّزُنُ فيه وجيبُ الدوائرِ  
من ذِكْرٍ وحكاياتِ فوضى ووشوشةِ الغابرينِ  
ولا صيدَ لي - في صباح الخليفة هذا - سوى  
غمغماتِ الدويِّ وثرثرةِ البحرِ . .

أيُّ المحاراتِ مقدورةٌ لاكتمالِ الأحاديثِ في  
 الروحِ،  
 أيُّ المحاراتِ مندورةٌ لافتكاكِ الموارِيثِ من  
 رَصْدِ الصِّمْتِ والصَّمَمِ المتَحَجِّرِ في رَمِ  
 الوارِثِينَ

وأيُّ المحاراتِ مرصودةٌ لذهولِ التفجّعِ والدمعِ،  
 أيُّ المحاراتِ مكنونةٌ تحتِ قشرتها صرخةٌ من  
 خرابِ حَكِيمٍ يجعلُجلُّ أو صرخةٌ من دمٍ يتشَقَّقُ  
 في العشقِ أو صرخةٌ الروحِ في الوجدِ  
 أو صرخةُ المشدِّينِ  
 ويأيهذا القصيدُ القديمُ الجديدُ  
 صباحُ الخليقةِ هذا تَدَاوَلَهُ الجَدَلُ والقتلُ . .  
 أرخيتُهُ للمحاراتِ أنشوطه  
 ومددتُ الشواطئَ أحبولةً

واصطخاب الأواذي نَسَجَ شَبَاكِ  
ومَوَّهَتْ يُين الخرائب أَقْنَعَةً للْفَخَاخِ . .  
فيأيهذا القصيدُ  
كلانا يَخَاتِلُ أَخِيْلَةً . .



- ٢ -

أبنا صيدٌ هذي الظهيرة؟!  
 شمسٌ تُسَنُّ حُرْبَتَهَا فِي الْجَبِينِ  
 وَرَمْلٌ يُجَرِّرُنِي فِي نَدَاءَاتِهِ  
 وَالْمَحَارَاتُ قَيْدَ الْأَصَابِعِ وَالسَّمْعِ،  
 قَلْبُهُنَّ عَلَى مَسْمَعِي:  
 الْمَجَامِعُ مُعْقَوْدَةُ الْحَلَقَاتِ عَلَى حِكْمَةِ  
 الْأَقْدَمِينَ  
 جَدَالَاتُ رَحَالَةٍ وَفَلَاسِفَةٍ،  
 وَعَوِيلُ مَمَالِكٍ تَفْنَى وَهَزَجُ مَمَالِكٍ تَعْلُو بِكُلِّ اللُّغَاتِ،  
 طِينُ الْقِرَاءَاتِ يَنْقُضُ فَاتِحَةً بَعْدَ فَاتِحَةٍ وَالْفَتْوحُ  
 تَصْلُصِلُ مَا بَيْنَ جُغْرَافِيَا النَفْسِ وَالرُّوحِ،  
 عَشَابَةٌ يَبْطَرِيُونَ أَهْلَ مُخَارِقِ سَابِلَةِ الطَّبِّ كِتَابُ  
 أَحْجَبَةٍ وَأَحَاجٍ وَقِرَاءَةُ نُوءٍ وَيَخْتِ وَحْدَاقُ

كيمياء رَصَادَةٍ لِلطَّوَالِعِ مَسَاحَةٌ لِلْحُدُودِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حِرَاسُ أَقْنِيَةِ وَفُصُولِ  
أَرَاغِيزِ أَدْعِيَةٍ وَانْشِقَاقَاتِ رَأْيٍ وَتَرْصِيعِ  
دِيبَاجَةٍ وَهَوَامِشِ عُنْعَنَةٍ وَشُرُوحِ ،  
فَمَا أَنْتَ مَنْ أَنْتَ يَا أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْمَفْتَتُ  
وَشَوْشَةٌ وَكَلَامًا مَخَارِجُهُ تَتَقَطَّعُ بَيْنَ  
الْهَشَاشَاتِ وَالْخُلُفِ ۱۱  
مَنْ أَنْتَ يَا أَيُّهَا الْوَحْشُ ؟ ۱  
لَا صَيْدَ لِي فِي ظَهِيرَةِ هَذَا الْجَنُونِ  
سَوَاكَ . .

- ٤ -

على ظمأ ودم . .  
 وإهابُ الغزالة - زق سقائي - بلا قطرة  
 يتدلَّى على كتفي ،  
 وغورُ هي البئر ،  
 شمسُ أصيلٍ تُفَتَّتُ فخارها الذهبي وتذروه ،  
 أركض حتى أرى نبع ماء ،  
 أمدُّ إهاب الغزالة في خُضرةِ الماء . .  
 أسمع طَفْطَقَةَ العظم  
 والروح ينفخُ أعضاءها ، تستوي جسداً  
 يَتَفَلَّتُ من بين كفى تاركةً نبضها وسخونتها ،  
 غَسَقُ من بعيدٍ وطائرُ برقٍ يخطُّ هوامشه  
 ظمأ ودم والغزالة بارقةٌ تَقْصِفُ بين مسالكِ عشبٍ  
 وقيد الخطلِ غابةٌ وظلامٌ

فيأيهذا القصيد  
لهذي الطريدة مَنْ غيرُ إيقاعِكَ المتَّشي  
ببروق البدايات والوحي ؟!  
فانصبْ فخاخَكَ واشحذْ أسنَّةَ صمْتِكَ  
عَلَّ الطرائدُ تأتيك طيَّعةً  
أيهَذَا القصيد . .

رملة الأنجب - ١

٤/١٥

## دِرْعِيَّةٌ مَدِيح

تركتم دمي سبياً . . فليس يُجِيرُهُ  
 عدوُّ يُدَاجِي أو صديقٌ يَصَاوِلُ  
 وحمٌ قضاء الليل ظلمًا وظلمة  
 وقد حُبِكَتْ دون الفرار المخاتِلُ  
 فبِتُّ على ظنِّ دمائي تَوُجُّهُ  
 وتذروه في الريح البروق الصَّوَاهِلُ  
 يقلبني شك وبأسٌ مخامرٌ  
 وتنحتُ صلصالي الرجومُ الهواطلُ  
 فَتَشْخَصُ هُولَاتٌ من الرعب شُرَّتْ  
 ولُفَّتْ على الأعناق منها الجدائلُ  
 أموت وأحيا لحظةً بعد لحظة  
 وتصرخُ في لحمي الطُّبَا والذَّوَابِلُ  
 أهْيِيْ أكَفْسَانِي وَأَصْرَخْ ذَاهِلًا:  
 شربتَ سرابَ العمر فيما تحاولُ ١١

فكلُّ بلادٍ ترتضيها إقامةُ  
 فجميعتها فيها، ومنها النوازلُ  
 هزائمُ جلادينَ تزهو سجونهم  
 وتعلو على هام العبيد المقاصلُ  
 فأيُّ رثاءٍ يرتضيه مُرَّزاً  
 وأيُّ مديحٍ ترتجيه المزابِلُ ۱۱

نزلنا إلى الأرض التي قام دونها  
 من الثارِ إرزامٌ وهامٌ موائِلُ  
 وآفاقُ أجداثٍ وهولٌ تنظرتُ  
 لوازبَ طينٍ تصطفيه القوابِلُ  
 فيبدأ بدءُ الأرضِ نارَ قيامةٍ  
 زفيفٌ تعاليها البروقُ الجوائِلُ  
 تضيءُ وتعلو ثم تدوي رعوذها  
 وتركضُ في العظمِ الرميمِ الزلازلُ

وَيَسْتَفْتَحُ الْهَرَجَ الشُّورِيَّ نَافِخًا  
 بِبُوقَاتِهِ الشَّعْرُ الْغُويُّ الْمَاعِظُ  
 فَتَعْرِفُ مَا تَبْغِي وَتَنْكَرُ مَا تَرَى  
 وَتَسْعَى عَلَى هَوْلِ السَّرَاطِ الْقَبَائِلُ  
 صَفُوفًا مِنَ الْمَوْتِ يَرْبُّ رَفَاتَهَا  
 وَأَكْفَانَهَا رَجْعٌ مِنَ الْعَصْفِ شَامِلُ  
 فَتَهْوِي أَعَالِيهَا وَتَعْلُو وَهَادُهَا  
 وَيَنْطِقُ مَكْظُومٌ وَتَبْكِي الشَّوَاكِلُ  
 فَشُدَّ بِأَوْتَارِ الْمَدَائِحِ نَغْمَةٌ  
 يَرْتُلُّهَا الدَّمْعُ الْحَرُونَ الْمَنَاضِلُ



## - ١ -

أيا جارتا . .

كنا من الرمل نطفة  
 وقبضة جمر في حديث مُرَجَمٍ  
 ورؤيا سلاّات من الشعر أوقدت  
 بأوتادها الأسباب . . فالأفق مُلَعَبٌ  
 يطير به صقرٌ من الطين والدّم  
 يظلمه بيتٌ من الكون شاسعٌ  
 أليفٌ الذُّرى بالضوء والريح،  
 دافئٌ بمجهوله المجهول،  
 والسرُّ ساطعٌ  
 يخط خوافيه علوٌّ رَمِيَّةٌ من البرق  
 تعلو في بهيمٍ مُرَقَّمٍ  
 ويا جارتا . .

كنا من العشق قبلة  
تطاوَل في راووقها الدهرُ سكرةً وأرضَ  
غواياتٍ ودرعاً مُفاضَةً تَحَدَّرُ  
من جيلٍ لجيلٍ ، أديمُها  
صفائحُ مُسبوكٍ من السعيِ يَتَمَي  
لعرقِ عروقِ الأرضِ من عهدِ آدمٍ  
هي الدرْعُ . .

ليس الكونُ إلا مُنَمَّماً  
من النقشِ والتصويرِ تُرغى رسومُه  
وتُزِيدُ مخضوباً من الوشيِ والصُّوَى :  
طباقُ سَمَواتِ أضْبانٍ كواكباً ، وألْجَمُ أَفلاكِ  
سَرَّينَ ، وقفرةٌ من الأرضِ يعلوها

نجيغُ الملاحِمِ  
تطيرُ شراراتُ السيوفِ تشقُّها  
وتحفِرُ في قلبِ الصعيْدِ المدمِّمِ

فجاءاً لمن يسعى ، وسحراً لمن يرى ،  
 ونبع مياه من صفا الصخر فُجرتُ  
 وسالت مَسِيلَ النارِ والشعر والرؤى  
 ووَقَدَ جنونٍ في غرامٍ مُكْتَمٍ ،  
 ووَدَيَانِ يَخْضُرُ من النَّبْتِ بازِغِ  
 وأضغاثَ أعشابٍ وألفافٍ غَيْضَةٍ  
 وقطعانَ رعيانٍ ونقعٍ تَكْشَفَتْ غَوَارِيهَ عن  
 هجرةٍ بعد هجرةٍ . . فأخلطُ أعراقِ  
 وأمشاجُ نطفةٍ  
 وهُجْنَةٌ أو شَابٍ وجوهرُ رؤيةٍ  
 تُفْتَحُ في ليلِ الكلامِ المَجْمَعِ  
 أوائلَ أشكالِ الحروفِ . .  
 فهل سَرَّتْ وعولُ مساميرِ الكتابةِ ،  
 غَرَبَتْ ، وشرَّقَ من وادي الملوك مُحَقَّرٌ من  
 الطير والحياتِ حتى تلاطمتْ على الدرعِ من

ماء المرایا غمامةٌ ورُقِيَّةٌ ترِياقٍ بكأسٍ مَسَمِّمٍ ؟ !  
 ظمئنا فلم نشرب ؟ ! أم المشهدُ الذي نرى سحرَ  
 فوضاهُ ديبُ قِيامةٍ ؟ !  
 أم الدرْعُ من حَتِّ الدهورِ تقشَّرتْ  
 زخارفُ رؤياها . .

فشفَّ مجازُها بحِيرةٍ مرموزٍ ومرمرٍ هائلٍ  
 من الوحشِ والثيرانِ يُرخي جناحَه ويُقعي على  
 بابِ القيامةِ ناظراً إلى الغيبِ والأفلاكِ يُحصي بمقلاةٍ  
 من اللؤلؤِ المكنونِ والشَّذرِ أمةً تَجِيءُ وتمضي  
 بين موتٍ ورجعةٍ ؟ !

أم الدرْعُ مَذْخُورٌ من الموجِ مُقْلَعٌ بِمُسْتَحْصَدِ الراياتِ  
 حرباً وغيلةً

وختلَ خياناتٍ وقَتَلَ حُبالةٍ  
 تُرِيغُ إلى خوفٍ وظنٍّ ومَبْهَمٍ ؟ !

## -٢-

هي الدرعُ . . .

هل شيءٌ سوى الدرعِ شاهدٌ

يشعُّ بوجه الله مجلًى وخلقةٌ

وهل حَلَقُ الفولاذِ إلا مجرَّةٌ وتَدْوِيرُ أَفلاكِ

وترصيعُ أنجمٍ ؟

هي الجوهرُ الأبقى ،

هي العنصرُ الذي تَحَدَّرَ منه الشكلُ

في كل صورة . . فرِفرفَ فوق الغمرِ منها مُقَدَّرُ

من الخلقِ والتكوينِ فالعرشُ قائمٌ ،

يجلجلُ مَتْنُ الروح . .

كلُّ قراءةٍ بلادٌ وتأويلٌ ونارُ كتابةٍ

فيا جارتا . .

هل هذه الدرعُ فكرةٌ تأوَّلها الإبداعُ

من لحمٍ معجمٍ،

أقامتُ بمكنونِ المدائحِ ثأرها وترجييعها المكظومَ في

كل آيةٍ تجلجل في صمتِ الرّواقِ المهذَّمِ؟

متوناً من الفولاذ . . حَفَّتْ شروحها وشَعَّتْ

تقاليبُ النسيجِ المنمنمِ

وذَيْلُهَا من كلِّ عصرٍ مُشَطَّبٌ من الطعنِ وانتهَلَتْ جراحُ

قديمةٌ تجددُها في كلِّ رَهْجٍ بلاغةٌ هي الزحفُ

والإدبارُ والبعثُ والبلى وخَصَفٌ أضاليلُ

وكشفٌ مغَيَّبٌ من العارِ، والموتى فراراً ورهبةً،

وجرحٌ شهيدٌ لا يجفُّ، وصرخةٌ من النقشِ

تعلو في خرابٍ مُحوَّمٍ

فيصحو من الزَّجَفَرِ يَنْبِوعُ خَضِرَةٍ من العشب والنَّوَارِ  
 يسرحُ نَحْلُهَا، ويسرحُ عِشَابُونَ أَهْلُ كَهَانَةٍ  
 وطَبَّ وَأَسْرَارٍ وسحرُ كِتَابَةٍ يطيرُ بها الجِعْرَانُ  
 والصلُّ يَلْتَوِي مُدْنَبٌ مَرْجُومٌ من الجنِّ،  
 مَارِدٌ من الإنس يشوي الخوتَ في عين كوكبٍ  
 بعيدٍ ويرعى الخيلَ في حَرْجٍ ظِلْمَةٍ  
 ويشحذُ نصلَ السيفِ فوق مُسْنَنٍ من البرقِ  
 والأنواءِ يَلْقُطُ جَمْرَةً يَثْقُبُ مِزْمَارَ الْفِضَاءِ الْمُقْسَمِ  
 على سلمِ الأنعامِ في الكونِ دَائِبًا تَشْدُ  
 رِياضِيَّاتُ أَدْوَارِ رَفْصِهِ  
 بِنَاءَ سَمَوَاتٍ وَكَرَّةَ مَغْزَلٍ وَرَعْدَةَ مَكْظُومِ النَشِيدِ بِأَعْظَمِي

ويا جارتا . .

هذي هي الدرْعُ فانسجي  
 مدائحَ فولاذِ مُرْنٍ مِنْغَمٍ . .

-٣-

على الدرع كانت لأمة الحرب ثلّة  
مُعَمَّمةً بالموت صبراً وحسبةً،  
وظلُّ عُنَابٍ تحته الأرضُ لئن من الطين  
مطبوعٌ بصورة غابرٍ  
من السعي :

وراقون تحت مُقرّ نصٍّ من المرمر المكتوبِ،  
خيلٌ تحمّلتْ سفوفَ بهارات  
ومخطوطَ حكمة  
وشرحَ نصوصِ الفتحِ صلحاً وعنوةً،  
وثلةُ صيادين يُخفون خلصةً أمام جيوش الغزو  
أعشاشَ قُبَرٍ ومزْحَفَ حياتٍ  
ومرعى قنافلٍ،



وحاملٌ أختام الملوك مُقلَّبٌ بكفيه أسماءُ  
العصور،  
وراجلٌ يقود حصانَ الريح هَوَّجاءَ أو صَبَّاءَ رُخاءَ،  
وحفَّارون في الشكل غامروا إلى مكمن  
الصلصال

حلمًا ونفخةً  
لعلَّ ذراري الروح تصطفُ أمةً  
تغادر مثنى الدرع .

بحرٌ، ونائمٌ من الكَلَلِ الدهريِّ يصحو لغموةٍ  
يُرْجِرْجُهُ بحرٌ من الوجد قُلَّبٌ  
وصبوةٌ مكظوم من المدح  
نافخ بأبواق مدَّاحين  
جَنُّوا بما رأوا .

رملة الأنجب

١٩٩٢/٦/٧



## ثَوْبَةُ رَجُوعٍ

ثَقُلْتُ عَلَىَّ عِبَاءُ الدَّمِ وَالرَّمَادِ  
 وَثَقَّبَ الرَّمْلُ الطَّرِيَّ جُرُوحَ أَوْسَمَتِي  
 بِمَعْجُونِ النِّيَاشِينِ الصَّدِيقَةِ وَالرَّمِيمِ  
 الْهَشِّ مِنْ عَظْمٍ وَفَوْلَاذٍ،  
 وَكَانَتْ فِي فِجَاجِ الرُّوحِ قَافِلَةٌ،  
 وَسَبْعَةُ إِخْوَةٍ مَاتُوا صَغَارًا،  
 وَالتَّمِيمَةُ فَوْقَ صَدْرِي سَبْعَةٌ مِنْ حَبِّ مَا  
 حَصَدَتْ يَدُ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ:  
 جَوْهَرُ حَنْطَةٍ، خَرَزٌ مِنَ الْبَرَسِيمِ،  
 وَالرُّزُّ الْمَقْشَرُّ، كَهْرْمَانُ الْعَدَسِ،  
 بُؤْبُؤُ حَبَّةِ سُودَاءَ، وَالذَّرَّةُ الرَّفِيعَةُ،  
 وَالتَّمَاعُ السَّمْسَمِ الْمَبْثُوثِ،  
 هُوَذَجٌ نَاقَةٌ وَيدَانٌ يَقْطُرُ مِنْهُمَا الْعُتَابُ وَالرِّيُّ  
 الْمَقْطَرُّ فِي حُشَّاشَةِ عَاشِقٍ . .  
 ثَقُلْتُ عَلَىَّ عِبَاءُ الدَّمِ وَالرَّمَادِ

والصبحُ يُجلو في عظام المحجرين مشاهدَ الجسد الذي  
يَرُفُو فتوقَ الروح ثم يُنقَرُ الطيرَ الجواثمَ في  
مُثَمِّمَةِ التذكَرِ ثم يعلو قبةً من أغصن  
اللَّبَخِ المسجَّعِ باليَمَامِ  
واللهُ من خلل الغصون يمدُّ شمسَ يديه  
ينسج خضرةَ الذهبِ الحَرِيرِ،  
يشدُّ قوسَ الأفقِ، يرمي سبعةً  
من أعطياتِ سهامه :  
نُفْحَ الصَّبَا قبل الغروبِ، مسابحَ الأسرابِ عائدةً  
إلى الأعشاشِ،  
والكُحْلَ المفسَّرَ في عيون الصُحْبِ من  
بقرٍ وجاموسٍ، ونومَ الحَبِّ في العنقود قبل  
قطافه، وأنينَ أخشابِ السواقي، والملاحمِ  
في رباب الشاعرِ الجوّالِ، رائحة مُنْشَرَّةٍ على  
المللكوت من ثوب الأمومة والعجينةِ وطلعةِ

الفجر المنْدَى بالتراب وسكر النعناع والرُّزُّ  
 المقلَّل والكوانين المضيئة في عِشاءِ السبتِ  
 والكتب القديمة والمصاحف،  
 كنتُ تحت هواطل النَّبْلِ المقدَّسِ أَتَكِي وأَكَلِمُ  
 الحصباءَ والجروَ المشاغِبَ والحمامَ  
 وأعيدُ سَبْكَ ملامح الموتى وتَهْجِئَةُ الحروفِ  
 وأعيدُ سَرْدَ تَهَجِّدِ الأبوين بالقرآن ما بين  
 العُشِيِّ وركعتي فجرٍ يُطلُّ من الكُوى في السقفِ،  
 أنسلُ من لُحَاءِ التَّيْلِ، أَفْتَلُ رِبْقَةً  
 وأشدُّ معقودَ اللجامِ  
 وأعاهدُ الموتى، وأضحكُ إِذْ أَرَانِي أُمَّةً - وحدي - من  
 الخلفِ الكثيرِ، وأحبُّكَ المقلَّعَ، أَخْتَلُ  
 للشَّوَارِدِ من مُصْعَلِكَةِ البهائمِ والبناتِ  
 وخطفَةِ الغربانِ للكَيزانِ والثمرِ المبشَّرِ،  
 كنتُ ما بين الضحَى وكتابةِ القرآن في الألواحِ إِذْ

سقطت من الصدر التميعة . . فالبلاء  
 حرثٌ وحراثون، والأرضُ التميعةُ، والحصادُ  
 ميراثُ أهلٍ ينسلون من الغمام إلى الغمام  
 في الخبز طعمهمو وفي الألواح رائحةُ الفواصلِ  
 والرغيفُ.

ثقلتُ عليَّ عباءةُ الدم والرماد  
 والريح تصفرُ في بوالي العظم . . أدكرُ التصاريِفَ التي  
 علّمتُ من لغة الصفير إلى البهائم والحمام والكُلاب:  
 فنَفْحَةٌ بين القواطع لاستقاء الخيل والأغنام،  
 أخرى - بين تقطيعٍ ومدٍّ - فالحمائمُ وقعُ\*  
 فوق الذراعِ،  
 ونَفْحَةٌ في هيئة التَّقْيِيلِ تصفرُ من مقام العشق  
 فالأبوابُ تُفتح والنوافذُ،  
 بين إبهامين في الشفتين أو سبّابتين يهرُ كلبُ  
 أو تفرُّ دجاجةٌ أو تُؤذِنُ النوقُ العصيّةُ

بالحليبِ أو السَّقَّاذِ.

تَقُلْتُ عَلَيَّ عِبَاءُ الدِّمِ وَالرَّمَادِ وَقَضَقَضَ الزَّلْزَالُ  
هَيْكَلَ مَجْثَمِي وَالرَّيْحُ تُصْفِرُ فِي  
بِوَالِي الْعِظَمِ نَفْخَ الصُّورِ . .

هُودَجُ نَاقَةٍ وَيدَانِ يَقْطُرُ مِنْهُمَا وَرْدُ الدَّهَانِ  
وَمِهْرَةٌ صَهَلَتْ مِنَ الْإِبَادِ،  
طَيْرُ الذِّكْرِيَّاتِ مُنْقَرٌّ،

«وَشَجَّتْ أَعْرَاقِي بِأَعْرَاقِ الثَّرَى»، وَتَنَقَّرَتْ  
أَمْشَاجُ مَا عَلِمْتُ أَوْ أَنْسَيْتُ،  
مُنْخَلُّ الْجَدَائِلِ مِنْ أَصِيلِ الصَّيْفِ مَنْسَكِبٌ،

يَدَايَ عَلَى حَرِيرِ الْأَخْضَرِ الذَّهَبِيِّ،  
أَنْصَتُ، ثُمَّ أَرْقَبُ سُبْحَةَ الْأَطْيَارِ عَائِدَةً،  
وَأَنْظُرُ فِي ذُرَى النَّخْلِ الْبَعِيدِ غِلَالَةَ هُدَايُهَا  
رَهْجٍ مُعْصَفَرَةٍ قَتَائِلُهُ،



وكفُّ الله تُغمد سيفه الكونيَّ في غمد الظلام  
ثَقُلْتُ عليَّ عباءةَ الدم . . والصهيلُ مُرَجَّعٌ . .  
يا مهرةَ البلدِ البعيد . . بعيدةً،  
وبعيدةً نارُ المضاربِ والحِيام . .

روتريدام - رملة الأنجب

١٩٩٢/٦/٢٩



## فاصلة إيقاعات النمل

غموضُ دمٍ هاربٍ يتقلَّبُ في صفحةِ الوجه،  
يخبو وينبضُ،

خيطان من طائف الشك يشتبكان . .

التواريخُ تمحو التواريخُ،

نَمَلٌ من الذِّكْرِ الباهتة

يدحرج ما لم يكن في تراب الذي ربما كان،

كوبٌ من الشاي يطُفُو على سطحه ورقُ «العطر»

أخضر ملتصقاً في شفافية من بخار وعطر يشقان

عن قبلة صَبْغَةٍ في أديم الزجاجِ

وصيدُ الكلام يفرُّ ويدنو،

وأنت تفتشُ في نَبْرةِ الصوت

تعلم عِلْمَ اليقين وتجهلُ، تخبِطُ خَبْطَ الذبيحةِ

بين عماء دم، وترى طائف الشكِّ

واللهجةُ المستريّةُ نملاً يدبُّ ديببَ الملامح في

عاصفٍ تتكسر تحت غرائزه الروحُ،

ثُمَّ تُشَرُّ أَرْسَالُهُ الْحَبَّ مِنْ مَكْمَنِ الظُّلُمَاتِ وَتَقْضِمُهُ  
 عَلَيْهِ يَتَكْتُمُ حُبَّ تَحْوِلِهِ وَانْكَشَافَاتِهِ،  
 وَتَلْمَلِمُ مِنْ زِينَةِ الشَّكْلِ خَطَّ الْحَوَاجِبِ وَالْكَحْلِ  
 وَالْأَحْمَرَ التَّأَكَّلَ فَالْوَجْهَ تُسْفِي مَعَالِمَهُ،  
 لَيْسَ يَبْقَى سِوَى زَفْرَةٍ تَتَهَدَّمُ فِي دَمْعَةٍ صَامِتَةٍ .

(هاهو . . تقوده الرائحةُ ويقودكُ  
 الإيقاعُ وأهويةُ المحاريبِ وخفاءُ المجازاتِ،  
 يَكْتُمُ أَشْكَالَهُ فِي أَرْسَالِ خَيْطِيَّةٍ، أَسْوَدَ  
 وَرَمَادِيَا وَبَيْنَ بَيْنٍ، أَشَقَّرَ وَأَسْهَلَ وَأَصْهَبَ،  
 وَلَا يَعلَنُ عَنْ حُضُورِهِ فِي عِرْقِ الرِّسَامِينَ وَالنَّحَاتِينَ،  
 وَهُوَ الْمَوَكَّلُ فِي تَوَالِي الدَّهْورِ بِنَقْلِ الْأَهْرَمَاتِ  
 وَرَمَادِ الْمَوْمِياوَاتِ وَأَقْوَاسِ النُّصَرِ وَهِيَائِ كُلِّ  
 الْحَضَارَاتِ - ذَرَّةً ذَرَّةً - إِلَى خِلَاءِ الشَّكْلِ  
 وَأَبْدِيَةِ الْفَرَاغِ الْمُنْبَسِطِ الَّذِي تَعُودُ إِلَيْهِ

التراكيبُ ونضالاتُ المعانى من مُسْتَنْبَتِ  
الكون فى الحروف . . )

هي انتثرتُ من ملامحها ،  
أنتَ قَيْدَ الذراعين ، هل ضَمَّةٌ عَلَّ هذا الجنون  
من الوجد يكشفُ بين الهلاوسِ والفرعِ المتشبي  
بالنبوءاتِ والوهمِ عن مَسْرَبِ النملِ حتى  
قراه البعيدةِ فى ليلةِ الروحِ والجسدِ المتآكلِ  
والنظرةِ الميتةِ !!

هي التَّمُّ منها الرُّفَاتُ وقد نَقَضَتْ عن جوارحها  
وممالكِ عشاقها كلَّ ما خَلَفُوا من صدى قُبَلِ  
وارتشافاتِ ريقٍ ولمسةِ جمرٍ على كُحلِ نهدين  
عشاقُها لم يكونوا ،  
ولا فَرَعُها لَانَتْ تحتِ الندى والدموعِ ،

ولا عُشْبُهَا ابْتَلَّ،  
 والزهرُ لمْ يَرْتَعْدْ بين أكامه مُلْهَمُ النحلِ،  
 عشاقها لم يكونوا  
 ومجدُّ احتراقاتهم لم يكن غير مَحْضٍ زجاجٍ تشعشعُ  
 نظرتُها عبره،  
 أَنْتَ قَيْدَ الذراعين . . سَانِحَةٌ تَدْرِيكَ  
 وأخرى تعرِّيكَ، والنملُ يكتبُ عُريكَ . .  
 أَنْتَ تَقْرِئُ نَبْرَتَهُ وخطوطَ اندياحاته  
 (نقاطٌ من الأحبار الكونية المتسرِّبة  
 بين سطور الكائنات ومتون الخلائق،  
 تَهْبُّ غير المكتوب شفافية الانتقال إلى  
 أجناس النطق،  
 تزيد وتقصُّ أقلَّ القليل فتدبُّ عواصفُ  
 الممكنات في كل شيء،

واختلاساتٌ مَرَحَةٌ وَتَفَكُّكَاتٌ إِرَادَاتٌ تَنْقَلُ  
 الْقِبْلَةَ قَتْلَةً وَالْجَسَدَ حَشْدًا وَتَفْتَحُ الرِّعْيَةَ  
 تَفْتِيحُ الرِّغْبَةَ وَالْغَدَرَ عُدْرًا . .  
 وَتَلْتَفُ جَمُوعُهَا بِبَصِيرَةِ الزَّلْزَالِ وَاشْتِبَاهَاتِ  
 الْمَسَالِكِ فِي الْمَمَالِكِ فَتَسْتَبْدِلُ مَوَاقِعَ  
 الْأَصْوَاتِ فِي عَمَاءِ الْحُلُوقِ :  
 عُتْلٌ عُلَّةٌ وَجَيْشٌ شَجْنٌ وَرَحِيقٌ حَرِيقٌ  
 وَشَعْبٌ شَعَبٌ يُلْحَسُ مَا يَسْلَحُ فِي لَذَّةِ  
 مُدْلَةٍ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ  
 وَتَقْلَبُ مِنْ تَوَارِيخِ الْعَشَقِ الْفَرَاشَ أَشْفَارًا  
 وَالْبَكْرَ الْعَوَانَ كَرْبًا وَنَوَاعِي يَنْدُبْنَ  
 أَسْفَارًا تَرْسِفُ مِنْ قَيْدٍ إِلَى قَوَادَةٍ  
 وَلَا مَلْجَأَ فَمَلَانْدُ النَّمْلِ أَكْرَمُ عَلَى نَفْسِهِ  
 مِنْ عَمَاءَاتِ الْإِمَّعَاتِ الْجَحِيفِ  
 - بَعْدَ أَنْ أَسْتَتُّوا بِجَرَادِ الْكَذِبِ وَهَلَكُوا



بالرُّعاف وتبدّدوا تراباً في أحذية الأم-  
 فهي الموكَّلةُ بأسرار الأرض وغيوب  
 الظلمة وباطلِ الليلِ والنهارِ

أنت تهوي على ركبتيك نداءً دمٍ وانكاءً خرابٍ على بعضه  
 وتُهيلُ على الرأسِ مرَمَدَةَ الظنِّ والحسراتِ  
 وتلطِّمُ وجهك من رهبةِ الظلماتِ وأزمنةِ  
 الدمعِ والأسئلةِ  
 وتنظرُ سجادةً لم تكن تتأملها أو ترى ما تتأظَّرُ  
 فيها من الشكلِ واللونِ . .

هل كنتَ محضَ خيالٍ ونساجةٍ أبدعتك على  
 نولها واشتتتْ نَقْصَ ما نسجتْ فهي في نشوة  
 من فسادِ العناصرِ ترقبُ وجهك تنحلُّ لَحْمَتُهُ وسُدَّاهُ؟  
 أم الوقتُ بدءُ انحلالِ بسجادةِ الكونِ  
 والنملُ بينكما دعوةٌ لامثالِ الهشيمِ

## لأقداره الفاصلة

وهذى الرسومُ التي نَصَلَتْ برزخُين موتين،  
أم أنتما قبضةٌ من زُبَالِ الموارِث والعشَق  
والنملُ يَعْتَلُهَا بَدَدًا فى الخرابِ العميم؟!

(تَكَافَأَتْ وَالسَّقَطَ الَّذِى يَسْفَى وَلَمْ  
تُنَاطِرِ الرِّيحَ وَلَا صِرْخَةَ لَكَ  
وَأَرْسَالَ النَّمْلِ يَتَكَافَأُ بَيْنَهَا الدَّمُ وَالْخَطَرُ  
تَكَافؤُ الْكَفَافِ وَزَهَادَةُ الشَّهْدَاءِ  
وَإِذْ تَقُولُ غَمْلَةٌ نَكَرَةٌ لِلنَّمْلِ الْمَعْرِفِ بِالنَّدَاءِ  
وَالْتَّنْبِيهِ وَالتَّعْرِيفِ فَيَتَعَلَّمُ الْجَنُّ وَالنَّبِيُّ  
وَالْمَلِكُ وَحَشَوْدُ الْجُنْدِ، وَتُمَثِّلُ الْجَمَاعَةُ  
- امْتِنَالُ ضَرْبَاتِ الْقَلْبِ لِلْعَاشِقِ -  
أَرْسَالًا أَرْسَالًا فَيُسْتَنْقَلُونَ . . )

سَرَتْ مِنْ أَعَالَى الْبُرُوقِ الْإِشَارَاتُ؟

مُتَّهِمَةٌ أُمُّ شَامِيَّةٍ أُمُّ يَمَانِيَّةٍ أُمُّ  
 شَطَايَا دَمٍ يَتَضَفَّرُ بَيْنَ الْفُرَاتَيْنِ وَالنَّيْلِ !!  
 لَا أَفْقَ إِلَّا الصَّرَاخُ الْجَلِيلُ  
 يُدْمَدِمُ فِي حُبِّكَ مِنْ سَمَاءٍ تَهْدَمُ بَيْنَ مِشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا،  
 أَنْتَ لَمْ تَحْتَمِلْ،  
 وَهِيَ لَمْ تَحْتَمِلْ،  
 كَانَ نَمْلٌ بَلَا عِدَدٍ يَتَسَلَّلُ مِنْكَ وَفَيْكَ،  
 قِبَائِلُهُ - فِي ضِرَاوَةِ زَحْمَتِهِ - فَكَتَكَتْكَ  
 وَبَيْنَكُمَا شَهَقَةٌ وَمَسَافَةٌ دَمَعٌ ذَلِيلٌ

(فِي الْبَدْءِ كَانَ قِتَالُهَا، وَفِي الْبَدْءِ أَبَدًا يَكُونُ:  
 قَبِيلَةٌ تُسْتَأَقُّ قَبِيلَةً، لِكِبَارِهَا الْقَتْلُ  
 وَلِصِغَارِهَا أَزْمَنُ أُسْرِ تَدْرَبُ فِيهِ عَلَى  
 قِتَالِ الْعَبُودِيَّةِ الْمَاجُورَةِ بِاسْتِكَانَةِ الْجُوعِ  
 وَسُخْرِيَةِ الْأَبْوَاقِ،

وهكذا . . يدور مغزكُ الدم بين مشارقها ومغاريها .

وبين مشارقها ومغاريها كنتَ تسفي :  
جوارحكُ الريحُ أعضائكُ الرملُ ،  
والموتُ بوقٌ يجلجلُ ،  
كان الشتاءُ البَهِيمُ يبعثرُ عُرْيَكَ في السجن ،  
وهي بكامل زيننها انتظرتُكَ ،  
تسلل - عبر الصفيح وأعمدة الصَّاجِ والصُّلب -  
بارقُ أفراطها وخلاخلها وظباءُ التَّخَطُّرِ  
ما بين عريٍ ووشي زخارف ،  
هل مستحيلٌ يُلَوِّحُ أم يمكنُ أبديُّ نهاياته بدوهُ !!

واستباقاتُ غلِ الطلائعِ مستدفئٌ في الضلوعِ ؟ !  
(هاهو . . رعْدَةٌ في الجسدِ تَصَعَّدُ وتهبطُ  
يُغريها صمغُ الشجر والعسلُ المتقطرُ من

المنّ والأنساغ التي تَرُبُّها أمسياتُ  
 الحلم والغناءِ الكظيمِ . . فاتحةً سبلها  
 لا اكتمال الليل حتى آخره . .  
 وها هو . . من مكامن دَفْنَه المظلم يرسلُ  
 طلائعه بشارَةً بالانقلابِ الفلكيِّ وعِلَّةَ  
 شعريّة لأوائلِ النّوارِ وأزهارِ المِشمشِ  
 والخوخِ خَصَفِ الورقِ على مكامنِ  
 الغرائزِ في الشجرِ ،  
 حتى يُتَعَتَّعَهُ جنونُ الانتشارِ حولِ مشافرِ  
 التينِ المتهتِكِ وحلّـماتِ التوتِ وإغواءاتِ  
 العناقيدِ وحرائرِ القطيفة من  
 طَلَعِ وَحَبِّ حصيدِ

رملة الأنجب - القاهرة

١٩٩٢/٧/١٧



# احتفاليات المومياء المتوحشة





## إهداء

إلى طففتي رحمة..  
لم أكن ألتفت لشئ سوى يديك النائمتين  
حول «الدبوب» المحرق بعينيه اللامعتين  
ولم أكن أخاف سينا سوى يقطبك بمفاجأة  
الجحافل وهي تلتقطني.  
أما الأثر الدامي على عظام الأنف الذي  
لا تكفيه عنه السؤال حوله : فهذا هو الجواب :



زيارة

- ١ -

«كان هناك أميرٌ» يغفو من تعب التجوال،  
 يصحو، يُحصي إيقاعات الريح وتفعيلات الفوضى  
 والتدويرَ النازفَ من عاصفة الصحراء،  
 ويلفُق مُجْتَثَّ سلالته بالهزَجِ الراقصِ بين  
 جيوش الغزو وبين سموات الموتى،  
 ينثر مُقْتَضَبَ الدمع على قافلة الرُّجَّازِ  
 القتلى ومراثي الأطلالِ  
 كان يقلِّب في لهجته الرثّة جمرَ ملامحه بالبرَدِ  
 الأسود والحبِّبِ الشتويّ فتنبضُ بالأشلاءِ  
 البركُ الأرضيةُ وأيدي الأحياء الموتى . .  
 قلتُ: اركضْ في متداركِ موتك،  
 لملمْ وقعَ خطاك وغادرْ سرَّ الشجرِ النائمِ  
 وأسترجعْ بعضَ رمادك،

أنت رمادٌ ثرثرةٌ يتساقطُ من كتب الأنواء،  
 فلم تُقتلْ بين القتلى،  
 وهشيمٌ أنتَ تذرِّيهِ الريحُ على تفعيلة  
 أكوان تهدهمُ في حُممِ الأهوالِ  
 «أرضك مفترقٌ تتسعُ به أرضُ الأغيارِ،  
 وتعبره أمٌ وجيوشٌ،

للاقوى وعبيد الأقوى ميراثٌ أنتَ لمن يرثون،  
 على كتفك تكسرتُ الأمواجُ توارىخَ مجاعات  
 وطغاة منكسرين ومزهُوين  
 بتدليس الأبهة البيزنطية .»

الليل صقيعٌ، وروائح لحم الإنسان المشوي طرائدُ  
 مُنْسَرِحِ الريحِ، الشاعرُ يَتَلَقَّطُ جمرَ جوارحه،  
 ويميلُ إلى المقهى يُحصي مُنْهَلَّ الدمعِ،  
 يرتبه أوزاناً أوزاناً، يتحير في وتد مفروقٍ أو  
 مجموعٍ، يسترجع آثارَ يديه الراعشتين عن

الأكواب وأيدي الأصحاب وحبر الصحف وقرص  
 الهاتف والمندبل الورقي، ويرقب أعينهم  
 - كانوا أربعة بصاصين وجلادين -:  
 عتل منهدل السمنة يلمع سالفه من تحت  
 الصلعة . . يسلمح في كل صبيحة «مايو» أو  
 يلحس ما يسلح من كذب الأوغاد المأجورين،  
 ولص الأشعار الضائع في أوهام قزامته  
 يتخلل لحيته بأصابع من دخان الشيعة أو  
 لفتات وقاحته الهشة  
 كان الثالث - من تسع سنين - يتسمع أو  
 يتشمم وقع خطاي . . بقامته الفارعة المشدودة  
 والعينين الجاحظتين وأرنبه الأنف الذبيبة  
 (كانت تنفخ فقاعات البيرة في أكواب الحفلات  
 الخيرية .)،  
 رابعهم جرو مفروق الشعر، خفيف، ينصت

في ركنٍ منفردٍ من أرصفة المقهى ، يُغوي  
الشعراء المبتدئين بِسَمْتِ بلاهته المندَهشة .

خَرَزٌ من فحم الماء يَرخُ ويلمع فوق زجاج المقهى ثم  
يَسحُ خيوطاً يتموِّج فيها البرقُ . .  
مي الآفاقُ أعاليها انقلَّبتْ ،  
ريسحُ دُمٌ ،  
والشاعرُ يركضُ . . علَّ المطرَ  
الأسودَ يغسلهُ ويذيبُ  
جوارحه في البرق وينثره خَرَزاً . .

-٢-

أَسْلَمَنِي «الدَّبْدُوبُ» النَّائِمُ بَيْنَ ذَارِعِي «رَحْمَةً» وَالْفَجْرُ  
الْمَنْفُوشُ الصُّوفِ إِلَى سَنَةِ مِنْ غَضَبِ الْيَأْسِ  
وَفَزَعَ الرُّوْيَا،

فَانْتَبَهَتْ أَعْضَائِي فِي حِلْمِ الْمَذْبَحَةِ الْكُونِيَّةِ :  
أَبْتَدَيْتُ الرُّكْضَ لَأَخَذَ مَوْضِعَ أَسْمَائِي الْحَرَكِيَّةِ  
وَالْعَلْنِيَّةِ فِي قَافِلَةِ الْمَذْبُوحِينَ وَقَائِمَةِ الْأَسْرَى . .  
أَيَقْظَنِي الْفَوْلَادُ الْبَارِدُ،

كُنْتُ أَمِيرًا يَمِرْقُ فِي «تَشْرِيفَةٍ» صَفِينٍ مِنْ  
الْأَشْبَاحِ، وَكَانَتْ شَاحِنَةُ السَّجْنِ تُرَضِّرُضُ  
فَوْقَ ثَعَابِينَ الْأَسْفَلِ فَيُسْلَمَنِي الْإِيْقَاعُ  
إِلَى سَنَةِ مِنْ خَدَرِ الْمَجْهُولِ الْفَاضِحِ،  
كَانَتْ رَائِحَةُ الْغَيْطَانِ الْمَبْلُولَةِ إِغْوَاءَ دَمٍ تَتَفَتَّقُ  
شَهْوَتُهُ رُكْضًا فِي النَّوْمِ وَتَعْرِيةً لظِلَامِ الْخَضِرَةِ فِي



الأحلام وعصف الروح:  
جَسَدٌ شَفَّافٌ كَفَنَةٍ طَمِيٍّ الْأَرْضِ وَغَطَّتُهُ الْأَعْشَابُ  
أَسْمَعُهُ يَتَنَفَّسُ . .

هذي رائحةٌ مما تركَ الرَّبُّ أَوَانَ الْخَلْقِ،  
وأضوا ما كان النورُ بأروقةِ الشجرِ العالي والنومِ،  
وأنتِ مَذْوَبَةٌ الْأَعْضَاءِ وَكَامِلَةُ الزِينَةِ فِي  
أَبْهَاءِ الدَّمْعِ الْغَامِضِ بَيْنَ جَنُونٍَ لَمْ يُسَعِفْهُ الْوَقْتُ  
وَبَيْنَ النَّزْوَةِ فِي عِبَثِ الْوَقْتِ الْمَجْنُونِ  
هنا نحن مواجهةً،

نَتَقَلَّبُ تَحْتَ رَمَادِ الْفَجْرِ . .  
ضِفَائِرُكَ انْعَقَدَتْ بِالطَّلِّ الْمَوْرِقِ،  
غُبْشَةُ كَحْلِكَ غَيِمٌ أَثْقَلَهُ الْمَاءُ الْمَكْنُونُ  
وأنا عريانُ الدهشةِ والوحشةِ:  
هل أنتِ، وهل جئتِ أَحْلَى ضَفِيرَةٍ مَائِكَ،

أصرخُ أم تصرخُ في حنائك جلجلةُ العصف،  
أم الشاعرُ يَحْدُو قافلةَ الموتِ إلى أعتابك؟!

رملة الأنجب - الفجر الأول ٩١/٣/٢

١٩٩٣/٧/٣

## طقوس متقابلة

«أقسى من الموت ارتعاشُ الموت في الشَّلْوِ الذَّبِيحِ»  
 كتابةٌ سلفتُ وهذا وقتُها المقدورُ  
 فاقراً ما ترى - أولاً ترى - من معصميك لكاحليك  
 كابدتُ وجَدكُ أيها النحاتُ:  
 لي عشقٌ قديمٌ، والصخورُ إلى نفاذٍ  
 أشبّهتني بي أيها الليلُ المصورُ:  
 إنني الظمأُ المرفوفُ في رخامٍ لا يبيدُ،  
 فليس من شيءٍ لشيءٍ غيرُ عصفِ الروح في عصفِ  
 الرمادِ  
 مُستَحْدَثُ التعذيبِ بالكيمياءِ يكشطُ من ظلامك طينةً  
 للخلقِ فالملكوتُ يُسْطَعُ،  
 والحشودُ المبهماتُ، وأنهرُ الدمِ، والملكُ،  
 على الأرائكِ يتكبي الجلالُ منتظراً سقوطَ الصقرِ  
 محترقاً بجائشِ حلمه،  
 لما يَزَلْ وَهُمْ البلادُ هو البلادُ.

وخمسون ارتمت عنها مهلهلة الثياب  
 وصرصر هبت فخشخشت الضلوع  
 وهب موتى الإخوة الصبيان بين أبي وأمي  
 يضرمون النار في خشب المواقد والكوانين القديمة  
 واصطلت كما اصطلى صوت المؤذن في جلد الفجر  
 وامتد الحرام الصوف،  
 في سنة الرقاد،  
 لقى إليّ «بروجل» القروي منجمله ومذراة الحصاد  
 نركضت من قش إلى قش،  
 وكان «بروجل الأعمى» يقود جماعة العميان في  
 نوء من العصف الملبّد والوحول  
 لوّخت من هلع الدهول  
 وصرخت . . فابتدرت يد الجلاد ناصيتي وشدّ  
 وثاق عينيّ المشاكستين بالرؤيا  
 ومكنون التذكر والعناد

فرايتُ جوهرةَ الظلام على قوائم عرشه انْفَجَرَتْ  
نهارات مُضَوَّاةٌ ،  
وأشهدني مقامَ الذلِّ تحتَ يدِ الأذلاء المهانينَ :  
الدهورُ تَفَجَّرَتْ أجداثُها بالثَّارِ ،  
فالأمُّ المؤبَّدةُ الدُّحُولُ  
هَبَّتْ دَفائِئُها وقامَ الوحشُ وانتشرَ الجرادُ  
وتخَشَّعَتْ أُمُّ الحشائشِ والهوامشِ والخوانِ المستَدَلُّ  
تفاصَّحَتْ في الموتِ أعلامُ الدُّبُولِ  
وتَحَلَّلَتْ إِرَمٌ وعادَ  
في الغائطِ الكلبِيُّ والنفطُ ،  
البلادُ وظلمةُ الملكوتِ عَهْنٌ طائرٌ ،  
وتَخَطَّفَتْ جَسَدِي المناسِرُ والعصيُّ  
معلَّقًا ومثبَّتَ الرَسْغِينِ في الأفلاكِ .  
في أقصى الظلامِ  
كانتُ «أرينا» الأرضِ واسعةً وأضيّقَ من

عيون الثور،  
 كان الثورُ عاصفةَ الغرائز والتراب  
 وكان «جويا» ممسكًا بالثور من قرنيه،  
 ناوَرَ ثم داوَرَ ثم لَوَّحَ بالرداءِ القرمزيِّ وَلَفَّ  
 مُنْعَطِفًا وَسَدَّدَ . . فاستجاشت ثم  
 غادرت الرسومُ شَوَاكهُ «التزوات» والأمثالِ  
 فالأجواءُ غريبانُ ويومٌ  
 والخلائقُ مَحْضُ قِيءٍ من جحيمِ الروحِ  
 والهولُلاتُ ترقصُ في فضاءِ الرعبِ . .  
 أَوْقَفَهُ - وإصبعُهُ على صُلْبِ الزُّنَادِ -  
 في ثالثِ الأيامِ من مايو . . وسَدَّدَ . .  
 كان جويوا واقفًا ويهمُّ بالطيران في ألوانه  
 ما بين زَنْكٍ معتمٍ ودمٍ اتقَاذٍ  
 وتقلَّبتْ «دوشيس» دالبا بين عريِّ واكتساء . .  
 آه يا مارياتريزا !!

كيف تنفلتين في هذا العراء وأنت عارية !!  
خُذِي كَفِّيَّ من قُبَد الحديد أَلْمَلَمَ الشَّفَّ المَشَقَّ ،  
كان جِلَادٌ بِكَعْبِ حَدَائِهِ يَهْوِي عَلَيَّ فَطَقَطَقْتُ ضَلْعُ  
وَلَعَلَّتِ الرِّصَاصَةُ فَارْتَمَى جَوِيَا  
ارْتَمَيْتُ  
وليس من وطنٍ سوى هذا الرماد . .

لاظلو علي ثالث اذان للفجر

الموافق ١٩٩١/٣/٤

القاهرة ١٩٩١/١٠/١٢

!



## هلاوس ليلة الظمأ

غَبَشُ يُمْلِكُهُ دُخُولُ اللَّيْلِ ،  
 وَالْغَيْطَانُ تُسْحَبُ مِنْ بَدَايَاتِ النِّعَاسِ  
 تَنْفُسُ الْإِيْقَاعِ مُنْتَظِمًا عَلَى مَدِّ الْحَصِيرَةِ وَالْمَوَاوِيلِ ،  
 - الزَّمَانُ كَأَنَّهُ فَجْرٌ قَدِيمٌ مُسْتَعَادٌ -  
 قَدْ كُنْتُ مُضْطَجِعًا أَعَابِثُ شُعْرَ بَنَاتِي . .  
 الصَّغِيرَةُ أَفْزَعَتْهَا قَشْرَةُ الدَّمِ وَالصَّدِيدِ عَلَى  
 عِظَامِ الْأَنْفِ  
 - أَهْذِي أُمُّ هِيَ الزَّنَانَةُ انْفَتَحَتْ عَلَى زَمَنَيْنِ  
 وَاتَّسَعَتْ عَلَى هَوْلِ الْمَكَانِ ؟ -  
 رِيْقٌ وَجَمْرَةٌ حَنْظَلٌ ، تَشْتَقُّ الشَّفَتَانِ :  
 - : يَا عَبْدَ الْعَلِيمِ  
 مَا لِلْجَرَارِ ادَّخَرَجَتْ وَالْقَلَّةِ الْفَخَارِ عَقَرَهَا الرَّمَادُ  
 وَالْمَلْحُ ، وَالنَّهْرُ الْقَرِيبُ مُشَقَّقًا ،  
 مَا لِلتَّحَارِيقِ ارْتَعَتْ بِالْجَمْرِ وَالنَّسِجِ الْمَهْلَهْلِ  
 أَعْظُمِي

وأديمَ هذا الليلِ . . يا عبدَ العليمِ !!  
 أهذي وألهثُ أم هي البنتُ الصغيرةُ من ظلامِ الغيمِ  
 تخرجُ في يديها الكوزُ والإبريقُ تلمعُ في  
 نحاسهما الزخارفُ بالعناقيدِ المندأةُ ؟  
 التقتُ . . فراعها أنَّ القيودَ تعضُّ  
 لحمَ المعصمينِ فيرشحُ الدمُ  
 فاستدارتْ وارتمتْ في عثرةِ الرهبوتِ  
 :- قد نبهتُ «رحمةً» أن يكون الماءُ  
 والفخارُ مشمولينِ بالسَّعدِ المَفْرُوحِ واللُّبانِ.

قال المَخَنَّثُ للمَخَنَّثِ : إنَّ هذا الأَهْلَ المجنونَ يَهْرِفُ  
 بالكلامِ

(فعرقتُ أنهما هما . .  
 والجسُرُ بين الصالحيةِ والرشيدِ مُرَجَّعٌ  
 للبلغمِ الدهنيِّ في صوتهِهما)

قال المَخْنَثُ للمَخْنَثِ : «إِنَّ نوبةَ نومي اقتربتُ فأخرسُ

صوتهَ بعصاكُ»

فانفجرتُ برأسي الصاعقةُ

كان الصدى مَشْطِطاً بدم الهلاوسِ

آه يا عبدَ العليمِ

لم يترك الأهلون من نُبلِ العصا في

لعبة التَّحْطِيبِ ميراثاً لأوغاد الزمانِ النذلِ . .

هل رجلٌ وضربتهُ تجيءُ من وراءِ !!

أذكرُ دمي بالبنِّ بعد الماءِ يا عبدَ العليمِ

كانوا ثلاثةُ أصدقاءِ

والموتُ رابعهم ، وأيديهم تُجمَعُها قِصاعُ القَتِّ في

ليلِ الموالدِ بعد رقصِ الذِّكْرِ والتَّخْمِيرِ . .

كان أبوك يَهْدُرُ في

مقامِ الحشْدِ تأخذه الجلالةُ ،

وجْههُ الطينيُّ يلمعُ ، والعصا في إصبعيه

تدورُ مثل مغازل الأفلاك،  
يا «جملَ الحاملِ» - إنه جملٌ يُطمِطُ من  
ضراب الرقص في أعضائه  
أ «أمَّ هاشم» . . ثم تنكسرُ العصيُّ على عصاهُ  
انيهمو يَنشَقُّ عنه الحشدُ:  
قُفطانٌ يضيءُ بياضه الزَّهريُّ،  
- الشالُ المرفرفُ، بسَطَّةُ الأفيونِ، والقَدُّ النحيلُ  
كالخيزُرانة، والعصا ليست تُرى من كَرِّها بين اليدين،  
يَفْحُ، يَصْفَرُ، يَرْتَمِي وتَدَا،  
يلينُ وينثني كالصلِّ . . آه وألف آه  
هي نقرَةُ الطَّرَفِ الرشيق من العصا بفُجاءةِ التلميح  
والتصرُّيح . .  
لا تُجدي مصاوكةٌ ولا يُجدي دفاعُ اللاعبينُ  
يعلو ضجيجُ الحشد ما بين الصهيلِ الحرِّ والفوضى  
وإنشادِ الدهولِ

مَسَّ وَطَائِفُ بِهِجَةٍ وَرَوَى جَنُونَ الْوَصْلَ تُوَصِّلُ  
 نَشْوَةَ الْمَلَكُوتِ بِالْإِنْسَانِ فِي وَجْدِ الْجَنُونَ  
 حَتَّى إِذَا اقْتَرَبْتَ خَطَا عَمِي «مَعْوَضُ» بِالْعَصَا حَطَّ  
 السَّكُونُ

هُوَ صَخْرَةٌ قُدَّتْ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْخَمْرِ الرِّخِيسِ  
 فَأَفْرَدَتْهُ الْعَائِلَةُ  
 هَجَرَتْهُ زَوْجَتُهُ وَفَرَّ بَنُوهُ فِي تَسْعِينِهِ الْأُولَى  
 فَزَوْجَتُهُ الزَّجَاجَةُ وَالْعَصَا وَالذِّكْرِيَّاتُ مَعَ النِّسَاءِ  
 كَفَاهُ كَالْمِذْرَاةِ سَاعِدُهُ عُرُوقُ السَّنْطِ خُطُوتُهُ  
 انْصِبَابُ السَّيْلِ،  
 كَانَ الْحَشْدُ يُنْصِتُ وَهُوَ تَغْمِزُ عَيْنُهُ بَبْقِيَةٍ مِنْ  
 كَحْلِهَا الْمَعْتَادِ مِنْ عَسَلٍ وَشَشْمٍ،  
 دَارَ مُلْتَفِتًا إِلَى رُكْنِ النِّسَاءِ عَلَى السُّطُوحِ  
 وَحَاجِبَاهُ يَرِاقِصَانِ الشَّمْسَ وَالْحَنَاءَ وَالذِّكْرَ الْغَوِيَّةَ،  
 ثُمَّ مَرَّ اللَّاعِبُونَ

وَتَخَلَّعَتْ أَعْضَاؤُهُ خَشْبًا وَفُولًا ذَا وَرَقَصًا عَارِيَ الْإِيمَاءِ  
 كَانَ اللَّاعِبُونَ أَمَامَهُ لُعْبًا تَطِيشُ عَصِيَّتَهُمْ  
 وَتَطِيرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ  
 وَالْكَحْلُ فِي عَيْنَيْهِ يَغْمِزُ لِلنِّسَاءِ  
 وَاللَّيْلُ يَطْوِي خِيَمَةَ الصَّبْحِ الْمَعْفَرِ لَانْعِقَادِ الذِّكْرِ  
 وَالتَّخْمِيرِ . .  
 وَاشْتَبَكَتْ أَصَابِعُهُمْ بِدَفْءِ الْفَتِّ وَاللَّحْمِ السَّمِينِ ،  
 وَرَابِعُ الْأَصْحَابِ يَرْقُبُهُمْ . .  
 يُطِيفُ عَلَى الرُّءُوسِ مَرْفَرًا كَالصَّقَرِ ،  
 يَنْسُجُ مِنْ تَوَاشِيحِ الصَّبَابَةِ وَالْوَلَايَةِ  
 مَدْرَجَ الْكَفَنِ الْحَرِيرِ . .

لاظو غلي رابع أذان للفضجر

الموافق ١٩٩١/٢/٥

رملة الأنجب ١٩٩٢/١٠/٢٥





## الموت والدرويش

شمسٌ تكادُ تلامسُ الأيدي ..

يذوبُ بنفسجُ الألوان في ذهب وجمرٍ باردٍ،  
وأنا صبيٌّ، والجموعُ على المحطة،  
والقطارُ يمرُّ بعد دقيقتين

فكأنَّ دهرًا من ديبٍ غامضٍ في الأرض يُشعلُ  
في دمٍ - لَمَّا يراهقُ بعدُ - أخيلةَ الرباطاتِ الجريحةِ  
وانكسارِ الخيلِ والأرضِ المقيمةِ في هزائمها  
ورعدةٍ عارها وهوانها المكتوم .  
بعد دقيقتين

يعدو الصبيُّ من الصبّا ..  
كان الدخانُ يرفُّ في أفقٍ من الكافور والنخل البعيدِ،  
ودمدمَمَ الإيقاعُ - مقتربًا - بلحم الأرضِ،  
أنظرُ:

إنهم شجرٌ يلوّحُ في النوافذِ  
والهتافُ يمامةٌ خضراءُ حَجَلها انقطاع الصبحِ

تعلو،  
 ثم تعلو الشمسُ،  
 ثم تدبُّ فيها النارُ، فالشجر الملوَّحُ والوجوه  
 بشارةٌ أذنتُ بموعدها المكتمِّ في دم الموتى،  
 وكنتُ على الرصيفِ  
 والأعينُ اتَّقَدَتُ بومضٍ حنينها الدهريُّ:  
 أهلي من شقوق الأرض كانوا ينسِلُون  
 خَصَفُوا جريدَ النخل والصَّفْصَفَ..  
 وانصهرتُ دماءُ الحاكِمَةِ في جلالِ الدمع والرؤيا،  
 وكنتُ على الرصيفِ  
 مرَّ القطارُ ولم يقفْ إلا هنيهةً بارقٍ في الروح تقدَحُ  
 في ترابِ الأرض والزمنِ المقدَّسِ نارها  
 - كانتُ جموعُ الذاهِبِينَ إلى ولادةِ أمةٍ في الحربِ  
 تنسَلُ أنسلالَ الغيمِ في الآفاقِ -  
 وانكشفتُ مجازاتُ الولايةِ

في حرائقها وتحت رمادها اندلعت شفافية القراءة  
 في الدم المكتوب . .  
 كان السامر أنفضت مجامعه . . وكنت على الرصيف  
 يعرّى الصبا مني وتضطرم المراهقة الفقيرة بالرؤى  
 والشعر ،  
 قلت : أغرس خطاك بهذه الحمى  
 فأنت على رباط الروح ،  
 والأرض المقيمة في دماك وفي خطاك الثغر . .  
 فاشحذ فقرك الملكي واسمع كبرياء  
 جلالك المدفون في خرق الرثاء . .  
 أنت منذ اليوم مسكون بوجد الأنبياء  
 وحكمة الإيقاع في الفلك الجليل  
 لك من بلادك قبضة من نبي الدم والتراب ،  
 وخطوة في غربة الموأل ،  
 والخبز المشعشع بالقراية وانتظار السيل . .

أضيقَ ما تكون الأرضُ أوسعَ ما تكونُ  
فاعقدْ حزامَ النهرِ في حقْوَيْكَ،  
رابطُ في خطاكْ

فموعدُ المنفى ووعْدُ الفتحِ يتقدانُ :  
ظلُّ من حضورِ الماءِ والرملِ المرطَّبِ كانَ أروقةً،  
وجمرٌ في رمادِ الرِّكْوَةِ،  
انْعَقَدَتْ من اللغَطِ الجميلِ سحابةٌ  
تَنْهَلُ حينَ يعودُ أجنادُ القرى من مغمعانِ النصرِ  
- إن عادوا -

وكنتُ على رصيفِ الذاكرةِ  
خمسِينَ عاماً . .

كلما نَضِجَتْ جلودُ الميتينِ تقَلَّبُوا في الجمرِ . .  
واتَّسَعَتْ مسافاتُ الحريقِ  
الأبيضُ المتوسطُ انفجرتْ زعازعُه بفيضِ الدمِ والدمِ  
- ليس من نصرٍ يجيئُ -

وكانت الصحراء تُشَوَى ثم تُرْسَلُ في خوابي الزيت  
 من بلدٍ إلى بلدٍ ،  
 وأهلوها هم الأشباح والرمم التي  
 تُنَحَلُ في كيمياء زناناتها ،  
 خمسين عامًا . . والدم المسطور يُقرأ في كتاب  
 الأرض :  
 نخلٌ من صراخ الروح ،  
 تكفيتٌ من الشذر المدمى في المحاريب ،  
 الحطام من الرخام وفضة التعريق في طلل الماذن ،  
 مرمرٌ يبتلُ في نافورة القتلى بصحراء الزيف  
 خمسين عامًا . . كنت شاهدا الضحية  
 والمقاودُ جرّرتُ فولاذها الريحُ العفنة ،  
 عسكري الثوار ، حفارو القبور ، المخبرون ،  
 نخاسة الأفكار في الزيف الأجير . . فخذت في  
 نازف الأرض الطرائق للخيول وشاحنات السجن

وَسَعَتِ الْمَسَالِكَ لِلْمَدَافِنِ وَالنَّعُوشِ  
 وَكُنْتَ تَسْمَعُ أَوْ تَرَى . .  
 قُلْتُ: أَنْغْرَسُ فِي ظِلِّ خَطْوَتِكَ الْأَسِيرَةِ  
 وَأَنْغْرَسُ فِي هَذِهِ الْحُمَى  
 فَأَنْتَ عَلَى رِبَاطِ الرُّوحِ وَالطَّمِي الْمَذَوَّبِ فِي  
 دِمَاكِ وَفِي خَطَاكِ الثَّغْرِ وَالدَّرَكِ الْمُؤَبَّدِ،  
 أَنْتَ مِنْ جَنْسِ الدَّرَاوِيَشِ الَّذِي ائْتَدَّكَ  
 مِرَاقِعُهُ وَأَبْلَنَتْهُ الْحَتُوفُ  
 أَنْصَتِ - إِذَنْ - لِدِمَاكِ تَنْزِفٍ مِنْ فَتُوقِ الذَّاكِرَةِ  
 أَبْنَاؤُكَ التَّفَوُّا - وَهَمْ ذَبْحُ سَيْنَضِجٍ وَقْتُهُ -  
 فَاجْدُلْ مَنَادِمَةً مِنَ الدَّمِ وَالْكَلامِ  
 هَلْ تَمَّ شَيْءٌ كَائِنٌ إِلَّا نَزِيفُ الذَّاكِرَةِ  
 وَمَسَابِجُ الدَّمِ وَالْكَلامِ ١١

- ١ -

الليلُ تحتَ عَصَابَةِ العَيْنِينَ مَكْحَلَةُ الشَّظَايَا،  
والغبارُ أَسَنَةُ الذَّهَبِ الَّتِي انْغَرَسَتْ وَضَوَّاتُ  
الْفَضَاءِ وَشَقَّقَتْ لَحْمَ الْجَفُونِ فَهَبٌ مِنْ مَكْنُونِهَا  
الدمويُّ قُطْعَانُ التَّذْكَرِ والمَرَاثِي:  
النَّخْلُ وَالصَّفْصَافُ خُلْبٌ بَارِقٌ مِنْ لَوْلُو  
الدم والطبولُ تَدَقُّهَا شَمْسُ التَّذْكَرِ  
وَالْبِلَادُ مَسَافَةٌ تَمْتَدُّ مَا امْتَدَّتْ شَظَايَا المَرْمَرِ  
المَغْرُوسِ فَوْقَ شَوَاهِدِ الأَمْوَاتِ . .  
هَلْ كَانَ الرِّبَاطُ عَلَى ثَغُورِ المَوْتِ !!  
هَلْ كَانَتْ خَطَايَا وَشِجَعَةُ الرِّحْمِ الَّتِي  
تَسْمَعُ الأصْوَاتِ فِي صَمْتِ التَّرَابِ . . لَعَلَّ  
أُمِّي أَوْ أَبِي أَوْ إِخْوَتِي المَوْتَى يَشْقَوْنَ



الظلام ويسهرون معي على وهج الحرائق في

رميم الشرق !!

كان الليلُ تحت عَصَابَةِ العَيْنين يَنْبُضُ مَلْحَهُ الْمَسْنُونُ  
بالبرق المفتت والدخان ومشهد الموت الأخير:  
طَاقِيَةُ الْحَاخَامِ، طَقْسُ ذَبَائِحِ الصَّبِيَّانِ، تَابُوتُ  
الْوَصَايَا، الْفَيْلَقُ النَّسْوِيُّ، وَالْكَهَانُ بِالْأَبْوَاقِ  
يَمْرُجُ عَيْدَهُمْ فِي مَشْعَرِ السَّعْيِ،  
الذَّبِيحُ وَأُمُّهُ رَمْلٌ وَصَرْخَةٌ حَاصِبٌ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرُوءَةِ،  
الْبَشْرُ الْمَعْطَلَةُ، الْقَصُورُ، وَمَرْمَرٌ يُعْلُو فَيُتَعْلَوُ مِنْ  
رِخَامِ الْمَوْتِ شَاهِدَةٌ وَمُثَنِّدَةٌ يُؤَدِّنُ فَوْقَهَا الْجَزَارُ:

Ave Maria <sup>(١)</sup>

ومريمُ كانتُ انْكَاثُ تَهْزُ النُّخْلَ لَا رَطْبٌ وَلَا لُجْمٌ  
سوى الفولاذ منصهرًا يَتَرُّ يُؤْجُ يَهْطَلُ،  
والدخانُ معارجُ الموتى وقافلةُ الْحَجِيجِ ..

## -٢-

صوتُ المؤذِّنِ من رفاتِ «العامريَّة»<sup>(٢)</sup> طالعٌ متوضئٌ  
 باللحمِ والدمِ وانصهارِ الرملِ والفولاذِ بالموتى . .  
 وأنتَ تَحُبُّ في عارِ النجاةِ تُقَلِّبُ الكفينِ من  
 مقهى إلى مقهى ،  
 ومن عارِ الحداثيين في لغوِ القراءاتِ الدنيئةِ  
 والضميرِ المسترقِّ ، من المهارشةِ الحَصِيَّةِ ،  
 من مصارعةِ الديوكِ على بقايا الغائطِ النفطيِّ  
 و«التنوير» في ظلِ النعالِ . .  
 وأنتَ في عارِ النجاةِ تَحُبُّ ،  
 والصوتُ المؤذِّنُ رائقُ التَّرجيعِ  
 كان يُثَوِّبُ<sup>(٣)</sup> الموتى فينبعثون من روحِ الظلامِ  
 جماعةً ، يَتَقَطَّرُ الدَّمُ من وضوئهمو ومن  
 قتلى الظهيرةِ في الميادين التي امتلأتْ كُتائبَ من

سَرايا الأَمْنِ ، تَبْدَأُ رَكْعَةُ المَوْتِ المَعادِ على  
رَبوبِيَّاتٍ لاظوِغلي ونَهْشِ الكَهْرَباءِ على  
المعاصِمِ والمَحاشِمِ . .  
أَنْتَ في ذُلِّ النِجاةِ مُقَدَّرُكَ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْ  
تَعِيشَ على أَذانِ الفَجْرِ  
فاسمَعْ ثُمَّ مِتْ واسمَعْ وقُمْ وانشُرْ  
قِمَاطَ المَوْتِ واسمَعْ . . كُلُّ ما هُوَ كائِنْ  
ويكونُ أو سَيكونُ متكىٌّ على ليلينَ بَينَهما  
وضوءُ العَامِرِيَّةِ والأَذانِ . .

- ٣ -

تحت العَصَابَة كان وقتٌ من دم،  
والأفقُ مشتعِلٌ بوهجٍ حريقه الممتدُّ،  
أنت تهزُّ رأسك . . تستفيق من المخدَّرِ وانتهاكِ الذاكرةُ  
شيئاً فشيئاً . . تُخرجُ النهرَ المخبأً تحتِ جلدكِ،  
والسمااءَ الأرجوانَ وخضرةَ القمرِ الذي  
ينسلُّ تحتِ عصابةِ العينين . .  
أيُّ سَكينةٍ هبذي التي ابتلَّتْ بروحِ الماءِ !!  
جلَّجَلْتُ المآذنُ، قلتُ: مسرَّجةٌ وحبَّةٌ ظلمةٍ في  
خيطِ مسبحةِ الدهورِ،  
وغيمةٌ ترغُو أم الإبريقُ صلصلةً من  
الظما المفضَّضِ في العراءِ ؟!  
قلتُ: اغسِلِ القدمينِ والرسغين، أطفئي جمرةَ  
الفولاذِ تحتِ أساورِ الصلبِ المحبِّكِ،

وارتختُ في القيد أطرافي،  
وكنت أفيقُ من خلطِ المخدرِ وانتهاكِ الذاكرةِ  
شيئاً فشيئاً . .

قبل أن تبُلَّ أطرافي انتبَهْتُ على فحيحِ الموتِ  
يفهقُ في العصيِّ وفي كُعبِ الأحذية:  
- : قم، طأطئِ الرأسَ، استدرْ، واصعدْ، وقف.  
كان الهواءُ رطوبةً وحرارةً وزهومةً تعلو عفونتها،  
ورائحةُ الشواء كأنها نَتْنُ الخليقة في سهوبِ الموتِ،  
(تذكرُ قولَ أمك: إن أسرابَ الطيور الطائرة  
كانت تُرفُّ قتيلاً،

تهوي وتسقط من أعاليها إذا انفَتَحَتْ نبالُ الرائحةِ  
من جلدِ أيوب . .)

وكان القيدُ في الرسغين جمرًا نابضًا . .  
- : هيئته، واحذر أن يموت «فعهدةُ الأفراد»  
كاملةُ الدفاتر . .

كنتُ مشبوحاً وسلكُ الكهرباء على يديّ،  
وكان برقٌ من وحوش الطير ينهش ظاهرَ الكفين،  
تنبشُ ثم تلتقط . .

لا دمي يكفي ولا يكفي طحينُ العظم،  
(فانظر . . هل ترى !! لا شيء يبقى من بلادك  
غيرُ جبرِ العظم،

هل وطنٌ سوى هذي المسافة بين لحمك في

الجحيمِ وبين سلكِ الكهرباء !!)

تحت العَصَاة كان من مروِ الحجارَةِ والرخامِ صدّي  
يرفُّ بصرخة الموتى ودقاتِ الطبول،

أمُّ من الأشباح تعلوها المشاعلُ

- كان وحشُ الطير يثرنِي رماداً في مباخرهم -

وكانوا يُنشدون غوامضَ التّرجيعِ،

يبتعدون في الصخبِ الجليلِ

ناديتُ - بين تَخْلُعِ الرسغين والجمر المؤرث في  
الأصابع -

أيها الموتى . . بحق قرابة الأشباح درويش من  
الأموات يركض في سهوب الموت فانتظروا . .

الطبول بعيدة،

تخبو المشاعل،

والظلام الحي تنعس في عباءته السهول . .

محرقه لاطوغلي - سادس أذان للفجر

الموافق ١٩٩١/٣/٧

رملة الأنجب - القاهرة

١٩٩٣/٦/١٤

إشارات:

١- Ave Maria أو Ave Mary :

ترتيلة كنسية في تحية وتمجيد العذراء مريم ، وهي  
الصيحة التي أطلق السفاح شوارتسكوف على  
بركتها أول صاروخ في حرب الخليج .

٢- العامرية : ملجأ أو مخبأ العامرية في بغداد ، قُتل به  
مئات المدنيين ، من بينهم أكثر من أربعمئة طفل ،  
بصواريخ المجزرة الأطلسية في حرب الخليج .

٣- التشويب : هو قول المؤذن في صلاة الفجر : « الصلاة  
خيرٌ من النوم » . وبهذه العبارة كنت أعرف أن يوما  
آخر قد مر علىّ وأنا معصوب العينين تحت التعذيب  
في « باستيل » مصر المعاصرة « لاظوغي » .



وجوها يتتطف الدم

«قصيدة ليس من

طبيعتها أن تكتمل»

الراحلونَ همو أم أنت مرتحلُ  
أم هم إقامةُ ظنٍّ في مرابعه تسفي الرياحُ  
فلا صيدُ النميمة يمتدُّ الكلامُ به ،  
والصمتُ محضُ شتات الروح في دمنِ الأحقابِ  
ياملكاً يبكي على عتبات الشعرِ :

هل نغمُ إزميله دمه ١٩  
هل طينةُ جبِلَتْ تفعيلةُ لججاً والبحرُ مرتجلُ :  
هذي خرائبُ ما تحوى المعاجمُ مما خلفَ السلفُ  
هل أبجديتهمُ كانت ستعصفُ صلصالاً إلى  
الأفق الأعلى

وقبل بدايات الرؤى أنعصفوا ١١

هل هذه لغةُ  
أم أنت آخرُ لغوِ الناطقين بها  
أم أنت من ظمأ الأجدادِ همهمةٌ قبل الكلامِ  
وبرقٍ في سلالة طينٍ سوف ينكشفُ ١١

فاخرج أمير بلاد بيت تنكرها  
واخرج أمير قواف  
من نشائدها يرفض وحي هجاء طالما  
استترت من شمسهِ الجيف  
واسأقط الكفن المعقود من خرَق الأحلاف ألوية:  
مجد ولا شرف،  
والشعب تحت عراء العار يرتجف ١١  
قد يسلم الترف المأبون في زمن ديوثه الصحف.  
ها أنت تحت سياط الكهرباء وبين القيد والظلمات السود  
- : تعترف؟  
- : . . إن الكلاب ملوك، والملوك دُمى،  
والأرض تحت جيوش الروم تنجرف . .

فاخرج طريد بلاد كنت تحرثها  
حرث العبيد،

وغادرَ إرثها مدناً مجدورةً بعشاشِ النملِ  
 ساطعةَ الفجرِ الكذبِ بكُلْسِ الزيفِ والسَّغْبِ  
 وامسحْ جبينك بالنسيانِ وابتدرِ المنهلَّ من  
 دمك النضاحِ :  
 راعفهُ من بعد ما عَصَبُوا عينيك يُتَتَفُّ  
 فالعينُ يملؤها من ومضهِ السَّرْبِ  
 أشباحُ ما عشقَ المشبوحُ من بشرٍ ولَّوا ومن كتبِ :

«عَدَّاسُ» يمنح مجروحاً على ظمأ هدياً من العنبِ  
 والكرمةُ انفرطت ظلاً ومَسَّ نَدَى  
 والجرحُ ملحٌ دم . . فالضوءُ بارقٌ ومَضٍ في  
 لعاله تهوي مخايلُ حنَّاءٍ وصرخةُ آياتٍ  
 تجلجل تثويّاً ومرحمةً في صوته الرطبِ .

أفقُ النِّجِيعِ ، ورأسٌ من تَشْهَدِهِ

رَتَّقُ الْغَيْومِ وَرَجْعُ الْمَاءِ فِي السَّحْبِ  
كَانَ الْحُسَيْنَ . .

وَكَانَتْ خُطْوَةُ الشَّجَرِ الْمَكْتُوبِ فِي دَمِهِ  
تَهْوِي . . فَأَلْقَفُ نَسْغًا مِنْ بَرَاعِمِهِ .

شَيْخُ الْقَوَائِلِ مِنْ «دَلْفِي» إِلَى شَعْبِ الْغَوْغَاءِ  
مُرْتَهَنٌ، يُصْنَعِي إِلَى صَخْبِ الْأَمْوَاجِ عَلَى صَدْيٍ مِنْ  
بُوقِ مَوْعَدِهِ  
يَذْوِي فَيَطْلُقُ أَمْرَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ:  
نُبْلُ الْإِشَارَةِ ضَوْءٌ شَعَّ مِنْ يَدِهِ  
وَالشَّيْكَرَانُ بِكَأْسِ السَّمِّ ذَوَّبَ رُدَى  
يَصْفُو التَّذَكُّرُ فِي مَسْرَاهُ  
فَالْأَزْلُ الْمَطْمُورُ مَنكُشَفٌ فِي شَرْفَةِ الْأَبَدِ  
زَحْرَحَتْ فِي هَلَعِ النِّعْذِيبِ قَيْدَ يَدِي

فاشْتَدَّ . . وانْهَدَمَتْ - في قطرةٍ عَلَقَتْ تحت الجفون -  
سماؤُ  
الله . . فالتفت رأس القَتِيلِ جروحُ الصَّدْعِ في كبدي .

والشيخُ يرقدُ في خُرْجِ الأتَانِ  
وعَدَلَ الجَنَّةُ انْهَدَكَتْ أسْفارُهُ ،  
فمَتَوْنُ الشَّرْحِ صامِتَةٌ ،  
والفقهُ يَدْمَعُ في راحاتِ «قرطبة»  
ليستْ تُكْفِكِفُهُ إلا سِياحَةُ «محيي الدين» بين  
فتوح الروح واللهبِ المكنونِ تحت جلالِ الخلقِ  
من

شَرَقَ بالرملِ أو بهطولِ الماءِ مُتَقَدِّ  
شَقَّتْ يداهُ قِماطَ الموتِ فاندلعتْ نَارُ البَدَارَةِ في  
رَقٍّ «المقدمة» . . اسْتَصْرَخَتْ مُلَحَ دمي :  
هذي الدماءُ إلى يومِ القيامةِ ؟ !

قال «النَّفَرِيُّ»: أَجَلُ  
 «يَارُبَّ هَمْ تَبَسَّيْتُ اللَّيْلَ سَاهِرَةً  
 عَيْنُ الْفَتَى مِنْهُ وَالْأَرَاءُ فِي خُلْفِ  
 إِنْ رَامَ هُدًى أَثَارَ الْهَمِّ هَدَاتُهُ  
 أَوْ رَامَ وَقَفًا عَلَى الْأَشْجَانِ لَمْ يَقِفِ  
 حَيْرَانٍ لَا يَتَهَادَى بَيْنَ عَزْمَتِهِ  
 إِلَّا عَمَى مِثْلَ جُنْحِ اللَّيْلِ ذِي السُّدُفِ»

فَاخْرُجْ بِعَرِيكَ لَا تَأْمَلْ وَلَا تَخَفْ  
 وَادْرَأْ بِيَأْسِكَ مَا كَانَ الزَّمَانُ بِهِ يُغْوِي وَيُوهِمُ  
 وَارْكُضْ فِي هَجِيرِ سَرَابٍ طَالَمَا التَّمَعْتُ مِنْهُ  
 السَّمَادِرُ أَعْلَامًا مَرْفُوقَةً فِي الْأَفْقِ  
 يَا مَلَكًا يَبْكِي عَلَى عَتَبَاتِ الشَّعْرِ:  
 هَلْ نَعْمُ لِزَمِيلِهِ دُمُهُ!!  
 وَارْكُضْ . . فَإِنَّ فَلَاةَ الرُّوحِ وَاسِعَةٌ

والموتَ ظَنِّي قَوافٍ رَما انْفَتَحَتْ مِنْهُ الجَوارِحُ  
فِي عَينِكَ فَانْهَمَكْتُ هَذي الوجوهُ  
:- فَهَلْ هَذي الدَماءُ إلى يَومِ القِيامَةِ ؟  
قالَ الرَاحِلونَ : أَجَلٌ . .  
فَاعرُجْ إلى شَقِّ دَامي السَحائبِ  
واهْطُلْ كَما انْثَرَتْ بَينَ السَلاسلِ  
والجِلالِ  
قَافِيَةٌ . .

حِجْز لَاطُوعَلي ١٢/٣/١٩٩١

مَعْتَقِل طَرة

رَمَلَةُ الأُنْجَبِ

٧/٨/١٩٩١



# إيقاعات الوقائع الحَنُومِيَّة

«اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَحْبَبُكُمْ  
وَلَا أَلُومُكُمْ وَلَا أَتَحَبُّونِي  
لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْ شَارِيَكُمْ  
وَلَا دِمَاؤُكُمْوَجَمْعًا تَرَوْنِي»  
— ذُو الْأَصْبَعِ الْعَدَوَانِي —

كَيْفَ هُنَاكَ :

يَتَنَخَّلُ الْوَطَنُ فُتَيْتَهُ الطَالِعِينَ مِنْ عَكَارَةِ  
الْبِلْهَارِ سِيَا وَصَمَمِ الْأُمِيَّةِ وَحَيَوَانِيَّةِ الْجُوعِ  
وَرَهْبَةِ الْعَبِيدِ وَطَاعَةِ الْإِمَاءِ وَجَبْرُوتِ الْوَحْشِ ،  
ثُمَّ يَنْتَقِي :  
أَجْسَادُ قُدَّتْ مِنْ صَخْرَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى قَالِبٍ وَحِيدٍ  
فَلَا اسْتِثْنَاءَ فِي شَيْءٍ  
وَجُوهٌ مَسْفُوعَةٌ بِصُفْرَةِ الشَّمْسِ الْمَعْتَلَّةِ  
وَوَغَارِ الْأَحْذِيَّةِ

عيونٌ تختلط فيها حمرةٌ بصفرةٍ براوق البُنِّ المتخثرِ  
ولا يشبهها شيءٌ إلا عيون الكلاب الميتة في  
مجرور النهر ومستنقعات التَّنِّ الدهريِّ  
كان «خنوم»<sup>(١)</sup> كان يدخرها في فواخيره الأزلية  
حرساً سرمدياً لفراعنة كلِّ الدهور  
وسوى خنوم لا آلهة هناك !!

- : ما الأسماءُ الصريحةُ لرفاك الإلهيين :  
سقراطُ وابنُ رشدٍ والسَّمندلُ<sup>(٢)</sup> والنفريُّ  
وأورفيوس<sup>(٣)</sup> والسعلاةُ<sup>(٤)</sup> . . إلى آخر ما وجدنا  
في أوراقك من أسماء حركية ؟ !

- : . . . . .

- : سنعرف كيف تنطق حين نواجهك باعتراقاتهم  
صوتاً وصورةً . .

وحين وُجِهَتْ بُتقاريرِ المخبرِ أفلاطون،  
وجدالاتِ التهاؤتِ ومناهجِ الأدلّة، ونارِ الطقّسِ  
المبدئِ المعيدِ، وبشارةِ الإيذانِ بالوقتِ،  
والملابسِ الداخليةِ لأوريديكي<sup>(٥)</sup>، ورَمْزَمَة  
السُّفادِ في بوادي الجنِّ،  
وسمعتُ تسجيلاً لصرخاتِ الهلعِ من زرقاءِ اليمامةِ  
اعترفتُ بأدقِّ التفاصيلِ . .

- ١ -

العنكبوتُ كأنَّه ورَّكٌ<sup>(١)</sup> يدبُّ إلى مراعي الضَّانِ ،  
 خيطٌ من سُعاعِ الشمسِ يقطعه إلى نصفين ،  
 فالأطرافُ تنبضُ بالدمِ القاني وتتركُ نقشَ  
 رقصتها الذبيحةِ في سقوفِ الأرضِ ،  
 نسجٌ هلهلتهُ الريحُ في أفقِ البلادِ  
 كان الممالكُ العتاةُ الأقدمون المحدثون  
 يتنزَّلون خلانقاً من هيلمان الجوعِ والفوضى ،  
 وفي أفقِ المدينةِ  
 نافورةٌ تعلو وتنفِّسُ امتداداتِ الهواجسِ في  
 انتشارِ رمادها في الريحِ ،  
 والأجواءُ تَبْرِقُ ،  
 هذه الشمطاءُ عاريةٌ . . تفتحُ جدائلَ الدخانِ والحياتِ

هذا المغزكُ الكونيُّ من نُذُرِ القيامةِ أمْ  
هو العصفُ الذي تنحلُّ فيه الروحُ والرؤيا  
وتنحلُّ البلادُ

جميزةٌ تتغاصنُ الأهوالُ والكسفُ المضيئةُ والظلامُ

بشكلها الممتدُّ في الآفاقِ ؟!

هل كانتْ بلادكُ أمْ جنونكُ - هذه - ؟!

أم أنتَ من فجرِ الخليقةِ لازِبُ الطينِ المقدَّرِ

للغوايةِ والجنونِ

متقلَّبُ الأشكالِ بين يدي «خنوم»

طالعٌ من وقْدَةِ الفاخورةِ العظمى،

ومُصنَّفٌ صفوفاً كلما بليتْ أعيدَتْ في بَراحِ

العصفِ والخلقِ الرَّميمِ المستعادُ ؟!

- : اخلعْ ثيابك . .

(لفحةُ الخوفِ المشوّشِ بالحياءِ وزمهيرِ الفجرِ،

صفان خنوميان تلمع في أكفهما عصي الخيزران،  
وحارسان يصلصلان برجة الجزير:  
كلب في علو البغل يقعي، آخر في  
هيئة الوحش الخرافي اشراب..)  
أدر إلى الجدران وجهك.. لا كلام ولا تلفت..  
(لا كلام سوى دوي الإرث من  
ليل القراءة في دم التعذيب، والهول المؤبد  
في بلادك والخنوميين في منفى التواريخ التي  
أبقت دم القتلى يبيد ويستعاد.  
هل كل مجديك يا خنوم  
هذي الدمي الفخار تذروها الهشاشة في  
رياح السجن والتعذيب من جيل لجيل  
حشداً يكسر بعضه بعضاً فلا يبقى سوى  
دمن الوجوه ورهزة الغوغاء والأم الطلول!!)

حَدَقْتُ فِي وَسْخِ الزَّجَاجِ فَرَوَعَتْنِي نَظْرَةُ «الشَّخْصِ»  
المَحْدَقِ،

عَنْكَبُوتٌ مُلْهِمٌ فِي الرُّكْنِ يَبْنِي ثُمَّ يَهْدُمُ  
فِي انْتِظَارِ الصَّيِّدِ .

(أَيُّ فَرَّاشَةٍ سَتَرْتُ أَيُّ ذَبَابَةٍ سَتَحَطُّ مِثْلُ  
دُمِّي الْمَخْثَرِ فَوْقَ مَنْسُوجِ الْجَوَارِحِ وَالْعُرُوقِ ۱۱)  
فِي نَوْبَةِ الْبُوقِ النَّحَاسِيِّ اسْتَجَاشْتُ رَهْبَةً بَيْنَ الْمَفَاصِلِ  
- : إِنَّهُ «الْبَاشَا» وَبُوقُ الصَّبْحِ فِي «عَرْضِ التَّمَامِ» .



- ٢ -

شعبٌ خنوميُّ، وجيشٌ مشترى من صيد نخاسين،

والباشا يقدم في رطائته جلائبه<sup>(٧)</sup> :

الطواشي، القضاة المخبرين، السادة الخصيان،

أعيان التسول، جلجلت المنبريات الزواني،

البرزميط<sup>(٨)</sup> المدعي ..

درعٌ من الشرق المفتت

والسيوفُ مباعَةٌ كي يملك الغربُ الرقابَ

بين الرميثةِ وانفساحِ القلعةِ انتشرت وحوشُ الطير ..

(إن دم الذبائح يستثير الطير قبل ملاحم الموتِ)

البنودُ على رءوس الجنود

(هل يدري الخليفةُ أن هذا السيفَ مرتهنٌ: معة

زمنًا، وأزمنةً عليه !!)

-: طأطىء ولا تنظر وراءك واحتبس أنفاسك . .  
(الزمن أنفجارُ الرعب . . هل سيمزق الكلبان  
لحمك من وراء أو أمام ١١)  
في الركن . . كان العنكبوت  
من مغزل الدأب المجنح بالغرائز وانتظار الصيد بيني ثم  
يهدم  
(هذه كانت حدود «العبقريّة في المكان» :  
سجنٌ وجلادون ، أدوارُ الخنوميين ما بين  
الهزائم والخراب  
في الأرض من أقصى غوايات القناصلِ وأبتياع  
السيفِ حتّى الموتِ في ختلِ الكلام . )

- ٣ -

ليلٌ وكأسٌ من دم الموتى تُربُّ به البلادُ رفاتِها ،  
ورخامُ عرّافين ينشر من جعارين الكتابة جيشه السحريُّ  
فالطينُ المقدَّرُ فوق نار من تعاويد الرُّقى يغلي  
وينضجُ لحمه الدهريُّ جارحةً فجارحةً  
فَيَصْطَفُ الخنوميونُ  
(هل يدري الخليفة أن هذا الحشدَ مُخْتَلَقٌ  
وأن السيفَ مرتَهَنٌ : مَعَهُ  
زمنًا ، وأزمنةٌ عليه ؟)  
الشمسُ جمرٌ ذائبٌ في أعين الموتى ،  
فلا استلموا ولا طافوا ولا انتسبوا لزمنة السلالة  
فالجزيرةُ صَقْصَفٌ والرملُ مشويٌّ ،  
سرابٌ من دم الفصحى يرفّ على مياه البحرِ ،

ترتيلٌ من الملح العصيُّ يُرْجُّ في لحم المصاحفِ  
 ثم يبرِّقُ في اندلاعِ الخبرِ  
 ثم يدبُّ في رم القراءاتِ الحريقِ  
 ويعفرُمُ<sup>(٩)</sup> الباشا ويضحكُ،  
 ثم يبتعثُ البريدَ على ظهور الخيلِ بالبشرى  
 (فهل يدري الخليفةُ أن هذا النصرَ أولُ دُبْحِهِ ١١  
 ضَرَيْتُ<sup>(١٠)</sup> كلابُ الصيدِ فانتظرِ المواسِمَ . . )  
 عَفَرَمَ الباشا وقَهَقَهُ . .  
 والخنوميون محضُ فكاهةٍ حُبلى بشمسٍ  
 من صديد الجرحِ ، ينسلُّون عبر البحرِ والصحراءِ ،  
 ينتشرون في جوع القرى كالقَمَلِ والبلهارسيا  
 والنهرُ موالٌ من الدمعِ المقطَّرِ في الظلامِ . .

- ٤ -

ضَرَيْتُ كِلَابُ الصَيْدِ . .

صيادون من كل البلاد تَحَلَّقُوا

فوق الحشايا والزرابي الدُمُقْسِ :

حِثَالَةُ الماسون ، تجار ، جواسيسُ القناصل ،

باعةُ الوهم ، السماسرةُ ، المرابون ، الحجيجُ

وئِلَّةُ التجوال بالسم البطيِّء ،

وشيشةُ الباشا تَكَرَّكُرُ أو تُعْفَرُ مُتَحْتَ تَلِّ الجمرِ

والتمباك وهو على الأريكة غائبٌ في

حلمه الأُمِّيُّ بالجبروت والسلطان . .

حاشيةُ الحِثَالَةِ في طقوس الصيْدِ هَرَّاجون بالفوضى

ومحبوكون في لغوٍ من الزور المضفَّر ،

إن فيض السوق مُنْدَفَقٌ :

طرايشُ العييدِ، وَيَشْمَكُ السَّيِّ البغيُّ، وَمَسَبُّكَ  
الفلولاذ، والبارودُّ، سمسرةُ التراجم، خطةُ  
الحربِ،

الطَّواقِمُ من قياداتِ الكتائبِ والسفائنِ . .

جنةُ الإِستبرقِ البرسيمِ، والخبيلُ المطهمةُ الصهيلِ،  
وطينةُ الوادي استجاشتُ تحت شمسِ الجوعِ والخبَلِ  
الخنومي . .

الحشالةُ والجلائبُ والجواسيسُ القناصلُ قادةُ  
للزحفِ،

تخبو شيشةُ الباشا فيُهرَعُ أمرُدُّ بالجمرِ والتمباكِ  
وهو مُعَفَّرِمٌ ومكرُكِرٌ بإشارةِ الحربِ الدنيئة . .  
والخنوميون أوبئةُ وجوعٍ بينَ وقْدِ الرملِ في  
آسيا وبين الثلجِ في البلقان . .  
يا ربي أمان . .

كانتُ جعارينُ الكتابة والرُّقى ينحلُّ فيها السحرُ والنقشُ  
الخنوميّ:

الفلولُ وآخرُ الموتى وقطعانُ الخنوميين ترجع من  
ظلام النصر والفوضى إلى الوادي وماء النهر  
ثم تُعيدُ سيرة طينها دهرًا فدهرًا . .  
آه يا ربي أمان . .  
- : البس ثياب السجن ، لا تنظر وراءك ،  
لا كلام ولا تلفُّت . .

(لا كلام سوى دويّ الإرث من ليل القراءة في  
دم التعذيب والهول المؤبد في بلادك والخنوميين  
في منفى التواريخ التي أبقت دم القتل يبيدُ  
ويستعاذ . .)

معتقل طرة ١٣/٣/١٩٩١

رملة الأنجب - القاهرة ٢٦/٤/١٩٩٣

## إشارات:

١ - خنوم : إله صناعة الفخار وتشكيل الطين في مصر القديمة .

٢ - السمندل : حشرة خرافية يقال إنها تعيش في النار .

٣ - أورفيوس : شاعر أسطوري من تراقيا كان لشعره وموسيقاه أثر سحري على الكائنات ، تشكلت باسمه نحلة وتنظيمات سرية من أهمها جماعات الفيثاغوريين .

٤ - السعلاة : حيوان خرافي متوالد من سفاد الجن مع الحيوانات .

٥ - أوريديكي - أوريديس : حبيبة أورفيوس .

٦ - الورل : حيوان صحراوي زاحف ، يقول البدو إنه يلف ذيله المكون من عقد قوية حول سيقان الأغنام ويرضعها حتى يدميها .



٧- الجلائب ، الجلب : العبيد والمماليك .

٨- البزرميط : عامية شائعة تعني خليط البشر المهجنين

الذين لا يعلم لهم وطن أو أصول .

٩- عفرم يعفرم عفرمة : اشتقاقات شخصية من لفظة

الاستحسان التركية «عفارم» .

١٠- ضريت : أصبحت ضارية متوحشة .



## الإخوة الخمسة

تهبُ شماليَّةٌ من أصيل الصَّبَا،  
والسهوبُ امتدادٌ لروحة العشب،  
تبطئُ تحت جسورِ «بني سوَيْفٍ» خطوةً نيلِ  
تذوبُ به الشمسُ في صفرةٍ حائلةٍ  
وغيمٌ نديفٌ تشبُّ به جمرةٌ من أذان الغروبِ،  
وفي الركن طليئةُ العائلةِ  
عليها نقيعٌ من التمرِ تَنْدَى أباريقه،  
وهي لائبةٌ تتلَقَّتْ حول المداخلِ  
لا خطوُّها يرتخي بالوضوءِ  
ولا شبَّكَ الصيدِ فوق مناشره منبئٌ بالخطي .  
بالصيدِ ارتخي رأسُ كلبهمو واشترأبتُ معاطسه . .  
علَّ رائحةَ الخطوةِ الموحلةِ  
تفوحُ اشتهاؤها

افتَرَشَ الشيخُ سجادةً من نسيجِ القلوعِ المرتَّقِ،

وَامْتَشَطَ اللَّحِيَّةَ الْمُرْسَلَةَ

بِكَفِّهِ لِمَلَمَ دَرَوَ السَّعُوطُ بِعَلْبَتِهِ،

اسْتَعْرَضَ الْأَفْقَ . .

هَمْ خَمْسَةٌ . . فَلَا يَهُمُّوْا أَنْشَقَ إِرْثُ الرِّضَاعَةِ

وَاصْطَرَحَتْ شَهَقَةً ثَاكِلَةً

وَوَلَوْتَ الدَّمْعَةَ الذَاهِلَةَ !

وَهُمْ خَمْسَةٌ . .

وَقَفُوا فِي اصْطِفَافِ الصَّلَاةِ بِزَنَازَةِ السَّجَنِ :

أَوْجُهُهُمْ مِنْ نَقَاءِ الْحَلِيبِ وَعَافِيَةِ الدَّمِ،

أَصْغَرُهُمْ قَالَ : شَيْخَكُمُو فِي انْتِظَارِ الْأَذَانِ،

السَّعُوطُ بِعَلْبَتِهِ لَيْسَ يَكْفِيهِ سَهْرَتُهُ،

اغْتَسَلَتْ أَحْرَفُ الْآيِ بِالدَّمْعِ . .

كَانَ الْهَلَالُ تُعَرِّجُنُهُ الْغِيْمَةُ الْآفِلَةُ

وَتَرْتِيلَةُ الدَّمْعِ تَرْنُو رُغَاءَ الْجَنَائِبِ،

والمُصِرَاتُ أَنْعَقَدْنَ حَنَاتًا مِنَ الْوَحْيِ  
وَاللَّيْلُ فِي إِثْرِهِ اللَّيْلُ . .  
كَلْبُهُمُ بِالْوَصِيدِ اشْرَأْبَتْ مُعَاطِسُهُ :  
خَاتَلَتْهُ الرُّؤْيُ . . فَالطَّرَائِدُ  
بَارِقَةٌ وَالسَّوَانِحُ مُسَائِبَةٌ فِي مَدَى الدَّوِّ ،  
رِيحًا مِنَ الرِّيحِ يَطْوِي الْمَسَافَاتِ :  
عَمَقُ السَّمَاءِ نُبَاحٌ  
وَمُتَّسَعُ الْكَوْنِ ضَبْحُ الْعَوَاءِ الْمَرْجَعِ ،  
فِي الْفَجْرِ يُلْقِي طَرِيدَتَهُ بِالْوَصِيدِ :  
هَرِيرٌ مِنَ الْغَضَبِ الْمُسْتَبَاحِ ،  
وَكَانَتْ صُدَيْرِيَّةٌ يَتَوَقَّدُ بَيْنَ زَخَارِفِهَا  
مَا تَبَقَّى مِنَ الدَّمِ وَالصَّرَخَةِ الزَّلْزَلَةِ . .

١٩٩١/٤/١٣

معتقل طرة

## هذا الليل يبدأ

دهرٌ من الظلمات أم هي ليلةٌ جمعتُ سوادَ  
 الكحل والقطران من رَهَجِ الفواجع في الدهور!!  
 عيناك تحت عَصَابَةٍ عَقَدْتَ وساخت في  
 عظام الرأس عَقْدَتُهَا،  
 وأنتَ مجنَدٌ - يا آخر الأسرى...  
 ولست بمفتدى...  
 فبلادك أنعصفتُ وسبقَ هواؤها وترابها سَيًّا -  
 وهذا الليل يبدأ،  
 تحت جفنيكَ البلادُ تَكْوُمُتُ كرتين من ملح الصديدِ  
 الليلُ يبدأ  
 والشموسُ شَطِيئَةُ البرق الذي يهوي إلى  
 عينيك من ملكوته العالي،  
 فتصرخُ، لا تُعَاثُ بغير أن يَنْحَلَّ وجهُكَ جيفةً  
 تعلو روائحها فتعرف أن هذا الليل يبدأ،



لست تُحصي من دقائقه سوى عشر استغاثات  
لفجر ضائع تعلو بهنَّ الريحُ جلجلةً  
لدمع الله في الآفاق . .

هذا الليل يبدأ  
فابتدئ موتاً لحلمك وابتدعُ حلمًا لموتك  
أيها الجسدُ الصبورُ  
«الخوفُ أقسى ما تخافُ» . . ألم تُقلْ؟  
فابدأ مقام الكشف للرهبوت  
وانخلُ من رمادك، وانكشفْ عنك،  
اصطفِ الآفاق مما يُبدع الرخَّ الجسورُ . .

١٩٩١/٢/٢٧

معتقل طرة

## زفرة البدء والمنتهى

\* كيف تنفخ - أيها الشاعر - فى ناي الدهشة والغضب ،  
وقد ترصدتك لدائن الأشباح التي لا تغنى  
ولا تستحدث ،

وكيف ترهف السمع للصدى ولا فضاء هناك  
وكيف يتسلق خيالك نخلة لا يعلو جذعها غير ليف  
الصرخات ولا يتهدل غير تمر الخرز الساقط  
من جيد الأمم الذبيحة  
ولا رمل هناك ولا رجز رعاة ينجدل بحنين النياق حتى  
تغدو القصيدة جاهلية !!

\* كيف وهناك :

لا هو في السماء فيفعل بهم فعل القدرة  
فتنقض أسماؤه بالصاعقة إذ يفعلون بالخلق  
فعل السدنة المتحلقين حول أبواب الجحيم

ولا هو في الأرض فيفعل بالخلق فعل النار بالقش فتنفخ  
رياحه بجمرات الغضب في الأحطاب - الرقود  
\*كيف و«هم» شهود غيابه إذ يستلّون ما نفخ في الخلق  
من روحه المطلول بالبشرى ومرحمة الأسماء والندى \*  
وكيف هو لا في وعد ولا وعيد  
إذ هم مطلق الفعل وخالص اليقين ولا أسئلة هناك !!

كان يختل لك في هوى من الهلوسة والحلم  
فترتعد في شبكته ارتعاد سمكة الروح الحية في مجمرة  
الحواس .



رقم الإيداع ٩٨/١٠٣٠٧  
الترقيم الدولي 1 - 0482 - 09 - 977

### مطابع الشروقة

القاهرة ٨: شارع سيويه المصرى - ت. ٤٠٢٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)  
بيروت: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)



## دار الشروق

القاهرة: شارع سيدي البكري - زاوية الدوا - مدينة نصر  
حر. ب. ٢٢ البانوكا - طابون : ٢٢٢٢٢٢ - فاكس : ٢٢٢٢٢٢ (٢٠٢)  
ب. ٢٢ - فاكس : ٢٢٢٢٢٢ - ٢٢٢٢٢٢ - فاكس : ٢٢٢٢٢٢ (٢٢٢)